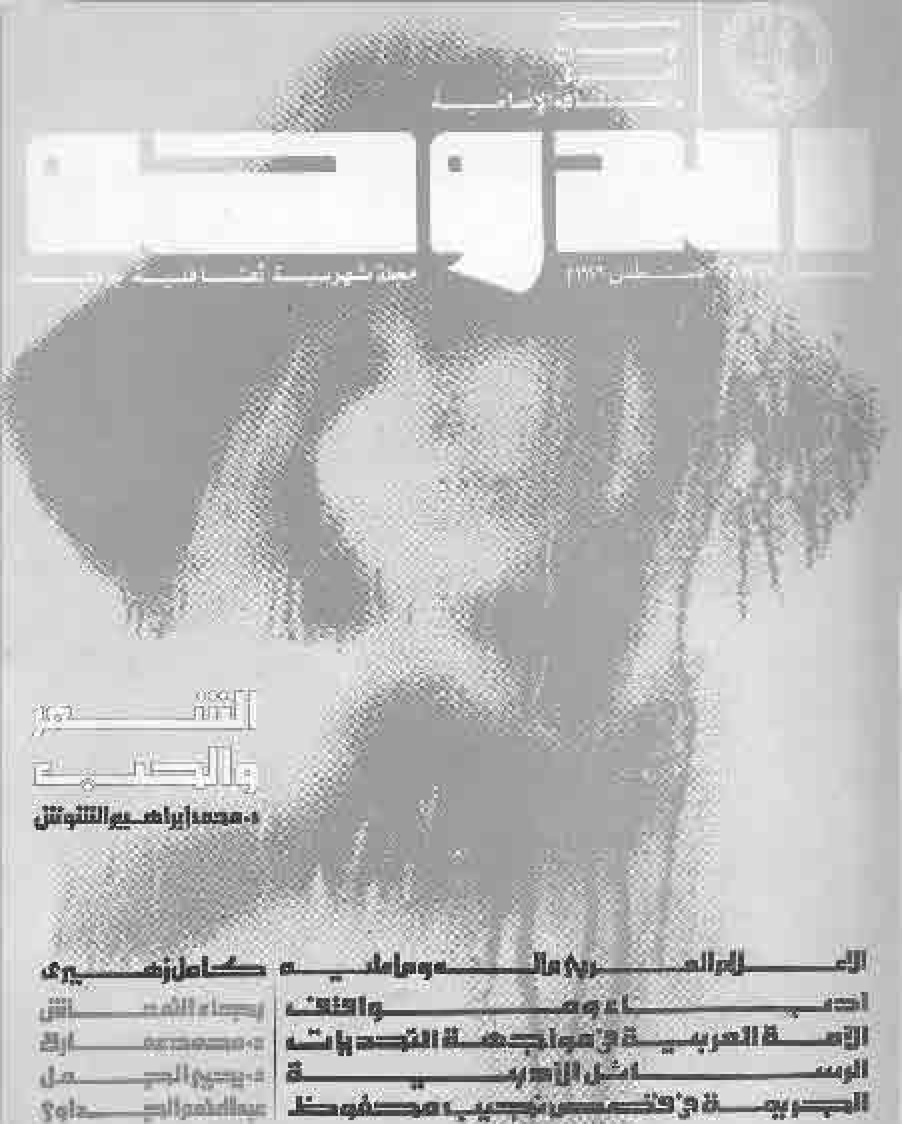


الهلال
مجلة شهرية ثقافية
الشعر والحب
د. محمد إبراهيم الشوش
العالم العربي ما له وما عليه
كامل زهيري
أدباء وصحفيو الثقافة
رجاء النقاش
الأمة العربية في مواجهة التحديات
د. محمد عمارة
الرسائل الأدبية
د. يحيى الجمل
الجريمة في قصص نجيب محفوظ
عبد العظيم الجداوي



كامل زهيري

الاعلام العربي ماله وما عليه

لسنا نبالغ حين نقول ان الدورة الثلاثين للجنة الدائمة للاعلام العربى التي انعقدت أخيرا في قطر ما بين ١٠ و ١٦ يوليو كانت نقطة تحول هامة في الاقوال والافعال التي داب الاعلاميون العرب ان يقولوها ويفعلوها ٠٠

الاعلام مثل التموين ، من الامور التي يتعامل فيها المواطن العادى كل يوم ٠ ويسهل عليه ادراكها ٠ فالناس يقرأون الجريدة كل صباح ويسمعون الاذاعة كل ساعة ٠ ويشاهدون التليفزيون كل يوم ، وهم يتنقلون في كل ذلك بين السخط والرضا او الغبطة ؟ والغضب ٠ وقد شكا لى مسئول في الثقافة والاعلام في مصر يوم كنت رئيسا لتحرير احدى المجلات المعروفة انها عاشت بالنقد وتعيش للنقد من تلك الحملات التي يعنف فيها احد كتابنا الادباء المرموقين مع اجهزة وسياسة الاعلام الرسمية ٠ وكان الوزير محنقا غاضبا !

وكنت أعلم ان هذا المسئول ـ وهو كفء ـ من الذين يختالون باعمالهم ٠ ولا باس عليه ذلك ٠ فقد كانت له اعمال وأنشاءات لا ينكرها عليه حتى خصومه ٠ ولكن عيبه في ظني ـ أنه كان من الذين يهتمون كثيرا بالاعلام عن اعماله ! فقد كان حريصا ملحا على نشر صوره كل يوم ٠ وحريصا دءوبا على نشر شيء من مشروعاته ٠ وكان له منها الكثير ٠ ولكنه كان حفيا بالمدح يتطير من النقد ٠٠

فقلت له بلهجة الود :

ولكن هذه هي ضريبة المجد والابداع انكم تدخلون الان كل بيت حتى من غير اذن فالاذاعة والصحافة والتليفزيون اصبحت غذاء يوميا لكل مواطن وعليكم أن تدفعوا للمواطنين ضريبة الشهرة والابداع ٠

ولعل ذلك ارضى بعض خيلائه ولكن تلك المعركة القديمة ظلت واستمرت تقلق المثقفين حين ثارت قضية « الكم والكيف » الشهيرة وثارت الاسئلة حول النهضة الثقافية والاعلامية وهل تقاس بعدد ساعات الارسال التي تسمع وعدد الكتب التي تدفع للمطبعة ؟ أم ان حصار الاذان والاذهان لا يعنى شيئا حقيقيا في النهضة والتقدم ٠

وظلت القضية في الحق معلقة ، شان كل قضية « معنوية » لا يحسمها راى واحد ولا اتجاه واحد ٠٠ حتى كانت الهزيمة في ٦٧ ـ وكان من فضائلها ـ ان كان للهزيمة فضل ـ أنها عصفت بالعقول والقلوب معا فلم تترك عقلا ولا قلبا الا وهزته هزا فجعلت الجميع يتساءلون ويسالون في أساس كل شيء ٠٠ ويقلبون الامور دون



استحياء ولا يقبلونها على علاتها .. كما كان اغلبهم يفعلون ..

وكان ان صدر حكم الاعدام على الاعلام العربى في الشارع العربى وحسم كل شيء وبدأ التغيير .

ولعل مظاهره الايجابية ان الذين ينتقدون أصبحوا لا يهابون النقد متى كان هدفهم سليما او على الاقل نواياهم طيبة .. والذين يتحملون النقد أصبحوا لا يخشونه بل لعلهم يشجعون ويحرضون عليه للصالح العام .. ومن هنا تخلى الاعلام العربى عن الاعلام عن نفسه « في اغلب الاحيان » وبدأ الاعلاميون يتماثلون للشفاء من امراض المهنة وهى تضخيم الراى والنرجسية .. وبدأ التخلى في الاغلب عن افعل التفضيل : افخم واضخم واعظم واقوى وأروع الى غير ذلك من البديع الاعلامى المعروف .

وبدات هنا الروح التى تكاد تكون في اغلبها علمية رصينة فاصبحنا نسمع عن التخطيط والتنسيق والتقييم والاعلام المشترك بين الدول العربية والمنسق بين الاعلام الرسمي وغير الرسمى واصبح الاعلاميون العرب يحسون خطورة هذا العتاد الذى يملكون في ايديهم .

واية هذا الخطر انهم اصبحوا يدركون انهم يقعون لا محالة بين شقى الرحى فالعدو يحاربهم والصديق (اى الراى العام) يحاسبهم وبين حرب العدو المتربص وحساب الراى العام المتلهف لا وقت للراحة .. واية هذا الخطر ايضا ان حرب ٦٧ اثبتت في الاذهان ان العدو لم يدخل معنا معركة عسكرية فقط يحشد لها الجيش ويحسب لها الحسابات العسكرية الدقيقة بل كانت ايضا حربا اعلامية لا تقل اهمية عن حرب الجيوش والطائرات والمدمرات والصواريخ ولعل مما زاد في وطأة الالام وثقل الهموم التى خلفتها الهزيمة ان ان العدو واستطاع باعلامه لدى الراى العام العالمى ان يقلب حقنا هوانا ، وظلمه عدلا مما ضاعف المحنة والالم والفكر .

ونستطيع ان نقول باطمئنان وأمانة : ان الاعلام العربى في حرب ١٩٧٣ كان مختلفا عنه في ١٩٦٧ فقد التقط انفاسه ، وتنوعت اختياراته ، بل اتزنت نبرته ،

الاعلام العربي
ماله وما عليه



وحسنت صورته بعد ان كان في اغلبه طبلا وزمرا وصليلا وصهيلا ، بل كاد يصبح احيانا مؤثرات صوتية : اغلبها تعقعة من غير طحن ! وطبيعي أن الموقف العسكري في الحالين مختلف ، والاعلام في النهاية : صورة للواقع ومرآة له ٠٠ وقد انعكس ذلك في الاعلام الغربي ، حتى أن اسرائيل لاول مرة انشأت وزارة خاصة للاعلام بعد حرب اكتوبر ، ثم عادت الى طريقتها القديمة في الاعتماد على الاعلام غير المباشر فالغت الوزارة ٠٠

وعملت اسرائيل أثناء الحرب الى قصف الكابل البحرى بين بيروت واوروبا لتحطيم الجسر الاعلامى بين العرب واوروبا ٠٠

ولكني استطيع أن اقول رغم ذلك ان العدو لا يزال يعرف أكثر منا : كيف يحس بالرأى العام العامل ، وكيف يندس بينه ، بل ويتقن فنون التمويه والتدليس والتزوير ٠ ولا زال اعلامنا العربى رغم تقدمه الكبير ـ كلاسيكيا يعتمد على الكلمة فقط ٠٠ مع ان الاعلام العصرى لغته ليست كلها كلاما ٠ والكلمة لها رنينها ورونقها وسحرها عند العرب ٠ ولكننا نعيش في عصر الصورة المتكلمة والكلام المصور ٠٠ فنحن في عصر السينما والتليفزيون ٠٠ وقد زحفت الصورة حتى على الموسوعات الكلاسيكية والكتب المدرسية ويكفى ان نقارن بين الطبعات القديمة لموسوعة « لاروس » الفرنسية او الموسوعة البريطانية لنجد ان الطبعات الجديدة أصبحت مزودة بالصور بل وبالصور الملونة ٠ ولم نعد نقرا عندهم في السبعينات كتابا مدرسيا يخلو من الصور ، ولا توجد قصة روائية تخلو من رسوم وصور على الغلاف وفي طيات الصفحات ٠٠ فالقارىء والمشاهد في اوروبا وأمريكا في السبعينات غيره في اعقاب الحرب العالمية الثانية ٠

والعدو يدرك ذلك تماما ٠ ولا زلنا نتخلف عنه في ذلك المضمار ٠ ولا يزال اعلامنا كلاما بحتا ، واذكر انني كنت في حرب اكتوبر اتنقل بين بعض العواصم العربية في الشرق العربى والاوروبية انهض ببعض الواجب القومى والاعلامى ـ ممثلا لاتحاد الصحفيين العرب ، ولكنني كنت ابحث عن صور قصف اسرائيل للمدارس والاهداف المدنية في سوريا فلم تكن تسعفنى الصور ٠ مع ان الصورة تلخص وتركز وتوفر الوقت ٠

والاوروبيون مشغولون بطبيعتهم ٠٠ وطبيعة العصر هى التركيز والتكثيف واذكر اننى انتقدت هذا الاسلوب « الكلمة » لسليم اليافي ـ الامين العام المساعد للجامعة العربية لشئون الاعلام فقال انه احس بالنقص وانتقل اثناء حرب اكتوبر بنفسه للفريق اول احمد اسماعيل ـ القائد العام للقوات العربية المشتركة يستنهضه بأن يزوده بالصور ، واذكر ان عبور الجيش المصرى لم تلتقط له الصور الكافية ، ولم تنظم وتجهز هذه الحملة المصورة قبل العبور وقد احسسنا جميعا بمثل هذه الحاجة الى الصورة المعبرة التى تركز ببلاغة كل شىء في اطار صغير ٠ ومن هنا فان قيام الدول العربية بعرض المعارض الثقافية المصورة الحافلة بالتعبير عن ابداع العقل العربى او روائع الحضارة الاسلامية والعربية يستحق التحية والتقدير ، ومن هنا كان هذا المعرض الاسلامى الكبير الذى اقيم في لندن ناجحا كل النجاح باسلوب العصر ومقاييسه الاعلامية الجديدة ٠

ومن هنا فان الاهتمام بنقل كنوز توت عنخ امون الى امريكا والمانيا ، وفرنسا واليابان هو عمل اعلامى رائع يسير على الطريق السليم وينهج الاسلوب العصرى الملائم ٠ ونستطيع ان نقول ان اعلامنا العربى اخذ ينتقل من الكلمة البحتة الى الكلمة المصورة والصورة الناطقة ٠ وبذلك يدخل بنجاح لغة السبعينات ٠

وبهذه الروح التى توظف النقد للصالح العام كانت مناقشات اللجنة الدائمة للاعلام التى نظمتها الجامعة العربية ـ ادارة الاعلام ـ والتى حضرتها الدول العربية اعضاء الجامعة ووفود من بعض الاتحادات المهنية العربية المعنية بالاعلام الشعبى مثل اتحاد الصحفيين العرب واتحاد الموزعين العرب واتحاد الاذاعات العربية ومركز الدراسات الفلسطينية واتحاد التشكيليين العرب ونستطيع ان نقول ـ ولسنا نبالغ ـ ان الدورة الثلاثين للجنة الدائمة للاعلام العربى التى انعقدت اخيرا في الدوحة واستضافتها دولة قطر ما بين ١٠ و ١٦ يوليو كانت

نقطة هامة فى الاقوال والاعمال بين الاعلاميين العرب •

فمن الافكار الاساسية التى سادت هذا الاجتماع اعتماد الحوار مع الاخرين ـ وخاصة في اوروبا وافريقيا ـ كاسلوب من اساليب الاعلام العصرى • فالحوار العربى الاوروبى لا يكون متكافئا ولا كفئا الا اذا كان متواصلا متنوعا • لا يقتصر على الاقتصاد والبترول والمال • بل يبحث في الحضارة ، والفكر الاسلامى والعربى • وبدائع هذه الكشوف الغابرة في العصر الوسيط والعصر الحديث • ولا يقتصر الحوار عبر البحر الابيض بل يصل ويتصل بالقارة الافريقية بما فيها من قدرات وطاقات •

ولا يكون الحوار متكافئا ولا كفئا الا اذا قيمت التجارب السابقة لاستخلاص خطة المستقبل ومن هنا كانت تحية الاجتماع الثلاثين للجنة الاعلام لتلك الندوة الفكرية والسياسية التى اقيمت في بروكسل في شهر مايو الماضى وكان دورها طيبا في الحوار العربى الاوروبى ومن ثم كان الحماس كبيرا لعقد ندوات ثلاث واحدة في بغداد والثانية في نيودلهى والثالثة في افريقيا بل وكان الحماس لعقد ندوة بين نقابات الصحافة العربية الاوروبية لتعميق وتنويع اشكال الاتصال والوان التعاون لكسب مزيد من الاصدقاء وتحييد اكبر عدد من الاعداء واعتماد الحوار العميق اسلوبا للتاثير يعنى اننا انتقلنا من الحديث عن انفسنا لانفسنا الى الحديث مع الاخرين وبالاسلوب المناسب والنغمة الصحيحة •

ولقد يكون من انجح ما وصل اليه الاجتماع الثلاثون للجنة الدائمة للاعلام العربى انها بحثت خطة المستقبل حتى عام ١٩٨٠ ووضعت تصورا واقعيا يقوم على النقد والتقييم دون تطير من النقد • وان الاجتماع وبالاجماع لم يغفل خطرا كبيرا يوشك ان يغرب قدراتنا الاعلامية هو ما نسميه سوء استخدام وسائل الاعلام • فالذى لا شك فيه ان الدول العربية قد تقدمت اعلاميا في السنوات العشر الاخيرة وسوف يضطرد هذا التقدم فالصحف تزداد عددا في العالم العربى والنهضات الصحفية تشمل الخليج العربى والمغرب العربى باكملها • كما ان ساعات الارسال في الاذاعتين الصوتية والمرئية تتضاعف عاما بعد عام بل وينتقل التليفزيون العربى الى الصورة الملونة • وكل هذا العتاد الاعلامي يوشك ان يصبح خطرا على الراى العام لو استخدم دون رؤية او بصيرة قومية ، ذلك ان مثل هذه الاسلحة قد تغرى احيانا بسوء الاستخدام التى تعكس الخلافات التى ياسى لها كل مواطن عربى • شان كل قوة وعتاد • ونعنى بذلك تلك الحملات الجانبية بل لعل مما يؤلم حقا ان ينزلق بعض زملائنا من الاعلاميين الى المهاترة او الشتائم او الايلام الموجع والحملات الشخصية •

ومن هنا تحركت عن الاجتماع لجنة خاصة سميت لجنة ميثاق الشرف الاعلامى العربى • لتضع خطوطا عريضة للمبادىء الاخلاقية التى لابد ان يلتزم بها الاعلاميون العرب ـ رسميون وغير رسميين ـ ووضعت هذه اللجنة الفرعية تصورها فقالت : ادراكا لما للكلمة من جلال في تاريخنا العريق ، ومالها من خطر في حياتنا في هذه الظروف المصيرية الحاسمة التى تمر بها امتنا العربية •• اوصت باعلان ميثاق شرف اعلامى قومى يستلهم مبادئه من الخلق العربى الاصيل يقوم على الاسس التالية :

ـ ان على الكلمة العربية ان تضىء ولا تحرق ، ان توحد ولا تفرق ، وان تقوم ولا تحطم •

ـ ان لا يتعرض الاعلام لشعب اى قطر عربى بما يمس كبرياءه الوطنى والقومى •

ـ ان يلتزم رجال الاعلام الصدق في نشر الاخبار دون اللجوء الى الاثارة او الانزلاق والتهويل •

ـ ان يراعى رجال الاعلام الموضوعية من غير التواء بالحقيقة او تشويه لها عن غرض او هوى • وان تقارع الحجة بالحجة والراى بالراى وكل ذلك في اطار الالتزام بالاهداف القومية والاستراتيجية للامة العربية •

ولم تترك اللجنة هذه التوصية قولا مرسلا بل تمنت ان تتبع الافعال الاقوال • فاوصت بالدعوة الى اجتماع يضم المسئولين عن اجهزة الاعلام الرسمية في الدول العربية ونقباء الصحافة واتحاد الصحفيين العرب لوضع مشروع ميثاق الشرف العربى القومى لاقراره تمهيدا لصدوره عن اول مؤتمر قمة عربى قادم •

واذا جاز لنا القول بان هذه اللجنة الفرعية كانت ضمير اللجنة العامة او تحدثت باسم الضمير العربى ، فان الاجماع الذى ناله قرارها يجعلنا نقول ايضا ان الاعلاميين العرب اصبحوا يدركون خطر الاعلام ومخاطره وانهم يؤمنون انه لا يمكن لاية نهضة اعلامية ان تقوم على التحديث والتجديد والعلم والتخطيط فقط • بل لابد ان تقوم ايضا على العلم والخلق معا • وان طريق العلم والخلق هو الطريق السليم الذى يسير فيه الاعلام العربى هذا الاعلام الذى يقع بالضرورة بين شقى الرحى ـ لان العدو يحاربه والصديق يحاربه وعليه ان ينهض بواجبه العلمي والخلقى في الحالتين معا •

كامل زهيرى



الرسائل الأدبية

استهواني منذ الصبا الباكر ذلك اللون من ألوان التعبير الفني عن خوالج النفس الانسانية ومشاعرها والذى يأخذ قالب الرسالة الادبية ، وقد كان لى قريب قعد عن التعليم النظامى واستقر في القرية ولكنه لم ينقطع عن قراءة الادب وارتياد مجانيه ، وكان بيننا ما هو أكثر مما يوجد بين الاقارب عادة ، كانت بيننا صداقة حقيقية ما زال لها رغم تباعد المسافات النفسية والاوضاع الاجتماعية أثر يعيش في أعماق كل منا ونحسه عندما نلتقى بين الفينة والفينة ، وكان هذا القريب هو الزميل الملازم لفترة الصيف بقراءاتها وأحاديثها ونوادرها أحدثه مما كان في المدينة ويحدثني عما كان في القرية فاذا افترقنا عند انتهاء عطلة الصيف بدأت بيننا الرسائل المتبادلة يعبر فيها كل منا للاخر عما يحسه وما يمر به من تجارب وما يعتمل في نفسه من مشاعر ، وأحسست آنذاك أن تلك الرسائل كانت هى وسيلتى للتعبير عن نفسى ٠

وأذكر أن الدكتور طه حسين كان قد بدأ في تلك الفترة ـ أو بعدها مما لا أذكره تحديدا ـ يكتب في مجلة الهلال رسائل موجهة الى أشخاص غير معينين وكانت جمهرة المثقفين تقرأ تلك الرسائل وتجد فيها متعة فنية بالغة ثم تختلف فيما بينها حول من يقصد اليه طه حسين بتلك الرسائل ، وما زال يعلق في ذاكرتى بعض الالفاظ من رسالتين منهما : واحدة أكثر فيها طه حسين من كلمة «صديقتى» وذهب كثيرون وأنا من بينهم الى أن عميد الادب العربى كان يوجه تلك الرسالة القاسية الى اسماعيل صدقى الذى كان رئيسا لوزراء مصر في تلك الفترة العصيبة من الاربعينات في أعقاب الحرب العالمية الثانية ٠

أما الرسالة الاخرى فقد اكثر فيها طه حسين من استعمال عبارة « عقد في نفسك كيف شئت فمازلت افهمك ٠٠ » وما زالت هذه العبارة منقوشة في ذاكرتى وكان الواضح أن طه حسين يخاطب عملاق الادب العربى عباس محمود العقاد بتلك الرسالة التى كانت تعبر عن جفوة بين الرجلين وعن حذر شديد من العميد في مواجهة العقاد وكأن الرسالة كلها كانت تعبيرا عن قول الشاعر :

ان الاراقم لا يطاق لقاؤها وتنال من خلف باطراف اليد

وكذلك كان يفعل طه حسين كثيرا عندما يريد أن يعالج موضوعا شائكا خاصة في المرحلة الاخيرة من حياته الادبية بعد أن خفتت ثورته وهدأت حدته ٠

وبدأت بعد ذلك اهتم بأدب الرسائل في لغتنا العربية وفي غيرها من اللغات التى أعرفها ٠

والحقيقة أن الادب العربى القديم غنى بأمثال هذه الرسائل وان لم تكن في أغلبها تدور حول التعبير عن

فولتير



جبران خليل جبران

اميل زولا



ميخائيل نعيمه



طه حسين



توفيق الحكيم

مشاعر ذاتية وخوالج نفسية وتجارب خاصة وانما تدور حول قضايا فكرية وفلسفية أو حول ما يقال له الاخوانيات وهى أقرب صور الرسائل القديمة الى الرسائل الادبية في صورتها المعاصرة ·

ولعل أشهر الرسائل واطولها وأعمقها واكثرها اثارة للاهتمام في الادب العربي القديم هى « رسالة الغفران » لابى العلاء المعرى ، تلك الرسالة التى كتب عنهـا من الدراسات الجادة مالم تحظ به رسالة اخرى ولم تقتصر تلك الدراسات عن رسالة الغفران على اللغة العـربية وحدها وانما تعدتها الى كل اللغات الحية ·

وقد كانت « رسالة الغفران » بمثابة جواب على رسالة تلقاها أبو العلاء من صديق له يقال له على بن منصـور القارح أثار فيها عددا من القضايا والتساؤلات وطلب فيها من فيلسوف المعرة الرأى ·

وهكذا انتجت قريحة أبى العلاء رسالة الغفران التى تقع في كتاب كامل تزيد صفحاته على المائتين وفيها تصور الشيخ عن الحياة الاخرى ذلك التصور الذى شغل الادباء وما زال يشغلهم حتى يومنا هذا الى المدى الذى كان فيه موضوع رسالة الغفران محلا لكثير من رسائل الدكتوراه في الجامعات العربية والاجنبية ·

وليست « رسالة الغفران » هى الرسالة الوحيدة ذات المضمون الفلسفى في التراث العربى القديم بل ان للكندى رسائل تتمحض للموضوعات الفلسـفية ولا تتطرق الى غيرها وواحدة من هذه الرسائل اسمها رسالة الكندى في الفلسفة الاولى وهى موجهة من الفيلسوف العـربى الى أحد أمراء عصره من مشجعى الثقافة وهواتها ·

ولعل أبا بكر الخوارزمى أن يكون من أكثر الكتـاب العرب القدامى اهتماما بفن الرسالة الادبية وقد أحصى له البعض أكثر من مائة وخمسين رسالة تدور حـول موضوعات الادب والسياسة والاجتماع والفلسفة أحيانا ، وكلها تلتزم أسلوب السجع وتميل الى غير قليل من الصنعة والتكلف التى بدأت تظهر بوضوح في الاداء العـربى في القرن الرابع الهجرى وما بعده ·

ولم تختف الرسالة الادبية في أدبنا العربى الحديث ولعل من أشهر كتاب هذه الرسائل طه حسين الى كثيرين مـن معاصريه وعلى الاخص رسائله الى محمد حسين هيكل ورسائله الى توفيق الحكيم ، كذلك فان لجبران خليل جبران مجموعة ضخمة من الرسائل كتبها الى صديقه ميخائيـل نعيمه · وهذه الرسائل على خلاف الرسائل القديمة تدور في جملتها حول المشاعر النفسية والتجارب الذاتية وان لم تخل من اثارة قضايا أدبية وفكرية وسياسية ·

واذا كان هذا هو شأن الرسالة الادبية في أدبنا العربى فان شأنها في الاداب الاوروبية لا يقل عن ذلك ان لم يزد · ومن أكثر من اهتموا بالرسائل الادبية الكاتب الامريكى لنكولن شوستر الذى جمع عددا ضخما من الرسائل لكثيرين من مشاهير الرجال في العالم في مجلدين كبيرين · وفي هذه المجموعة نجد رسائل لاعلام من أمثال باكون وفولتير وبيرون ونيتشة واميل زولا ومارك توين ·

وقد قام الاستاذ محمد بدران بترجمة عدد غير قليـل من هذه الرسائل في كتاب ظهر في منتصف الاربعينات من هذا القرن تحت عنوان « أشهر الرسائل العالمية » ·

ومن أدباء الغرب الكبار الذين اشتهروا بكتابة الرسائل الادبية الاديب الفرنسى الكبير « اندريه جيد » والرسائل بينه وبين الشاعر « بول كلوديل » والكاتب « فرانسيس جيمس » معروفة ومنشورة ·

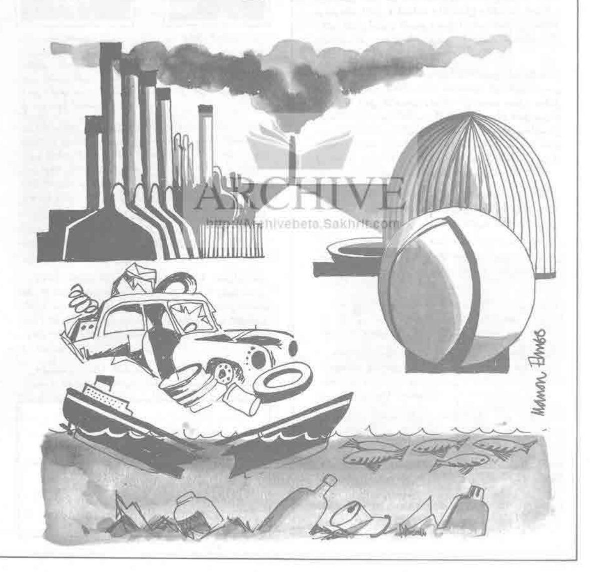
وقد كتبت أغلب هذه الرسائل لا لكى تنشر ، بل ولعل بعض أصحابها لو كانوا يعلمون أن تلك الرسائل ستنشر في يوم من الايام لترددوا طويلا قبل كتابتها ·

ولعل من أروع وامتع وأعمق مجموعات الرسائل التى كتبها صاحبها ولم يكن يدور في خلده يوم كتابتها انها ستنشر في يوم من الايام مجموعة رسائل توفيق الحكيم الى صديقه الفرنسى « اندريه » والتى نشرت تحت عنوان « زهـرة العمر » ويقينى أن تلك المجموعة الرائعة تحتـاج الى حديث خاص ·

● افضل شيء يفعله المرء أن يقسم جميع الناس الى فئتين : أصـدقاء وأغراب · والاصدقاء هم الذين نحبهم الى درجـة الثرثرة دائمـا عنهـم ، والاغراب هم الذين لا نعرف عنهم الا القليل ·

د. علي العناني

قصتنا مع التلوث



أخذ الحديث يكثر عن البيئة وتلوثها • وبدأت تعابير كثيرة كامراض البيئة وحماية البيئة تبـــدو اكثر الفة لنا • ولست اخفى ان الحديث عن البيئة ليس بالحـديث الذى تشتهيه النفس لمـا ينبه اليه من مخاطر كانت غائبة عنا • وفي حديثى هذا اود ان اوضح الاسباب التى ادت الى تلويث البيئة ثم انتقل بعد ذلك الى ذكر امثلة لكيفيـة بيان اضرارها وننتهى بعد ذلك الى ذكر امثلة لكيفيـة استغلال بعض النفايات حماية لانفسنا وبيئتنا •

مشكلة التلوث بدأت تطفو على السطح نتيجة لعاملين اساسيين • اما اولهما فيعود الى الازدياد الرهيب في عدد السكان الى الدرجة التى يتوقع معها ان يتضاعف هذا العدد مرتين قبل نهاية القرن الحالى على رقعة محدودة من الارض• هذه الزيادة يتبعها بالضرورة استهلاك متزايد مما يؤدى الى مخلفات اكثر تلوث البيئة وتضر بها • ويعود ثانيهمـا الى العصر التكنولوجى الذى نعيش فيه وما فرضه مـــن تغييرات في عاداتنا ادت الى تلويث زائد للبيئة • وقـد اطلق الغرب على هذه العادات Throw - away - habbits ومثال ذلك قلم الحبر الجاف تستعمله ثم تلقى به بعيدا • يضاف الى هذا التنافس بين الشركات الذى ادى الى خلق المغريات للمشترى تدفعه دفعا الى مزيد من الاستهلاك وبالتالى الى زيادة النفايات • وتدل الاحصاءات على ان هذه النفايات قد تصل حاليا الى الاربعين مليون طن من الورق واحد عشر مليون عربة وستين بليون زجاجـة بليون علبة معدنية •

يلاحظ القارىء أن الاحصاءات أعلاه لا تشمل النفايات الغازية القادمة من مداخن المصانع وعوادم السيـارات ، ومداخن البيوت ، ومن هذه يكون الخطر الاكبر • فقـد لوحظ مثلا ان النباتات التى تنبت بالقرب من طــرق المواصلات الرئيسية تكون شاحبة ملتوية اعناقها عـــلى النقيض من تلك التى تنبت على الطرق الفرعية • وعند تحليل عينات تشمل المنبتين وجد ان السبب في ذلك يعود الى الرصاص المضاف الى محرك السيارات منعا لتصفيقه ، ويخرج هذا الرصاص من عادم السيارة ليهلك النبـات • والبنزين ـ وقود السيارة ـ يحوى القليل من عنصـــر الكبريت الذى يتاكسد ليخرج من العادم على شكل غـــاز ثانى اكسيد الكبريت ـ الغاز الخانق والمهيج للجـــلد • وهو ان لامس المـاء اعطى حمضا اهلك النبات والشجر • والكربون الذى يخرج من عادم السيارة كذلك فيعمل على امتصاص تجميع الغازات السامة التى يستنشقها الانسان من بعد فتجد طريقها الى رئتيه لتجللهما بالسواد ! ولا يغيبن عن البال غاز اول اكسيد الكربون الذى يصدره العـــادم الى اجسامنا فيقلل من قدرة الدم على حمـــل الاكسجين فيها او المركبات السرطانية الناتجة عن عدم الاحتراق الكامل للبنزين مثل المركبات المعروفة ببنزوبيا يرونز Benzgoyrones المسببه للسرطان • واطارات السيارات ليست اكثر رأفة بنا فهى مصنوعة من المطاط الذى يتاكل فيطير في الهواء الذى نتنفسه فيلوثه •

الاسماك تموت !

والتقدم الصناعى جلب معه الحاجة المتعاظمـــة الى الطاقة • والزيت الخام او البترول هو المصدر الرئيسى لها كما لا يخفى على احد ، ولكنه طاقة ملوثة • ومن أبرز القصص عن تلوث البيئة بسببه ما حدث في بريطانيا من عشر سنين خلت • والقصة ان سفينة كانت تمخر البحر الانجليزى وهى محملة بالزيت الخام فاذا بعطب يصيبها • وكان ان تسرب الزيت وكون طبقة زيتيـــة على سطح الماء ادت الى نقص في الاكسجين المذاب فيه • وكان ذلك سببا في موت الوف الاطنان من الاسماك والى المزيد منه بقتل الطيور التى علقت بالزيت • ولم تقف الاضرار عند ذلك فقد انتقلت الطبقة الزيتية الى فرنسا وعملت هناك ما عملته في بريطانيا تقريبا • وهكـــذا نرى أن الزيادة في عدد السكان صاحبها نقص في الموارد الغذائية للتلوث • ولما كان في القصص حياة وعــبرة لن اتفى فاتنى ساورد قصة اخرى أحدث من سابقتها • شوهدت اعداد هائلة من الاسماك تطفو في نهر شارانت بفرنسا • وكان ذلك سببا بعد ان احترق احد المصـــانع القريبة ، مما ادى الى تسرب الكحول المحترق الى النهر ، فكان أن وصلت كمية الاكسجين في الماء الى الصفر وبالتالى الى موت الاسماك وطفوها • وقد قدرت الخسائر باكثر من خمسة عشر مليون دولار • فهذا تلوث للاسماك مهلك لها عاد وتكرر في صورة اخرى •

البحر لا يهضم التلوث !

والبحر المتوسط لم ينج أيضا من التلوث • ولقد ورد حديثا خبر عن حوت يعيش في هذا البحر قذف بنفســـه من مياهه الى الشاطىء المحاذى لاحدى الجزر ومات في الحال متأثرا من وجود نسبة عالية من مادة الزئبق في جسمه • وتبين بالبحث ان مصدر الزئبق النفايات التى تقـذف بها المصانع الايطالية في مياه البحر المتوسط • هـــذا بحر ـ على اتساعه ـ يعجـــز ان « يهضم » التلوث او يتسامح عنه الى مالا نهاية • ومما يزيد من وضوح هذا العجز المحارات البحرية المصـــابة بالسرطان ونتجت اصابتها لتلوثها بمواد هيدروكربونية القت بها المصانع بمداخنها ومياهها الى البحر • وان اردت برهانا لا يكذب فعرض محارة ســـليمة لهذه المواد لترى كيف تصـــاب بالسرطان • ولقد فرض التلوث في مياه البحار والمحيطات ايجاد علاقة متوازنة بين بعض انواع الاسماك في احدى



المناطق المائية بالولايات المتحدة اذ قلت مواردها الغذائية فانتظمت صفا تتقدم السمكة لتأخذ غذاءها الى ان تنتهي فتتبعها السمكة التى تليها في الصف وتخلص من حوارنا السابق الى أن التقدم الانسانى أدى الى تقدم وانجاز علمي باهر خطف التلوث شيئا من بريقه وارى اننا ما دمنا نتحدث عن ضرورة التصنيع في بلادنا فلابد ان يواكبه حديث اخر عن حماية البيئة · ولنتعلم من تجارب غيرنا وكيف أضر التلوث الناتج عن التصنيع ببعض المناطق ضررا بات معه اغلاق المصانع امرا لا مفر منه · وجال ببالي خاطر آخر مر على بال الشاعر العربي القائل – واظنه المتنبى – ·

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى

عدوا له ما من صداقته بد ·

والمبيدات أيضا !

اتاني هذا الخاطر وانا اقرأ عن تلويث الانسان للنبات الذى يأكله نتيجة لاستعمال المبيدات الحشرية · فهذه المبيدات تقى النبات من آفاته ، ولكن وجد انها تخلف وراءها مكونات تبقى على النبات فتضر بآكله أشد الضرر · وقد تصيبه بالسرطان · ومن هنا ارتفعت بعض الاصوات تلح في الرجاء ، مطالبة بايقاف هذه المبيدات · وكانت الحكومة الهندية احدى الدول التى استمعت الى الرجاء ومنعت استعمال المبيدات · ولقد نتج عن هذا المنع تعرض ثلاثين مليونا من الناس هناك للموت جوعا بسبب تلف المحاصيل · وهذا العدد هو اضعاف العدد الذى قدر انه سيموت نتيجة التغذية على النبات الملوث · ولقد ادركت الهند وحكومتها ان ثمن الحياة موت قليل فقررت الحظر من استعمال المبيدات ·

انه يحلو لى تسمية التلوث الناتج عن استعمال المبيدات تلوثا اجباريا فلا حيلة لنا في منعه بعد · وهناك التلوث الاختيارى ولنا كل الحيلة في منعه · ومثال ذلك محبو الرحلات البرية يحملون زجاجات الماء البلاستيكية · فان هم شربوا الماء رأى بعضهم ان احسن حل لتخفيف حمولتهم هو القاء الزجاجات الفارغة · وليتهم يدرون ان هذه الزجاجات مواد لا تهضم وهى تخدع الماشية فتظنها طعاما تلتهمه فاذا هى تتسمم منها لانها لا تقدر على هضمها · فهذا تلوث من صنع ايدينا ولنا الحيلة كل الحيلة في منعه ·

ما هو الحل اذن ؟

الصورة التى وضحت بعض معالمها في قصة التلوث فيها ملخص الحديث · زيادة في عدد السكان يتبعه زيادة في الانتاج وزيادة في الاستهلاك· نقص في الموارد الغذائية مع تلويثها في بر او بحر وما تلحقه في الانسان من أمراض وعلى رأسها مرض السرطان البيئي ·· والسؤال يكون : اذا ما الحل ؟ والى أين المسير ؟··

وحتى لا يكون رد الفعل اكبر من الفعل نفسه فانني

أحب أن أذكر بحقيقة علمية هامة وهى أننا لا نحصل على شيء مقابل لا شيء · فالورد معه الشوك ، والدواء معه الاعراض الجانبية غير المستحبة ، واللذة يعقبها الالم · ومن ثم وجب أن يصحب التقدم الصناعى شيء من التلوث ، ومن هنا ايضا ، وحتى لا نخرج على حقائق الحياة أرى ان الحل يكون بتقليل التلوث ، ومضاعفاته · وارى ان السبيل لكل هذا يكون أولا : بالوقاية وأقسامها التالية :

المعارضة ومثال ذلك ما جاء في الاخبار حديثا بأن المزارعين في اليابان يساندهم الطلبة قد قاموا بمظاهرات صاخبة مطالبين بالتخلى عن فكرة انشاء مطار جديد بالقرب من مزارعهم خشية تلوثها ، وبالتالى الاضرار بمزروعاتهم · ومن قبل قامت في بريطانيا مظاهرات تطالب بوقف استخدام طائرة الكونكورد منعا للتلوث الصوتى ·

والمعارضة قد يكون لها وجه اخر مثل ضرورة الالحاح على وقف استعمال كل ما يضر بالمحاصيل الزراعية دون سند خلقى · وهذا يعود الى ان التلوث مشكلة متصلة وجب قطع الرأس منها · فتلويث النبات يؤدى الى تلويث الانسان أو الحيوان – وهو غذاء للانسان · وليس ببعيد هنا حكاية الولادات الشاذة التى نتجت عن استخدام بعض المركبات الكيماوية الخانقة في الحروب مثل مادة ديوكسين Dioxin تراه ماذا كان يقول المعرى لو سمع عن أم تجنى على الاطفال في بطون أمهاتها ؟ أما انا فعندى ان هذا تلوث خلقى نتج عنه شذوذ خلقى ·

وثانيا : بالدعوة الى الحد من النسل وهو أمر أرى أهميته · ولقد قلت مرارا من قبل بأن النمو والتناسل ضرورتان انسانيتان – لكنهما كأى شيء اخر – ضاران ان فاضا عن الحد · وكما ننظر الى النبات كيف ينمو وجب

ان ننظر اليه كيف يموت اذا ما نما بسرعة • وان اردت التحقق في هذا الامر فاضف الى النبات بعضا من المركبات الدافعة للنمو لترى كيف تظهر أورام في الاجزاء المختلفة منه كالساق والاوراق • وسرعان ما ترى كيف يموت النبات • فهذا برهان لنا على ان التكاثر السريع عــدو للحياة وليس بالضرورة محافظا عليها • والحد من النسل يقلل من الاستهلاك وبالتالي من النفايات الصادرة عنه •

وأرى ان زيادة الوعي البيئي هي خير ما ينجينـا من التلوث ، والجهل هو الذي جعل بعض الناس يعتاد على حرق بطاريات الرصاص للتخلص منها او طلب اللهـو عنـد الاطفـــال • وكانت المضاعفات لذلك اختناق بسبب استنشاق الهواء المحمل بالرصاص وآلام في البطن وتخلف عقلي عند الاطفال ، وخط اسود عند تقابل الاسنان مع اللثة •

وقد بدأت التوعية البيئية تأخذ طريقهـــا في مدارس الدول الغربية تحذر الناس من الملوثات ، وتفهمهم أنها كأي مرض اخر ، الوقاية منه خير من العلاج •

وقد لا تنفع الوقاية ولا زيادة الوعي البيئي في منـع التلوث فلا يبقى الا علاجه • والعلاج قد يحسن فيخفف المرض او يسوء فيزيد منه • ومن امثلة ذلك علاج تلوث الماء بالزيت وكان يعتمد على رش الزيت بمواد كيماوية تحلله ، أو تجعله ينتشر على مساحات واسعة • ووقف الانسان بعد ذلك أمام فشله حين وجد ان المواد الكيماوية تتفاعل مع مكونات الزيت الخام ليكون التفاعل مــواد أشد خطرا • ولجأ الباحثون الى طرق اخرى منها مرور النفاثات بسرعة فائقة فوق الطبقة الزيتية فيتخـــثر الزيت ويسقط الى القاع • ولجأ اخرون الى استعمال شباك الصيد فوق الطبقة الزيتية ليعلق الزيت عـــلى الشباك • واعتمد فريق اخر على حرق الزيت • وهـذه طريقة اخرى خاطئة ان يكون احد نواتج الحرق غـاز ثاني اكسيد الكبريت المهلك للنبات • وعلاج التلـوث يعتمد على نوع التلوث ودرجته • وفي الولايات المتحدة يزرع نبـات النردين القـادر على امتصـاص الملوثات كالرصاص • وبنزين السيارات ينتج عن حرقه غـاز أول اكسيد الكربون الســام واضافة المثانول الى هـــذا البنزين يعمل على تقليل نسبة تكوين هذا الغاز •

ان العقول البناءة هي التي تعمل على تحويل ما يضـر الانسانية الى ما ينفعها ، وهذا سيكون موضوعا لحديث مقبـل •

ويبقى السؤال الكبير الى اين المسير ؟ وهل هنــالك حل شامل ؟ ان تقدم الوســـائل التكنولوجية قد فـــتح المجال واسعا امام كشف الملوثات من البعد مهما صغرت في نفسها • وامتد النجاح الى امكانية استشعارها مـــن الفضاء ، في وقت كان الانسان يعتمد فيه على الطـــير اذ هو يرفرف بشدة اذا تواجد في مناطق ملوثة كتلك التي بالقرب من مناجم الفحم • ومن اطرف التجارب في الكشف عن الملوثات تلك التي اقامها العلماء حديثا على شعور اطفال مدارس يعيشون في مناطق متدرجة الازدحام ووجـدوا فيها ــ اى الشعور ــ مخزنا للمــواد الملوثة القادمة من عوادم السيارات كالرصاص ، وان اكثـــر الاطفال تلوثا كانوا اكثرهم معيشة في الاماكن المزدحمة شأنهم في هذا شأن النبات ، فهل من عودة للشعر القصير فهو اقل « حضانة » للملوثات من الشعر الطويل ؟

التلوث والعلاقات الاقتصادية

اني ارى للتلوث تأثيرا في العلاقات الاقتصادية بين الافراد والمجتمعات • وليس ببعيد عنا ما قام به عمـــال بعض الصناعات الامريكية بمطالبتهم لعلاوة عدوى أسوة بالاطبــاء مستندين في أحقيـــة مطالبهم الى مكتشفات وانجازات علمية دالة كل الدلالة على خطورة ما يقومون به من عمل • والتلوث يحب الانتقال والاسفار ويعشق ركوب الريح والطفو على سطح الماء ، والاختباء في جذور واوراق النبات دون ان يحمل معه بطـــاقة شخصية أو جواز سفر • وبسبب هذه الهجرة اتفقت دول بـــلاد البحر المتوسط على العمل يدا واحدة للحيلولة دون انتشار التلوث ، وتسير على الطريق دول الخليج العـــربي

لم يقف التلوث في فرض تغييرات على مفاهيم الناس عند هذا الحد ولن يقف • فالدعوة تعلو الى اســـتعمال العربات الصغيرة دون الكبيرة فهي اقل تلويثا للبيئة • وفي الولايات المتحدة يتقاسم الناس عربة احدهم لفترة ما ثم يتقاسمون عربة أخرى وهكذا • ان التلوث قد فرض تغييرا على عقلية التباهي بأشياء تبدو كبيرة لكنهـــا في مخلفاتها الضارة اكبر • ولا تحسبن ان الانسان وحده قد تأثر وأعاد حساباته فكل كائن حي فعل ذلك كالاسماك وما اسلفت مـــن حديث عنها • والكائنات الدقيقـــة البحـــرية تلقى عليها مياه المصانع فيموت منها يمـوت ويقاوم ما يقاوم ، وينتعش ما ينتعش ، وبهذا تتغـير نسبة هذه الكائنات في البحر

وماذا بعـد ؟

اننا نرى ان الحياة تتغير فيها الاولويات والعـــلم الحديث يعطى العلم البيئي مكانا متقدما من الاولية • ودليل ذلك مواد جامعية أدخلت لاول مرة مثل كيميـــاء التلوث • وليس بقليل عدد المجلات العـــلمية الدورية المتخصصة التى تعالج هذا الهم ، وليس بأقل منهـا تلك الكثرة من الكتب التى تحمل نظرة للمستقبل فيها الكثير من التشاؤم ككتاب « لاند » المشهور « تحدى البقاء » • بقاؤنا ذاته فيه تحد : فهل نكون أهلا لهذا التحدى ؟

الغاضبون بعد فوات الاوان


فدوى طوقان •

منذ شهور ظهر كتابي الاخير « صفحات مجهولة في الادب العربي المعاصر » ، وقد طبع هذا الكتاب وتمكنت بعض النسخ من التسلل الى بعض العواصم العربية ، واستطاعت هذه النسخ ان تفلت من نيران الحرب الاهلية المفجعة في لبنان . وان كانت معظم نسخ الكتاب ما زالت محبوسة داخل بيروت مع الاف الكتب الاخرى التي تمت طباعتها في بيروت ولكنها لم تر النور ، لان الظلام الشامل قد عم لبنان واغرق كل شيء فيها ، ولا ندري متى يشرق النور في لبنان من جديد •

على ان النسخ التي خرجت من كتابي الى بعض العواصم العربية المختلفة قد وجدت استقبالين مختلفين تماما ، فبعض الكتاب وافق على ما اثاره الكتاب من قضايا ، والبعض الاخر رفض الكتاب وغضب عليه اشد الغضب •

والى هؤلاء الغاضبين اتوجه بالحديث ، ليس دفاعا عن كتابي ، فانا لا استطيع ان ادافع عن شيء كتبته وانتهيت منه ، لا احب ذلك ولا اسعى اليه ، ولكنني هنا أريد ان ادافع عن شيء اخر هو « انسانية الادب العربي » •• او بالاحرى اريد ان ادافع عما ينبغي ان يتوفر للادب العربي من روح الصدق والاخلاص والامانة •

وحتى يتبين القارىء الذي لم يطلع على كتابي حقيقة القضية ، فاني اقول ان كتاب « صفحات مجهولة » يضم سبعة عشر رسالة كتبها الاديب والناقد المصري المعروف انور المعداوي الى الشاعرة الفلسطينية الكبيرة فدوى طوقان ، وتكشف هذه الرسائل عن قصة حب كبيرة بين الناقد المصري والشاعرة الفلسطينية ، ولا يكتفي الكتاب بما جاء في الرسائل من احداث ووقائع بل يكشف عن جوانب اخرى في حياة فدوى طوقان وفي حياة انور المعداوي وفي حياة عدد اخر من الادباء العرب المعاصرين • ويعتمد الكتاب على منهج واحد محدد هو مناقشة القضايا المختلفة للحياة الادبية بمنتهى الصراحة وبدون اى محاولة لاخفاء شيء او التستر على شيء ، وقد قلت في مقدمة الكتاب انني ترددت اول الامر في نشر هذه الرسائل لانني لست واثقا من ان الحياة الادبية تستطيع ان تتحمل ما يمكن ان تكشفه هذه الرسائل من جوانب شخصية صريحة تتصل بالمعداوي وفدوى طوقان وادباء اخرين ، كما ان هذه الرسائل قد فرضت على من ناحية اخرى ان اكشف عما اعلمه من جوانب خفية في حياة المعداوي مما قد ترى تقاليدنا الادبية أنه غير سليم •• كل ذلك لان حياتنا الادبية ما زالت في جو من المحافظة والكتمان واستنكار المصارحة في الكشف عن حياة الادباء المعاصرين في اضواء ساطعة من الوقائع والحقائق •

هذا هو ما قلته في مقدمة الكتاب ، وقد صح ما توقعته ، فتعرض الكتاب للهجوم العنيف من بعض النقاد •

لماذا هاجموا الكتاب ولماذا غضبوا ؟••

كل الذين هاجموا الكتاب يقولون لى : لماذا تكشف اسرار المعداوي ، ولماذا تكشف بعض اسرار فدوى طوقان ؟ ان هذه الاسرار في نظر الغاضبين تسيء الى المعداوي وفدوى ، والى صورتهما المثالية النقية في اذهان القراء العرب •

وانا اتساءل : اين كان هؤلاء الغاضبون من قبل ؟•

اين كانوا عندما كان انور المعداوي يعيش في مصر من سنة ١٩٥٥ الى ١٩٦٥ وهو مطعون يلاقي الوان العذاب من الحياة الادبية والثقافية لا لشيء الا لانه ناقد حر جريء يقول ما يؤمن به في وجه الجميع ؟••

لماذا لم يرتفع صوت هؤلاء الغاضبين بالدفاع عن هذا الناقد ، وبالدعوة الى حمايته من المشاكل التي تعرض لها ؟ لماذا لم نسمع صوت الغاضبين عندما طرد انور المعداوى من وزارة التربية والتعليم بحجة انه تغيب عن العمل اكثر من خمسة عشر يوما •• ولم تشفع له كتاباته ولا مكانته الثقافية عند كبار موظفي الوزارة ؟ لماذا لم يتحرك هؤلاء الغاضبون للدفاع عن انور المعداوى •• عندما كان يحمل كتبه الى الناشرين ، فيرفضها الناشرون خوفا مما تتضمنه من آراء ادبية صريحة ضد ادباء لهم نفوذ ولهم مكانة اجتماعية ؟ لماذا لم يرتفع صوت هؤلاء الغاضبين بالدفاع عن المعداوى عندما قاطعته الصحف والمجلات الادبية جميعا ؟

لماذا لم يتحرك هؤلاء الغاضبون للدفاع عن المعداوى عندما مرض سنوات عديدة ولم يجد من يعالجه ، ثم مات فجاة في الخامسة والاربعين من عمره سنة ١٩٦٥ ، فلم يشهد جنازته اديب ، ولا كاتب ، ولا مثقف ولا صحفي . بل حملت امه ـ التي كانت تعيش معه ـ جثمانه الى قريته حيث شيعه الفلاحون كمواطن لهم ، ولم يكونوا يعرفون عنه شيئا اكثر من هذا ؟ لماذا لم يغضب هؤلاء الغاضبون من اجل اهمال كتابات انور المعداوى بعد وفاته ؟ لماذا لم يغضبوا لنسيان اسمه تماما منذ وفاته الى اليوم ؟ لماذا لم يغضبوا من اجل هذا كله •• ثم يجيئون اليوم ليغضبوا لانني قمت بنشر رسائله الى فدوى طوقان ، وكشفت عن جوانب المحنة التي كان يعيش فيها هذا الناقد الفنان ، وهي المحنة التي يمكن ان يعيشها اى كاتب او فنان اخر طالما ان الظروف الثقافية واحدة لم تتغير •

وقد غضب هؤلاء الغاضبون ايضا من اجل فدوى طوقان •

غضبوا لانني كشفت عن قصة حب لها مع انور المعداوى •

وغضبوا لانني كشفت عن قصص حب أخرى لفدوى طوقان مع عدد اخر من الادباء رغم انني قلت في مقدمة الكتاب ان الحب بين المعداوى وفدوى طوقان لم يكن « حبا شائنا او علاقة آثمة ، بل على العكس لقد كان حبا طاهرا عفيفا مثاليا ، وكان في نهاية الامر حبا غير واقعي حتى ان الحبيبين ـ فيما اعلم ـ لم يلتقيا على الاطلاق وانما اكتفيا بتبادل الرسائل وكتابة الاشعار حول هذا الحب » •

وهكذا كانت كل قصص الحب في حياة فدوى طوقان ، وهي قصص عرفتها وكشفت عنها في كتابي كما كشفت عن اثارها في شعر فدوى طوقان •

لم يغضب هؤلاء الغاضبون على ما عانته فدوى طوقان في حياتها الاجتماعية والعاطفية من قيود قاسية ، عبرت عنها في شعرها بمرارة وحزن عميق • لم يغضبوا بسبب الحياة الصعبة التي عاشتها فدوى وانتهت بها الان الى الوحدة والبعد عن المجتمع والناس ، بينما كان باستطاعتها ان تعيش وتنطلق وتؤثر في المجتمع العربى لانها انسانة موهوبة ومثقفة وحساسة ومليئة بالطموح لكل ما هو خير وجمال •

ولكن فدوى راحت ضحية للقيود الاجتماعية القاسية التي كانت تحاصرها وتراقبها وتحاسبها على كل بيت من الشعر تكتبه وتكشف فيه عن عاطفة لها نحو اى انسان •

وفي ظل هذه القيود امتلات حياة فدوى بالاحزان ولم تستطع هذه الفنانة ان تتحرر من احزانها واغلب ظنى انها لن تستطيع •

وبقيت وهي الفنانة المبدعة والانسانة الحساسة بلا زوج ولا حبيب الى اليوم •

اين كان هؤلاء الغاضبون من قبل ؟ لماذا لم يدافعوا عن حرية المراة الفنانة الموهوبة في المجتمع العربي ؟ لماذا لم يصرخوا من اجل ان تاخذ فدوى مكانها الحقيقي في مجتمع الادب والناس • لماذا لم يتساءلوا يوما عن السبب الذى منع فدوى طوقان من ان تتزوج من هؤلاء الادباء والشعراء الممتازين الكثيرين الذين احبوها وعرفوا قدرها وقيمتها كانسانة وفنانة ؟••

ادباء ومواقف

لقد نشرت في كتابي « صفحات مجهولة » جزءا من رسالة عثرت عليها لفدوى طوقان وكانت هذه الرسالة موجهة آلى شاعر مصرى كان يحبها ويتمنى الزواج منها ٠

تقول فدوى في هذه الرسالة :

« ٠٠ انني ما زلت اتلوى من الالم كلما ذكرت ذاك اليوم الذى تنكرت فيه النفوس ، وعبست فيه الوجوه من أجل رسالة تلقيتها من شاعر مصرى ، اتصلت بينه وبينى اسباب الاخوة ، فتراسلنا حينا من الزمن الى ان كانت تلك الرسالة البريئة . واذا انا يحظر على ان اتخذ لاماكي واحلامى نجيا كائنا من كان ٠٠ لقد كتبت عن الوحدة ، انني افنى شيئا فشيئا ، وان اعصابى لتتحطم تحت ضربات هذه الحياة القاسية ، فمتى يدنو يوم الراحة الكبرى منى ٠٠ » ٠

وفي رسالة اخرى كتبتها فدوى الى شاعر مصرى اخر كان يحبها ويتمنى ان يتزوجها فلم يستطع بسبب القيود الاجتماعية التى حاصرت فدوى بقسوة ٠

في هذه الرسالة تقول فدوى طوقان :

« ماذا اقول ؟ انا خائفة ، ان قلبى يكاد ينفجر في صدرى مما يملؤه ، انا لا استطيع ان اقوم بكل هذا العبء ، فخذ انت بيدى نأشدتك الله ، واعنى على مقاومة هذه العواطف الجامحة ، واتوسل اليك ان تقطع رسائلك منى ٠٠ لا ، لا اريد ان تكتب الى بعد اليوم ، كن عونى على هذا البلاء العظيم ، اننى اضيق به ولا اطيق له احتمالا . فوداعا ٠٠ »

هذه بعض جوانب المأساة التى عاشت فيها فدوى طوقان ، والتى قمت من جانبى بمحاولة للكشف عنها في كتابى « صفحات مجهولة ٠٠ » ٠

وقد غضب الغاضبون لاننى كشفت بعض اسرار الشاعرة الكبيرة ٠

لم يغضبوا من اجل الالم الذى عاشت فيه هذه الشاعرة ، لم يغضبوا من اجل القيود التى حطمت انطلاق روحها ، وحطمت السعادة التى تستحقها ، والتى كان يمكن ان تحصل عليها ، لولا التزمت بالقيود العنيفة التى حاصرت حياتها ٠

لم يغضبوا من اجل تطوير المجتمع العربى ،وتطوير الوضع الانسانى للمراة وللرجل في هذا المجتمع ولكنهم غضبوامما اعتبروه كشفا لاسرار لا يصح ـ في نظرهم ـ ان يتعرض لها احد لانها اسرار خاصة ٠

لم يغضبوا من اجل الالام الكبيرة وانما غضبوا دفاعا عن القيود والتقاليد ، ودفاعا عن الزيف الذى يملأ حياتنا الادبية والانسانية ، وهو الزيف الذى يفرض على المحزون ان يبدو سعيدا ،ويفرض على المجروح ان يغنى وجراحه تنزف ٠٠ لم يغضبوا من اجل فدوى والمعداوى عندما تعرضا لاقسى المحن ، وانما غضبوا لان هناك من تجرا على أن يعلن حقيقة الامر ويقدم عريضة اتهام لحياتنا الاجتماعية والادبية بقصد التطوير والتحرير ، لم يغضبوا في الوقت المناسب ٠٠ عندما كانت هناك امور يجب الغضب من اجلها ٠٠ امور سيئة يجب تعديلها والقضاء عليها ، وانما غضبوا الان بعد فوات الاوان ٠٠ بعد أن مات المعداوى ، ورضيت فدوى بمصيرها الحزين واستسلمت له ٠

انهم غاضبون ٠٠ سبقهم الزمن وغاضبون من اجل قضية خاسرة ، فلابد من كشف الحقائق الادبية والانسانية باكملها حتى يتحرر مجتمعنا من امراضه وقيوده ، وحتى لا يسقط ـ كما قلت في مقدمة الكتاب ـ بعد اليوم اديب او فنان موهوب لانه حرص على كرامته ورأيه الحر ، ولا يموت مريضا لانه لا يجد بيئة صالحة تكشف عن مرضه مهما كان هذا المرض عنيفا وقاسيا ، ولا يضيع

عاشق صادق لان مجتمعنا لا يحب العشاق الصادقين الا اذا قيدوا انفسهم بالف قيد وقيد ، ولا ت
ذكرى انسان موهوب حساس مثل انور المعداوى بعد صراع طويل مع المرض والالم لان مجتمعنا لا يذكر الا الصاخبين اصحاب الاصوات المرتفعة والذين حرصوا على الدوام أن يكون لهم جاه واتباع وجماعات تستفيد من ذكراهم وتستغلها على مر الايام ..

فيا أيها الغاضبون ..

اغضبوا ..

ولكن من أجل شيء حقيقي وجميل .

عتاب على توفيق الحكيم

ما اكثر ما يحمله القلب من عتاب على توفيق الحكيم في هذه الايام .. ولكنني لن اتحدث هنا عن كل ما أريد أن اعاتب فيه كاتبنا الكبير ، فسوف أعود الى ذلك في فرصة أخرى ، وان كنت اعتقد ان العتاب على توفيق الحكيم يحتاج الى كتب لا الى مقالات . وساكتفى بالعتاب على توفيق الحكيم في موقف واحد اثاره في الايام الاخيرة .


توفيق الحكيم

لقد سافر توفيق الحكيم في الشهر الماضي الى باريس ليحضر مؤتمرا ثقافيا ضم عددا من كبار المفكرين في العالم لمناقشة القضايا الانسانية المختلفة وقد ناقش هؤلاء المفكرون قضايا الثقافة والتعليم وغيرهما من قضايا العقل الانساني المعاصر .

وقد تابعت وقائع هذا المؤتمر وما كتبته عنه الصحف ووكالات الانباء المختلفة ، وكنت انتظر اجابة على سؤال واحد محدد هو :

ماذا قدم توفيق الحكيم في هذا المؤتمر الثقافي الكبير عن قضايانا الحارة الراهنة ؟ ماذا قدم عن قضية الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية وماذا قدم عن قضية فلسطين ، وماذا قدم عن قضية لبنان وما يجرى فيها من احداث اليمة ؟.. بحثت وبحثت ، فلم اجد شيئا على الاطلاق ، ومن هنا كان عتابى على توفيق الحكيم .

عاصمة عالمية عظيمة مثل باريس ، ومؤتمر ثقافي كبير يحضره عدد من أهم المفكرين العالميين ، ومع ذلك لم يحاول توفيق الحكيم أن يلقى بيانا واحدا حول قضايانا ، حتى يستمع الرأى العام الاوروبى منه الى ما نعانيه ، حتى ينطق بما يحس به ضميرنا من أحزان وآلام وهموم ، حتى يساهم في كشف ما يلقاه العرب على أيدى اعدائهم من حروب في شتى المجالات ، فتتعرض أرضهم للاحتلال ويتعرض شعبهم في فلسطين ثم في لبنان للهلاك .

ان توفيق الحكيم من الادباء العرب القلائل الذين استطاعوا ان يعقدوا صلات حقيقية ببعض البيئات الثقافية الاوروبية ، وخاصة البيئة الثقافية في باريس ، مما كان يجعل لصوته قيمة وتاثيرا لو انه تكلم هناك ونحن في المقابل نجد كل الادباء اليهود والمتعاطفين مع الصهيونية يتحدثون دائما وفي كل مناسبة عن اسرائيل ويداهنون عنها ، واذكر في هذا المجال الكاتب الفرنسى المسرحى « يونسكو » ، هذا الكاتب الذى لا يدخر فرصة ولا مناسبة الا واهتم بالحديث عن اسرائيل والدفاع عنها . وهناك « سارتر » و « سيمون دى بوفوار » اللذان يدافعان عن اسرائيل دائما وفي كل مناسبة رغم ما احاطهما به العالم العربى كله من اهتمام وود وترحيب بانتاجهما الفكرى والفنى في

ادباء ومواقف

الخمسينات والستينات ، ورغم انهما زارا مصر وغزة ، وعرفا ما يجرى في مخيمات اللاجئين من احزان وآلام !..

هذا ما يفعله اليهود والمتعاطفون مع اليهود في مجالات الاعلام الاوروبى المختلفة . ومن هنا تاتى مسئولية اديب عربى كبير مثل توفيق الحكيم في موقف مثل مؤتمر المثقفين والمفكرين العالميين في باريس كان باستطاعة توفيق الحكيم ، بل كان من واجبه ان يضع على جدول اعمال المؤتمر قضايا الوطن العربى . ولكنه لم يفعل . قد يقال هنا ان المؤتمر كان يناقش القضايا الثقافية فقط ، ولم يكن في جدول اعماله ان يناقش اى قضايا سياسية.

وهنا اتساءل :

لنفترض ان ذلك كان صحيحا . الم يكن باستطاعة توفيق الحكيم ان يعقد مؤتمرا صحفيا يتحدث عما يريد وعما ينبغى ان يتحدث فيه من التعبير عن قضايانا أمام الراى العام العالمى ، وتوفيق الحكيم قادر بثقافته وفهمه للفرنسيين ـ فقد عاش هناك طويلا ودرس الثقافة الفرنسية دراسة عميقة .

اقول : ان توفيق الحكيم كان قادرا على ان يعقد مؤتمرا ويلقى بيانا مناسبا على الصحفيين الفرنسيين ويناقشهم في هذه القضايا .

كان باستطاعته ان يقول في بيانه شيئا عن احزاننا العربية الكبيرة . ولكن توفيق الحكيم سكت ولم يتكلم .

ذهب الى باريس وعاد ولم يتكلم .

اشترك في مؤتمر فكرى كبير ولكنه لم يتذكر انه جاء من وطن مجروح وان لجراح الوطن حقا على مفكريه الكبار لا ينبغى ان يهملوه .

انها مجرد كلمة عتاب ..

فقد كنت انتظر ان يكون توفيق الحكيم صوتا لنا .. ولكنى لم أسمع هذا الصوت . لقد سكت توفيق الحكيم في باريس .. كما سكتت شهر زاد عن الكلام المباح .. عندما طلع الصباح .

وارجو ان لا يكون سكوت توفيق الحكيم في مؤتمر المثقفين في باريس نموذجا يحتذى عند ادبائنا ومفكرينا الذين يذهبون الى عواصم العالم ويشتركون في مؤتمرات الفكر والثقافة .

فالكاتب الحقيقى المخلص ينبغى ان يعلم انه يخسر كثيرا ويخطىء كثيرا اذا نسى آلام امته واعتبر الحديث عن هذه الالام لونا من الترف أو نظر الى هذا الحديث على انه شىء غير ضرورى وغير مطلوب .

انه خطأ من توفيق الحكيم .. وانى لارجو ان اسمع من كاتبنا الكبير تعليقا وتفسيرا لهذا الموقف الذى لا مبرر له .

رجاء النقاش



كان يوسف بن هارون الرمادى ، شاعرا من شعراء الملك الاندلسى المنصور بن عامر · وكان ابن عامر يعتز به · وحدث أن الرمادى اشترك في مؤامرة ضد ابن عامر ، مع جماعة من أهل الادب · فحكم عليه ابن عامر على صديقه ، بأن يقاطعه سائر الناس في قرطبة ، ولا يبادله الكلام منهم أحد ، فمضى الرمادى الشاعر يهيم على وجهه ، وكأنه ميت ، بين نصف مليون من السكان ، لا يخاطبه منهم أحد ، ولا يرد أحد له على سؤال ، ولا يجيب مطلبا ، ثم أشفق عليه ابن عامر فعفا عنه ، وأذن لاهل قرطبة في محادثته وأعاده الى مجلسه ·

وانصرف الرمادى بعد هذا الحادث الى الشعر ، والحب فقال شعرا كثيرا ، رومانتيكيا ، رائع الجمال ، في جارية مليحة ، اسمها خلوة ، أحبها من أول نظرة ، رآها في الجانب الغربى من مدينة قرطبة ، على الطريق المؤدى الى اشبيلية ، حيث كانت حوانيت العطور وأدوات الزينة ، بالقرب من باب العطارين ، أحد أبواب مدينة قرطبة السبعة ·

يروى الرمادى قصة حبه فيقول :

« كنت أجتاز الطريق عند باب العطارين ، بقرطبة ، فرأيت جارية مليحة أخذت بمجامع قلبى ، وتخلل حبها جميع أعضائى ، وانصرفت عن طريق مسجد النخيلة ، وجعلت أتبعها وهى تصعد الطريق نحو قنطرة الجسر القديم على الوادى الكبير ، واجتازت الجارية القنطرة ، حتى وصلت الى رياض بنى مروان ، المحيطة بقبورهم خلف النهر ، في الربض ·

ونظرتنى الجارية منفردا عن الناس ، لاهمة لى غيرها ، فأقبلت على · وقالت :

ـ مالك تمشى ورائى ؟

فأخبرتها بعظيم بليتى بها ، فقالت لى :

ـ دع عنك هذا ، ولا تطلب فضيحتى ، فلا مطمع لك في البتة ولا الى ما ترغبه سبيل ·

فقلت لها :

ـ انى أقنع بالنظر ·

فرنت الى ، وتبسمت ، وقالت :

ـ ذلك مباح لك ·

فقلت لها :

ـ يا سيدتى : أحرة أنت أم مملوكة ؟!

فقــالت :

ـ لانه شبب بعمتى

فقال له معاوية

ـ وما قال ؟

فقال يزيــد :

ـ قــال :

طاب ليلى ، وبت كالمحزون
وملت الثواء في جيرون

فقال له معاوية :

ـ وما علينا يا بنى من طول ليله وحزنه ، أبعده الله ؟!

فقـال له يزيد :

ـ انه يقـول :

ولذاك اغتربت بالشام حتى ظن أهـلى مرجمات الظنون
الظنون

فقال له معاوية :

ـ وما علينا من ظن أهله ؟!

فقـال له يزيد :

ـ انه يقـول :

هى زهراء مثل لؤلؤة الغـو
واص ميزت من جوهر مكنون

فقال له معاوية :

ـ صدق ، وهى بحمد الله كذلك ·

فقـال له يزيد :

ـ فانه يقول :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ
راء ، تمشى في مرمر مسفون

فقال له معاوية :

ـ ولا كل هـذا ·

ثم ضحك ، وقال ليزيد :

ـ وما قال أيضا ؟

فقـال له يزيد :

ـ قــال :

قبة من مراجل ضربوها
عند حد الشتاء في قيطون
عن يسارى اذا دخلت البـا
ب ، وان كنت خارجا عن يمينى

فقال له معاوية :

يا بنى لا يجب القتل في هذا · والعقوبة دون القتـل · تضربه فيزيد في قوله · ولكنا نكفه بالتجاوز والصلة

ووصل معاوية عبد الرحمن بن حسان ، وصرفه ·

د. محمد عمارة



الأمة العربية في مواجهة التحديات الأمس واليوم



أمم كثيرة واجهت ، في فترات مختلفة من تاريخها ، تحديات كبرى ، طرحت في ساحاتها ذلك السؤال الذى يقض المضاجع : نكون ؟ ام لا نكون ؟!٠٠ ومع ذلك كانت هذه الامم ، بعد ان استجمعت قواها ، والقت بين عوامل قوتها ، واجادت تصويب اسلحتها كلها الى مقاتل الخصوم الذين فرضوا عليها تلك التحديات ٠

امم كثيرة صنعت ذلك ٠٠ ومع هذا تبقى امتنا العربية منفردة بكثرة ما فرض عليها الخصوم من تحديات وبضراوة ما شن ضدها من معارك ، وباستمرارية ذلك الصراع بينها وبين خصوم لها رغم تعاقب القرون ، واختلاف الديانات ، وتغير الدول وتطور المحتوى الاجتماعي لانظمة الحكم التى تسوم عندنا او عند هؤلاء الخصوم !٠٠

فالموقع الحاكم الفريد : يغرى ! والتحكم في طرق التجارة الدولية قديما ، وامتلاك الثروات الطائلة حديثا : يسيل اللعاب ! وكونها مهد النبوات ومهبط الرسالات وموطن الالهام ، ومن ثم صانعة حضارات تميزت بالملاحظة والتجريب وامتازت بنموذج من العقلانية التى وازنت بين الروح والجسد ، والدين والدنيا ، حتى لقد تفلسف فيها الدين وتدينت الفلسفة !٠٠ كل ذلك اصبح مصدر قلق ورعب لقوى وانظمة وانماط تفكير ومصالح صمت للقضاء على هذه الامة ، ففرضت عليها سلسلة من التحديات الكبرى والصراعات التاريخية التى كادت ان تصبح ، لتتابعها بمثابة ـ القانون ـ الذى يحكم علاقة هذه الامة بهؤلاء الخصوم ، عبر تاريخنا الطويل !٠

فموجة الغزو التى قادها الاسكندر المقدونى (٣٥٦ ـ ٣٢٣ ق٠م) وما اثمرته من دول ونظم ، قد استمرت سيطرتها بالمنطقة الى ان حررتها منها فتوحات العرب المسلمين ، عندما لبس الشرق ثياب الاسلام السياسية واستخدم شجاعة المسلمين العسكرية فدفع تلك الموجة الغازية بعد عدة قرون من السيطرة والانفراد بالسلطة والسلطان ٠

وموجة الغزو الصليبى التى جاءت في العصر الوسيط (١٠٩٧ ـ ١٢٩١م لما حرره العرب بعد الاسلام ، اقامت كياناتها ، وفرضت تهديدها ، وزعت مخاطرها ، حتى هب اعصار المقاومة الذى اقتلع جذورها ، مستخدما في ذلك دول الفروسية وانظمة العسكر التى بدأت بالزنكيين (١١٢٧م) في الموصل فالايوبيين (١١٧م) فالمماليك (١٢٥٠م) بالقاهرة ٠

اما غزاة الحضارة الصناعية الرأسمالية ، في الغرب الحديث ، اولئك الذين بدأت موجتهم ببونابرت (١٧٩٨م) فلا تزال امتنا تعالج ذيول موجتهم هذه حتى هذا التاريخ

فهى تحديات تكاد استمراريتها ان تجعل منها « قانونا »

يحكم علاقات هذه الامة بمواطن هؤلاء الغزاة ٠٠ ومن ثم فان الدارس لتاريخ هذه الامة يجد نفسه امام « تحديات » قد بلغت من العنف والكثرة الى الحد الذى كادت ان تصبح « ظاهرة » من ظواهر هذا التاريخ ٠

اذن فنحن امام « تحديات » بلغت من العنف والكثرة والتكرار الى الحد الذى جعلها ويجعلها مما « تتميز » به هذه الامة عن كثير من الامم التى اصطدمت في مسيرتها بألوان من التحديات ٠

ومن ثم فلابد وان تكون بازاء خاصية لهذه الامة جعلتها تنتصر تلك الانتصارات غير العادية على تلك التحديات غير العادية ، وهى الانتصارات التى لم تضمن ، فقط بقاء هذه الامة ، عندما استعصت على الفناء أو الذوبان في الغزاة ، بل جعلت من اللحظات التى بلغ فيها الخطر ذروته وتصاعد فيها التحدى الى القمة ، لحظات التجدد والتطور وامتلاك ادوات التقدم والصعود الى طور جديد من اطوار تقدم هذه الامة عبر تاريخها الطويل ٠٠ فنحن اذن امام امة تمتلك استجابة من النوع الفريد تقدمها عندما تشتد عليها الاخطار وتطبق عليها المحن وتحدق بها التحديات ٠٠ وهذه ولا شك، احدى القسمات الهامة في شخصية هذه الامة ، تستحق الدرس الموضوعي ، الذى يقيم الامس ، ويعين على مواصلة السير في ذات الطريق !٠٠

بعد عام الفيل

كانت الحملة العسكرية الحبشية على وسط شبه الجزيرة العربية ، والتى اشتهرت بغزوة الفيل (٥٧٠م) بمثابة بلوغ التحدى الموجه للعرب ، ولشعوب هذه المنطقة الذروة ٠٠ وفي ساحاتهم طرح السؤال : نكون ؟ او لا نكون ؟!٠٠

فالروم البيزنطيون كانوا قد فرضوا سلطتهم على مصر واجزاء الشمال الافريقى الواقعة الى الغرب منها ، وتعقبوا لغة مصر وتقاليدها ومذهبها الدينى حتى اضمحل منه ما اضمحل وذبل ما ذبل وفر الى اديرة الصحراء وكهوف الجبال ما استعصى على الاضمحلال والذبول ٠

ثم هم قد فرضوا سلطتهم وسلطانهم على الشام ، وسطا وشمالا وجنوبا ، وهناك نشروا مذاهبهم في النصرانية بين العرب « الغساسنة » الذين تحولوا الى جند في جيش بيزنطية ، يساقون الى محاربة الفرس الذين جند هم ايضا عرب العراق « المناذرة » بعد ان استبدوا بمقدرات بلادهم ، فاصبح عرب الغساسنة وعرب المناذرة يحارب بعضهم بعضا ، لحساب الغير وقودا في ذلك الصراع التاريخى بين الاكاسرة الفرس والقياصرة الروم !٠٠

وهم كذلك ــ اى الروم البيزنطيون ــ قد اعانوا الحبشة على غزو اليمن فانتزعتها من استعمار الفرس فتحقق بهم بذلك احكام القبضة على اغلب اجزاء المنطقة ، حتى لم يبق بعيدا عن هذه القبضة سوى المنطقة الاكثر فقرا والاشد وعورة : وسط شبه الجزيرة العربية ٠٠ فكانت غزوة الفيل المحاولة التى استهدفت استكمال السيطرة ، والحيلولة دون اختمار ، او نمو اية ردود فعل تتمثل فيها المقاومة التى تتصدى للتحدى الذى بلغ الذروة واوشك ان يحقق كل ما يريد !٠٠

وليست بمهمة ، ولا هذا مكانها ، تفاصيل وحقائق الاسباب التى اثمرت فشل غزوة الفيل ٠٠ وانما المطلوب هو معرفة نوع الاجابة التى اجاب بها اسلافنا على هذا التحدى في ذلك التاريخ ٠

فغير الطير الابابيل ، تذكر مصادر التاريخ مقاومة القبائل العربية لجيش ابرهة ومهاجمتها له على طول طريقه من اليمن في اتجاه مكة ٠٠ وتذكر قصة ذلك الدليل « العربى » الذى خان قومه فدل ابرهة على الطريق ــ واسمه « ابو رغال » ، وكيف مات ، فرجم العرب قبره ، بل وظلوا يرجمون هذا القبر حتى بعد الاسلام ، اذ ظل المسلمون ــ دينا ــ يرجمون في الحج ، رمز الشر ممثلا في ابليس ، وظلوا كذلك ــ وطنية ــ يرجمون ، في كل الاوقات رمز الخيانة الوطنية والقومية : « ابو رغال » !٠٠

ولقد اثمر تقدم الخطر والتحدى الى منطقة القلب ، التى ظلت وحدها بعيدة عن السيطرة والاحتواء ، اثمر ذلك نمو الحس التوحيدى لدى عرب وسط شبه الجزيرة ،

● لم يستطع الطالب كتابة درس الاملاء التحريرى جيدا ٠ فكتب ملحوظة في نهاية الورق قال فيها : « لقد خلعت اسنانى أمس ٠ ولهذا لم أستطع نطق الكلمات كما يجب » !

● أرادت الزوجة التي يزداد وزنها باستمرار ، ان تشجع نفسها على عدم تناول الطعام بين حين وآخر ، فالصقت على باب الثلاجة صورة حسناء نحيلة القوام في ثياب الاستحمام ٠

ونجحت الحيلة ، وفقدت السيدة حوالى ثلاثة كيلو جرامات في أسبوع ، ولكن زوجها لم يستطع الابتعاد عن الثلاجة بسبب الصورة ، فزاد وزنه ثلاثة كيلوجرامات في نفس المدة !

فأسرعوا الخطو في تطورهم نحو التوحيد ، بانتشار اللغة الادبية الواحدة ، وعن طريق الاسواق والمهرجانات ومواسم الحج ، وسلام الاشهر الحرم ونشأة المنطقة الحرام ·· الخ ·· الخ ، ثم بحكومة اشراف مكة التى تطلعت الى خارج حدودها ·

وعندما تمكن عرب الجنوب في اليمن ، من تحرير بلادهم ـ بقيادة سيف بن ذى يزن ـ جاء الى بلاطه ممثلو حكومة مكة ، يجددون الصلات ، ويوثقون الروابط ، ويوحدون الجهود ، واقاموا هناك شهرا كاملا ينجزون فيه هذه المهام ·

ثم كان ظهور الاسلام بمكة ، قلب وسط شبه الجزيرة على يد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، الذى ولد عام الفيل ؟·· وكان التوحيد الدينى جوهر رسالته الدينية ·· ومنذ البداية بدأت تبرز افكار وأهداف التوحيد السياسى والقومى للعرب ، باعتباره الوجه الثانى للعملة الواحدة ، والسبيل لانحسار موجة الغزو وخطر التحديات التى اطبقت او كادت على العرب من كل اتجاه ·· وسمعنا من تلك الكلمات التى تحدث بها الرسول عليه الصلاة والسلام ، الى عمه ابى طالب في مراحل الدعوة الاولى ، عندما حدثه عن التوحيد الدينى الذى تجسده شهادة ان لا اله الا الله ·· وكيف ان لعملة التوحيد الدينى هذه وجها اخر سيقود العرب ، ان هم اتبعوه ، الى كنوز كسرى وملك قيصر ! يقول الرسول لابى طالب : يا عم ! انما أدعوهم الى كلمة لا يوجد خير لهم منها ·· كلمة تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم ·

وفي يثرب ـ المدينة ـ حيث كان اليهود قد غزوها بعد شتاتهم ، وكما يقول الجاحظ (٧٧٥ ـ ٨٦٨م) استعمروها بالسيطرة على واحاتها الزراعية ، وحولوا عربها الى « موالى » ـ مواطنين من الدرجة الثانية ـ الامر الذى اسرع بعرب يثرب الى الايمان بالدين الجديد ، وابرام عقد تأسيس الدولة العربية الاسلامية مع الرسول في بيعتى العقبة ، حتى لا يسبقهم اليهود الى تلك الراية ·· فكانت الدولة التى قدر لها ان تقود الفتوحات التى انهت سيطرة بيزنطية على الشرق ، وتغير من الخريطة السياسية والحضارية للعالم ، وتشكل تاريخه على نحو جديد ·· بعد ان خيل لخصوم هذه الامة ، يوم غزوة الفيل ، ان بداية نهايتها قد اصبحت قاب قوسين او ادنى ·

فبعد كتب الرسول ورسائله وسفاراته الى الحاكمين في فارس والشام ومصر والحبشة ، تقدمت الجيوش العربية ، منذ اواخر عهد ابى بكر وخلال خلافة عمر بن الخطاب ، تقدمت في المشرق والمغرب والشمال ، لا لتعتدى ·· فهى لم تحارب ، اساسا ، العنصر الوطنى ، وانما حاربت ، اساسا ، حاميات الروم البيزنطيين ·· ولا لتفتح

الأمة العربية في مواجهة التحديات
الأمس واليوم



فتحا دينيا تدخل الناس بواسطته الى دين الله الجديد ، فالايمان تصديق بالقلب ، اى باليقين ، واليقين ، غير التسليم ، ومن ثم فلم ولن يعرف التاريخ السيف سبيلا الى اليقين !·· ثم لقد كان هذا الفتح موجة من الانتشار الواسعة ، اسهم فيها بدور بارز : الاعراب ــ الذين انخرطوا في هذا المد القومي والسياسى ، دون ان يدخل الايمان بالدين الجديد الى قلوبهم والمؤلفة قلوبهم : الذين حاربوا بالاجر للايمان وعرب الشام والعراق : الذين انخرطوا في الجيش العربى الفاتح دون ان يغيروا ديانتهم ·· فحارب نصارى العرب الغانيون تحت قيادة المسلمين ضد نصارى الروم البيزنطيين ــ دون ان يدفعوا الجزية ــ فاسهموا في بناء الدولة العربية بعد تحرير ولاياتهم من سيطرة الروم ·· وقبط مصر : الذين اعانوا على فتحها ، وساعدوا جيش عمرو بن العاص ضد الحاميات البيزنطية ·· وكذلك فعل البربر في الشمال الافريقى ، الامر الذى اثمر امبراطورية اجتمعت عناصرها الوطنية فتسلحت بشباب الدين الجديد واستعانت بفتوة المؤمنين به ، على دفع السيطرة الاجنبية عن ارضها وانجزت هذه المهمة في سنوات قليلة ، بينما حدث التعريب والتحول الى الاسلام ، من قبل الاغلبية ، في عدة قرون ، كآية عملية حضارية تبدأ وتنمو وتكتمل وفق ما تحدده لها سنة التطور من قوانين ·

وما على الذين يريدون ان تطمئن قلوبهم الى الصلة الوثيقة بين دولة المسلمين الكبرى وفتوحاتهم العسكرية المظفرة وتوحيدهم القومى لتلك المنطقة اجابة على التحديات التى هددت وجودهم وقهرا للاخطار التى كادت تطبق على آخر معاقلهم المستقلة عام الفيل ·· صلة كل ذلك برسالة السماء اليهم ، ودعوة القرآن لهم كى يؤمنوا برسوله الكريم ·· ما على الذين يريدون ان تطمئن قلوبهم الى هذه الحقيقة وتلك الصلات الا أن يتأملوا تلك الاية القرآنية التى تحدثت عن اثر الاسلام على وحدة العرب ، وكيف مهد لهم انجاز تلك المهمة التى انقذتهم من ذلك التمزق والشتات الذى كانوا عليه يوم سقط معظمهم في براثن اعدائهم ، فاصبحوا فريسة تتخطفها الطيور والجوارح المتمثلة في المخاطر والتحديات « البيزنطية ــ الفارسية » لقد كادت التحديات ان تميتهم ثم كانت استجابتهم للتوحيد القومى احياء لهم جابهوا به هذه التحديات ·

يقول الله سبحانه ، للعرب في كتابه : (يا أيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ·· ثم يذكرهم بما كانوا عليه فيقول : (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ، تخافون ان يتخطفكم الناس، فاواكم ، وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات ، لعلكم تشكرون ·

اما التحديات التى تمثلت في هؤلاء الناس الذين كانوا يتخطفون العرب ، فلقد عرفها العرب الذين نزل عليهم القرآن جيدا ، وادركها المفسرون لاياته عندما قالوا : ان الخطاب هنا موجه للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدى فارس والروم ·

هكذا حدثت اولى وحدات العرب القومية في التاريخ ، وهى الوحدة التى امتدت برباط التعريب وقسمات العروبة بعد الفتوحات لتشمل ما بين الخليج والمحيط ·

ومنذ عصر تلك الفتوحات ، وحتى اليوم ، وقف كل الدارسين مشدوهين امام ظاهرتها وخاصة تلك السرعة القياسية التى تمت بها ·· والبعض قد نسب ذلك الى الغيب ، بينما ارجعه اخرون الى ضعف الخصوم وشيخوخة نظمهم العسكرية والحضارية ·· وظل الكثيرون بعيدين عن ان يبصروا الدور الحاسم لتلك الخاصية التى امتازت وتميز بها شخصية هذه الامة : الرؤية والبصر الواعى ، عندما ما يحدق الخطر ، لسر تفوق الخصم ، وتحصيل هذا السر وامتلاك اسبابه ثم الاستجابة القوية والايجابية للتحديات ، وتحويل اللحظات التاريخية التى يخيل فيها للخصوم انهم قد اوشكوا على جنى الثمار الى لحظات الهزيمة لمخططاتهم ، والانطلاق الى رحاب دور حضارى جديد على درب تطور هذه الامة الدائم والطويل ·

وليس غير رصد هذه القسمة من خلال صراعات هذه الامة العديدة ، عسكرية أو فكرية أو حضارية ، السبيل لجلاء ما تمتاز وتتميز به هذه الامة في هذا الميدان ·

● قال الزوج لزوجته :

ــ قد تكون لى عيوب كثيرة ، ولكن ليس بينها اننى على خطأ !

● تحت عنوان « مطلوب » نشر صبى في العاشرة من عمره اعلانا في احدى صحف لانكشير البريطانية قال فيه :

« مطلوب الاتصال برجال كانوا في السنة الخامسة الابتدائية في عام ١٩٢٣ وكانوا يعرفون أبى في ذلك الحين · والغرض من ذلك ، معرفة ان كان تلميذا مجتهدا حقا كما يقول لى أم لا »·

د. سـعيد محمد المهـدى

نقل التكنولوجيا إلى العالم الثالث



اجتاحت العالم الثالث ثورة عارمة ضد الفقر والتخلف منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وبروز الدول التى اشتملت بعدها . ومصطلح العالم الثالث ابتدعته المؤتمرات والمحافل الدولية للتعبير عن ذلك الجزء من العالم الذى خرج من نطاق السيطرة السياسية الاجنبية ، والذى يحاول تدعيم استقلاله الاقتصادى والسياسى ، والذى يضم الدول الاكثر عددا والاقل تقدما .

والمشاكل التى تواجه العالم الثالث اليوم هى ان موارده من النقد الاجنبى تعتمد على المواد الاولية فيما يستورد اغلب احتياجاته من السلع المصنعة .

وقد تنبه قادة العالم الثالث ودول عدم الانحياز في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية الى أن الخروج من بؤرة التخلف والفقر لا يكون ممكنا الا بوضع سياسة للتنمية الاقتصادية يتبع فيها اسلوب التخطيط لاستكمال بناء الاقتصاد الوطنى وادخال تنويع اكثر في المنتجات ، والصادرات لرفع مستوى شعوبه الفقيرة .

وشعر العالم الثالث انه مهضوم الحقوق ومظلوم من جانب الدول المتقدمة الغنية التي وضعت الاتفاقات حول التجارة الدولية والنظام النقدى الدولى والتمويل الدولى

والعالم الثالث يقطنه ٧٠٪ من سكان العالم بينما يملك ٣٠٪ من ثروة العالم والعكس صحيح بالنسبة للدول الصناعية المتقدمة التي يسكنها ٣٠٪ من سكان العالم وتملك ٧٠٪ من ثروته . وقد أحدث هذا تفاوتا ضخما في مستويات المعيشة والتقدم العلمى وعدم عدل في توزيع الثروة توزيعا عادلا .

ازاء هذه الاوضاع الجائرة الشاذة تكتلت دول العالم الثالث المنتجة للمواد الاولية وكونت لها مجموعات دولية كبيرة ضاغطة ومؤثرة . ومن ضمن هذه المجموعات مجموعة الدول المنتجة والمصدرة للبترول والدول العربية المنتجة والمصدرة للبترول وتكتلت الدول النامية المنتجة للمواد الاولية الاخرى في المؤتمرات الدولية للدفاع عن حقوقها المشروعة . وعقدت الجمعية العمومية للامم المتحدة جلستها الخاصة السادسة في مايو ١٩٧٤ لطرح موضوع المواد الاولية والسيطرة على الموارد الوطنية على النطاق العالمى . وقدمت اقتراحات بناءة عديدة لتمكن الدول النامية من السيطرة على مواردها الوطنية وتسويقها باسعار مجزية .

وعندما رفعت الدول المنتجة والمصدرة للبترول اسعاره عقب اكتوبر ١٩٧٣ زادت مواردها النقدية — غير أن هذه الزيادة .. وبخاصة في الدول العربية والافريقية — لم تمح مظاهر التخلف الاقتصادى في هذه الدول ولم ينتج عن هذه الزيادة في الموارد النقدية نقل للتكنولوجيا والثروة الحقيقية من الدول الصناعية الى الدول العربية والاخرى المصدرة للبترول ، ولم يزد دخل الفرد كثيرا - مثلا اذا ما نظرنا الى الدول العربية كمجموعة يقدر عدد سكانها بنحو ١٣٥ مليون نسمة ويقدر دخلها بحوالى ١٠٥ مليار دولار عام ١٩٧٤ منها حوالى ٦٠ مليار دولار من البترول ، فان متوسط دخل الفرد فيها لن يجاوز ٨٠٠ دولار مما يضعها في مصاف الدول النامية ذات الدخل المتوسط كما يقول الدكتور حسن عباس زكى ، بل ان بعض الدول العربية ذات الكثافة السكانية العالية نسبيا لا زالت متوسطات دخول افرادها لا تدخل حتى ضمن فئة الدول المتوسطة الدخل .

ان الحل الناجع لمحو تخلف دول العالم الثالث المنتجة للمواد الاولية ومن بينها البترول هى أن تبدأ التنمية الاقتصادية الصناعية . ولكن كيف تستطيع أن تحقق ذلك وهى لا تملك الوسائل الفنية لذلك . انها غنية بمواردها الطبيعية والبشرية ولكنها تفتقر الى الخبرة الفنية اللازمة لتشييد الصناعات ومكننة الزراعة وتصنيع المواد المنتجة من الارض للاستهلاك المحلى وتصدير الفائض . والدول الفقيرة حتى لو أرادت أن تزيد من امكاناتها الزراعية لا سبيل لها الى ذلك بالوسائل التقليدية اذ لابد لها من أن تتوفر لديها المياه والاراضى والسماد والآلات الزراعية اللازمة لفلاحة الارض واستخراج خيراتها . وفي كل هذا تعتمد على الدول الصناعية المتقدمة فلم تستطع حتى الان تصنيع الآلات الزراعية اللازمة للثورة الخضراء أو حتى تجميعها . وتحتاج في هذا الصدد الى النقد الاجنبى الذى تجنيه ببيعها للمواد الاولية بابخس الاثمان للدول المتقدمة .

وظهرت الان وسط الدول النامية تيارات قوية لتحقيق نوع من التكامل الاقتصادى لان المال يتوفر في بعضها وفي البعض الاخر تتوفر المواد الاولية والعمالة والسوق . وقد قامت في بعض الدول النامية بمساعدة بعضها بعضا بعض الصناعات الاستخراجية أو التحويلية بقصد توفير المواد الخام أو السلع نصف المصنعة لتوفير احتياجات صناعاتها الوليدة أو زيادة وتنويع صادراتها . والزراعة والصناعات الزراعية هى التى تتزايد الان حجما ونوعية في دول العالم الثالث عندما تبين لها أن العالم بعد الانفجار السكانى في حاجة الى الحبوب واللحوم .

دورة استثنائية

وشعورا منها بهذا وحماية لمصالحها دعت دول العالم الثالث الى دورة استثنائية للجمعية العامة للامم المتحدة في عام ١٩٧٤ . وكان من ابرز الدول النامية الداعية لهذه الدورة جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية التى القى رئيسها سيادة الرئيس هوارى بومدين خطابا

نقل التكنولوجيا الى العالم الثالث

ضافيا امام الجمعية العمومية وذكر الرئيس بومدين في خطابه ان الدورة الاستثنائية التى تعقدها الجمعية العمومية تأتى كنتيجة للتوتر الذى يسود الحياة الدولية ٠ وقد عبر المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز بالجزائر عن هذه المرحلة الحاسمة في العلاقات الدولية التي تتسم بسيطرة الدول المتقدمة على العالم من الناحيتين السياسية والاقتصادية والتكنولوجية مما أفقد دول العالم الثالث الفرصة للدفاع عن مصالحها وسيادتها وقضاياها الاقتصادية والاجتماعية العادلة ٠

وقد اتضح جلياً من الدورة الاستثنائية السادسة للامم المتحدة أن الامن والسلام الحقيقى في العالم يستلزم توزيع ثروته وخبراته التكنولوجية توزيعا عادلا ، وذلك بسيادة اسلوب جديد في الشئون والحياة الدولية ٠

وبدل أن تتسم العلاقات الدولية بالتعاون والاعتماد المتبادل (Mafual Inteidependence) سادها طابع المواجهة الشاملة (Confrontation) بين الدول الغنية والدول الفقيرة ٠٠ الدول التي تملك التكنولوجيا والدول التى لا تملكها ٠ وقد خلق هذا الوضع مناطق توتر وصراعات جديدة في مناطق العالم الثالث التى تكتسب اهمية استراتيجية في الوضع العالمى الراهن ٠

ولو أن عدم الاستقرار الداخلى في البلدان يسببه عدم توزيع الثروة فان عدم الاستقرار في العالم يسببه عدم توزيع التكنولوجيا التى ترغب فيها الدول النامية لتحقيق التنمية التى تعتبرها اولوية الاولويات لمحو الفقر والبؤس الذى يشد بخناقها ٠

ان البلاد المتقدمة اذ تسيطر على الاسواق الاستهلاكية في العالم واذ تتمتع باحتكار شبه مطلق في صناعة المنتوجات المصنعة ومواد التجهيز الى جانب احتكارها لرؤوس الاموال والخدمات ، قد تمكنت من ان تحدد حسب هواها ، ومصالحها ٠

- **اسعار المواد الاساسية التى تاخذها من البلدان النامية ٠**
- **اسعار البضائع والخدمات التى تزود بها هذه البلدان ٠**

وبهذا استطاعت أن تجد نفسها في موقع يمكنها من خلال طرق عديدة أن تبتز لصالحها ثروات بلدان العالم الثالث ٠

وللدفاع عن مصالحها لجأت بعض بلدان العالم الثالث الى التاميم كعمل من أعمال التنمية واستعادة السيطرة على مواردها الطبيعية الامر الذى اجازته الدورة الاستثنائية السادسة في مايو ١٩٧٤ بعد أن اقتنع ممثلو الدول بعدم عدالة النظام الاقتصادى الدولى الراهن الذى يتعارض أساسا مع روح ميثاق هيئة الامم المتحدة واغراضه ومقاصده التى تتلخص في ترقية ونهضة العالم اقتصاديا واجتماعيا ٠ واعلنت الدورة السادسة للامم المتحدة بحزم عن عزم الامم على اقامة نظام اقتصادى عادل يقوم على العدل والانصاف والمساواة السيادية والاعتماد المتبادل والمصلحة المشتركة والتعاون بين كل الدول من اجل تضييق الفجوة والهوة السحيقة المتعاظمة بين الدول المتقدمة والنامية ولضمان الاسراع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسلام والعدل للاجيال الحاضرة والمستقبلة ٠

مؤتمر بترولى للتجارة والتنمية :

وجاء بعد هذه الدورة الاستثنائية مؤتمر بترولى الذى دعت له الامم المتحدة في شهر مايو ١٩٧٦ ٠ والهدف من عقد هذا المؤتمر هو الوصول الى نظام اقتصادى جديدا اقل ظلما

تامـــلات

انتا بحاجة الى ان نرتفع بآفاق تفكيرنا فوق ما فرضناه على أنفسنا من قيود هي من صنع انفسنا ايضا ٠ وهي مصدر بلائنا وشقائنا ٠ وستظل نجهل هذا الكوكب ونخشاه الى اليوم الذى نرفع فيه بادراكنا الغطاء عن ابصارنا ، فنرى الله في كل ما نعمل ، وما نقول وما نسر ٠ وما نعلن ٠

دائما تمضى الحياة في طريقها المرسوم ٠٠ هادئة تجرى الارض حول الشمس ٠٠ هادئة تجرى كل الكواكب والنجوم لتمنح الدفء والنور ٠ هادئة تمضى الايام وتتعاقب السنون والكون كله يعزف سيمفونيه الوجود ، ويد الله تحرك النظام البديع بكل ما فيه من اعجاز وبكل ما يحيطه من اسرار وبكل ما يثيره من جلال ٠

من النظام الحالى ومساعدة البلدان النامية على الخروج من بؤرة الفقر والتخلف .

ويتمثل النظام الاقتصادى العالمى الحالى بالسوق التجارية الدولية التى تتحكم فيها الدول الصناعية التى تملك التكنولوجيا والتى تسيطر ايضا على الاتفاقات الدولية التى عقدت بعد الحرب العالمية الثانية واتضح انها تمكن الدول الغنية من تشديد قبضتها على اقتصاديات دول العالم الثالث وذلك بتنصيب الدولار والعملات الاوروبية الاخرى على عرش العالم مما مكن الدول الغنية من شراء ثروات العالم الثالث وشعوبه والسيطرة عليها .

وقد ادركت بلدان العالم الثالث اخطار السيطرة الاقتصادية عليها من خلال الشركات المتعددة الجنسية (MULTINATIONALS) وكانت امام معادلة سياسية صعبة من شقين :

محاولة التوفيق بين حصولها على توظيفات واستثمارات خارجية هى فى أشد الحاجة اليها وبين محافظتها على استقلالها الاقتصادى والسياسى لتخرج من الحرمان والفقر والتخلف .

وقد حددت مواضيع النقاش فى المؤتمر على النحو الاتى :

- **زيادة المعونات الدولية التى تقدمها الدول الصناعية للدول النامية .**
- **انشاء صندوق انمائى استثمارى دولى يسهل وصول دول العالم الثالث الى أسواق راس المال العالمى .**
- **انشاء مركز دولى لتبادل المعلومات التكنولوجية .**
- **انشاء معهد دولى للطاقة .**
- **اقرار حق الدول المضيفة فى تاميم المشروعات المتعددة الجنسية مقابل تعويض عادل .**
- **ربط الاستثمارات الاجنبية باولوية التنمية والخطط الاقتصادية والاجتماعية للدول المضيفة .**
- **وضع قواعد خاصة لسلوك الشركات الدولية .**
- **ايجاد انظمة تحكيم دولية خاصة بالمنازعات المتعلقة بالاستثمارات الاجنبية والشركات الدولية .**

نقل التكنولوجيا :

فى محاولاتها المستميتة لخلق الهياكل الاساسية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية طالبت دول العالم الثالث كثيرا بنقل التكنولوجيا اليها . وذلك لانها لو استمرت فى انتاج المواد الاولية وبيعها للدول الغنية فانها سوف تزداد بؤسا وفقرا وتخلفا مع كل صبح جديد . وكان من ضمن مطالبها العادلة فى المؤتمرات الدولية انشاء مركز دولى لتبادل المعلومات التكنولوجية .

غير ان الدول الغنية لن تبيع التكنولوجيا بالمواد الاولية حتى ولو كانت تتكون من البترول والمطاط والمعادن ، وحتى لو تبادلت التكنولوجيا مع دول العالم الثالث فانها لا تكشف الا النذر اليسير منها ، وذلك يعود الى أن الدول المتقدمة لو كشفت كل اوراقها التكنولوجية فانها سوف تفقد كل اسواقها وسوف تغزوها صناعات دول العالم الثالث التى قد تكون اقل تكلفة من سلعها .

ولو أن بلدا من بلدان العالم الثالث خطط لتشييد مصنع للحديد والصلب فانه يبادر أولا لطرح عطاء بناء المصنع عالميا . ومن المؤكد أن العطاء سوف يرسو على شركة من شركات الدول المتقدمة التى تفرض شروطها فرضا على الدول النامية . ولا تستطيع الشركات المحلية فى الدول النامية منافسة شركات الدول المتقدمة لسببين اولهما سيطرة شركات الدول المتقدمة على السوق وثانيهما خبرة تلك الشركات الفنية .

وقد ابتدعت الشركات العالمية عقودا للهندسة المدنية تشبه عقود الاذعان ترجمت الى كل اللغات وتتكون من احكام عامة واحكام خاصة واحكام فنية وتفاصيل دقيقة تخفى على دول العالم النامية وعلى شركاتها .

ويأتى بعد تشييد مبانى المصنع تشييد المصنع نفسه

لكى تكـونوا محبوبا

- **ضع نفسك دائما فى مكان الغير واعطهم العذر فيما يصدر عنهم من تصرفات .**
- **كن كتوما لكل ما يقال لك ويطلب منك عدم البوح به .**
- **أبدى اهتمامك بالغير بقدر ما يرضيك ان يهتموا بك .**
- **كن بشوشا دائما .**
- **تحكم فى اعصابك فى كل الظروف .**
- **لا تتشبث برايك لمجرد اثبات الوجود .**
- **كن صديقا للجميع فاختلاف الراى شىء والصداقة شىء آخر .**

نقل التكنولوجيا الى العالم الثالث

وهذا عمل لا تحلم به شركة في بلد نام لان الدول المتقدمة قفلت كل نوافذ العلم والتكنولوجيا واحتفظت بها لنفسها وجعلتها وقفا عليها • وكونت من نفسها ناديا صناعيا وتكنولوجيا محدود العضوية •

واذا ارادت الدولة النامية أن تصنع الصلب بطريقة معينة يتعين منها الحصول على ترخيص (Licence) من الشركة التى اخترعت أو ابتدعت تلك الطريقة • والترخيص يكون في شكل عقد يدفع بمقتضاه البلد النامى اتاوة باهظة (Royalty) للشركة الموجودة في البلاد المتقدمة • واذا ادخلت اية تحسينات على طريقة صنع الحديد والصلب من جانب الشركة صاحبة حق الاختراع (Patent Right) فانها تفرض على الشركة في البلد النامى اتاوة اضافية اذا ارادت تلك الشركة استعمال التحسينات التى ادخلت • وليس هناك ما يجبر او يلزم الشركة صاحبة الاختراع بمد شركة البلد النامى بالتحسينات •• فقد تقرر أن تحتفظ بالتحسينات الجديدة كسر من الاسرار الصناعية التى لا تباع ولا تنقل •

تطورات عام ١٩٧٥ :

في عام ١٩٧٥ اصدرت سكرتارية مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية في نيويورك وثيقة هامة عن اللائحة العالمية السلوكية لنقل التكنولوجيا •• وقد اعدت هذه الوثيقة كخلفية لمداولات مجموعة الخبراء الحكوميين حول وضع لائحة سلوك لنقل التكنولوجيا • وكان اجتماع مجموعة الخبراء قد عقد في قصر الامم بجنيف في المدة ما بين ٥ الى ١٦ مايو ١٩٧٥ •

وقد أحست مجموعة الخبراء بأن بعض البلدان لا تنقل التكنولوجيا مهما اعطيت من ثمن أو مال ولا تشارك فيها الدول الاخرى ، فأسرار الفضاء واكتشافاته لا زالت في معظمها غير معروفة ولا زالت وسائل التكنولوجيا المستعملة في ذلك غير متاحة للدول الاخرى ، بل هي وقف على القوتين العظميين • ومثال اخر في هذا الشأن يقودنا الى الاسلحة النووية والاستراتيجية وصناعة الطائرات والمعدات الحربية البرية والمائية •

ان الدول المتقدمة تستفيد من التكنولوجيا من ناحيتين :

- **بيع السلع المنتجة باستخدام العلم والتقنية •**
- **الحصول على اتاوات باهظة من الدول او الشركات المرخص لها باستعمال حق اختراع معين • فاذا ارادت دولة ان تنتج طائرات البوينج او الكونكورد فانها لن تستطيع ان تفعل ذلك الا برخصة وتدفع مقابل هذا اتاوة باهظة سنوية او خمسية •**

وعندما شعرت الدول الصناعية الكبرى أن الصناعات قد لوثت اجواءها وارضها ومياهها حولت بعض صناعاتها الى بلدان اخرى في اسيا وامريكا اللاتينية فمثلا تنتج الان البرازيل سيارات الفولكس واجن وبصات المرسيدس بترخيص من الشركات الالمانية المختصة •

من كل هذا نخلص الى أن التكنولوجيا تنقل في عالم اليوم بعقود بين الدول أو بين الشركات والدول أو بين الشركات في بلد ما والشركات في بلد اخر •

ونقل التكنولوجيا من اهدافه الرئيسية سد الثغرة والهوة السحيقة بين الدول المتقدمة والمتخلفة لمحو الظلم والاجحاف الصناعى بغية تصحيح النظام الاقتصادى العالمى الحالى الذى تتحكم فيه الدول الصناعية على الدول الفقيرة أى يتحكم فيه الشمال على الجنوب •

وقد استشعرت هذا الامر الدورة الاستثنائية للامم المتحدة في ١٩٧٤/٥/١ حينما أقرت وضع قانون اخلاقى أو لائحة سلوك لنقل التكنولوجيا وكونت مجموعة من الخبراء لهذا الغرض • واستعانت هذه المجموعة بوثائق ومشروعات لوائح وضعت على مر السنين من ضمنها أثر حقوق البراءة والاختراع على اقتصاديات الدول النامية بعد أن احتكرت الدول المتقدمة الصناعة واسرارها وخفاياها •

وكان مؤتمر الامم المتحدة عن التجارة والتنمية قد اوصى في عام ١٩٦٤ بدراسة امكانية وضع تشريع دولى يتعلق بنقل التقنية الى بلدان العالم الثالث • واقر هذا الاتجاه المجلس الاقتصادى والاجتماعى التابع للامم المتحدة في قراره رقم ١٠١٣ الصادر في ١٩٦٤/٧/٢٧ •

وتنبهت الجمعية العامة للامم المتحدة في قرارها رقم ٢٠٩١ الصادر في ٢٠ ديسمبر ١٩٦٥ لهذا الامر فنادت بدراسة الممارسات الوطنية والدولية لنقل التكنولوجيا الظاهرة والباطنة لاقطار العالم الثالث • وذلك يعود

لان بعض التكنولوجيا لا زال في طى الكتمان ، ويطلق عليه مصطلح Unpatented Technology

اى التكنولوجيا التى لم تسجل ، وذلك لان الاعراف الصناعية تقتضى اليوم تسجيل كل اختراع حماية له من استغلال الاخرين له استغلالا تجاريا يمنع صاحبه أو بلده من حق التمتع به واستغلاله بالطريقة التى يراها •

ونوهت الامم المتحدة الى هذا الامر في دورتها المنعقدة في ١٩٧٠ في بداية الخطة العالمية لاستراتيجية التنمية ، فنادت هنا بالتخلص من كل الاساليب اللا أخلاقية في نقل التكنولوجيا واعادة النظر في معاهدات البراءة وحقوق الاختراع نسبة لتضرر الدول النامية من الاوضاع الحالية •

وفي ١٦ مايو ١٩٧٢ قرر مؤتمر الامم المتحدة حول التجارة والتنمية دراسة الاسس الممكنة لوضع تشريع عالمى لنقل التكنولوجيا •

وأكد عزم الدول النامية على تغيير النظام الاقتصادى الراهن المبنى على احتكار التكنولوجيا المؤتمر الرابع لرؤساء دول عدم الانحياز في سبتمبر ١٩٧٣ ، والذى قرر تأييد كل اتجاه يرمي الى وضع اخلاقيات جديدة وسلوك حديث لنقل التكنولوجيا • وايد هذا الاتجاه الاتحاد البرلمانى الدولى في دورته رقم ١١٣ المنعقدة في جنيف في اكتوبر ١٩٧٣ وذلك بمناشدته لكل برلمانات العالم وحكوماته لوضع تشريع عالمى جديد لنقل التكنولوجيا •

الطفل هو المسئول

● يؤكد علماء النفس في اوروبا ان الاهمال وعدم الترتيب في حجرة نوم الطفل شيء ضرورى لكى يشعر الطفل بعالمه الخاص ويعيش طفولته •

ويطلبون من الامهات عدم التدخل في تنظيم حجرة الطفل حتى يكون هو المسئول الوحيد عن نظافتها وترتيبها • فهو يشعر بشخصيته وبطفولته في نفس الوقت وانه شيء طبيعي جدا أن تكون هذه الحجرة غير مرتبة •• لان الطفل الذى تقيد حريته حتى في حجرته الخاصة يكبر وهو غير مكتمل الشخصية لانه لم يعايش عمره الحقيقى •

حاولت الدول النامية التخلص من تبعات الاستعباد والتبعية الاقتصادية بالتعبير عن ذلك في المحافل الدولية ومطالبة حكومات الدول المتقدمة والشركات متعددة الجنسية Multinational Corporations

التى تهيمن على اسرار التكنولوجيا ووسائلها بالمشاركة في تنميتها اذ ان الدول النامية باوضاعها الحالية لن تكون قادرة على التقدم خطوة واحدة للامام الا اذا شيدت الهياكل الاساسية ووضعت خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية وسهلت لها الدول المتقدمة القروض ورؤس الاموال والخبرة الفنية وساعدتها مساعدة صادقة دون شرط أو قيد ينتقص من استقلالها وسيادتها •

ان اعادة صياغة الحياة والاوضاع والنظم الاقتصادية الدولية على اسس عادلة يتطلب اول ما يتطلب محو الفارق الحضارى التكنولوجي الذى تشعر بمقتضاه الدول النامية بالظلم والاجحاف والمرارة مما يعكر صفو العلاقات الدولية ويجعلها تسير في طريق المواجهة الشاملة لا الاعتماد المتبادل والتعاون •

ان على الدول المتقدمة أن تفهم وتقدر المشاكل التى تواجهها الدول التى تنقل اليها التكنولوجيا والمستفيدة منها ••

والدول المستفيدة من نقل التكنولوجيا اتضح لها ما يلى :

- **تضع الدول المالكة للتكنولوجيا (الغنية المتقدمة) كثيرا من القيود عند نقل اى جزئية من جزئيات التكنولوجيا بواسطة وزاراتها ومؤسساتها وشركاتها في العقود التى تبرم في هذا الشان •**

- **وهذه القيود والتحفظات المتعددة قد تشتمل على استغلال سيء للدول النامية يتسبب في نهب مواردها واستنزاف موادها الاولية وعدم تدريب كوادرها الوطنية •**

- **تضع الدول الناقلة للتكنولوجيا قوانين ولوائح تحدد انواع التكنولوجيا التى يجوز نقلها وتضع حدا فاصلا بينها وبين التكنولوجيا التى لا يجوز نقلها بالرغم من عدم اهميتها الاستراتيجية • وقد ابتدعت بعض الدول الغنية المالكة والناقلة للتكنولوجيا اساليب الحصار الاقتصادى ضد بعض دول افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية فيما يتعلق بنقل التكنولوجيا اذ هى خالفتها سياسيا او تغير فيها نظام الحكم كما حدث في حالات مصر وكوبا وموزمبيق وانجولا حيث قطعت الدول الغنية معوناتها الفنية وعلاقاتها الاقتصادية والثقافية ، وكما حاولت بعض دول شرق اوروبا منع مصر من الحصول على الاسلحة التى تحتاجها وقطع الغيار اللازمة لها •**

نقل التكنولوجيا الى العالم الثالث

● كل هذه القيود والقوانين تحد من مقدرة الدول النامية من استغلال واستعمال التكنولوجيا بكفاءة ٠

● تحاول بعض الدول الصناعية والشركات التابعة لها تضليل الدول النامية بان تنقل اليها التكنولوجيا البالية القديمة أو عدم اعطائها التكنولوجيا التي ترغب فيها Right Technology لصناعة المنتوجات ذات النوعية الممتازة بالشروط السهلة وفي الوقت المناسب ٠ فقد باعت بعض الاقطار الصناعية معدات صناعية انتجت قبل الحرب العالمية الثانية لدول العالم الثالث وباعت لها في بعض الاحيان الآلات القديمة المستعملة ٠

وكل هذه العوامل تؤثر تأثيرا ضارا على التقدم التكنولوجي والصناعي للدول النامية وتجعل هذه الدول تعتمد اعتمادا كبيرا على الدول الناقلة للتكنولوجيا ٠ فالدول الغنية لا تعطي كل اسرارها التكنولوجية للدول النامية حتى لا تفقد اسواقها المضمونة وحتى لا تتقدم الدول النامية وتزاحمها مزاحمة اقتصادية تقضي عليها ، وهذا ما يطلق عليه الحسد التكنولوجي ٠

واكتشفت الدول النامية أن الدول المتقدمة تعاملها معاملة غير عادلة في نقل التكنولوجيا ، وذلك بالمقارنة مع معاملة الدول المتقدمة لبعضها البعض أي عندما تتبادل نقل التكنولوجيا ٠ ففي هذه الحالة تسود معاملة الند للند وتكشف كل الاوراق على الطاولة وتكون العقود واضحة وبدون قيود ٠ ان الضعف التكنولوجي الذي تعاني منه الدول النامية أو ما يمكن ان تسميه مركب النقص التكنولوجي هو الذي يغري الدول الناقلة للتكنولوجيا بظلم الدول النامية والحاق اضرار بليغة بها في علاقاتها الصناعية والتجارية مما أدى الى النظام الاقتصادي الظالم الحالي ٠

ان أي قانون لنقل التكنولوجيا يجب أن يضع نصب عينيه وفي اعتباره هذه الحقائق التي تدفع الدول المتقدمة

وشهدت العشرون سنة الماضية تقدما ملحوظا في الدول النامية فاصبحت تعتمد على نفسها وتدبر رؤوس الاموال وتستعين بالخبرة الاجنبية في حدود معينة وتفرض على رؤوس الاموال الاجنبية بعض الشروط وتدخل مع بعضها البعض فيما يسمى بالمشاريع التكاملية المشتركة وتسعى الى الحصول على تراخيص صناعية لصناعاتها التمويلية ، وقد اضاف البترول ثقلا جديدا للدول النامية ومن بينها الدول العربية بعد أن مرت بمرحلة السنوات العجاف التي حلب فيها الغرب المتقدم كل ابقار الدول النامية ٠ وكشفت الدول المتقدمة ان التجارة الدولية والتنمية تنطوي على مصالح مشتركة بينها وبين الدول النامية ٠

وحاولت الدول النامية أن تخفف من غلواء الشروط القاسية لنقل التكنولوجيا ٠ ولكن بالرغم من هذا نجد أن المستثمر الاجنبي في صورة الشركات العالمية والدول المتقدمة لا تعنيه اماني واحلام الدول النامية الا اذا كانت مرتبطة بحقوق امتياز يستأثر بها للحصول على المواد الاجنبية اللازمة لصناعاته في الخارج ٠ وكذا لا زال التعسف التعاقدي في نقل التكنولوجيا والتجارة والتنمية مستمرا من جانب الدول المالكة والناقلة للتكنولوجيا Supplier of Technology

الامتحانات الصعبة

●● اثبتت الدراسة الاجتماعية التي اجريت في اليابان ان الامتحانات والمقررات الصعبة في المدارس والجامعات والمعاهد تؤدي الى انحراف الشباب ، وارتكاب الجرائم والحوادث والاقبال على تعاطي المخدرات ٠

تقول الدراسة انه نتيجة للتوتر الذهني والقلق والخوف من الامتحانات الناجمة عن الدراسات الصعبة يلجأ كثير من الشباب الى الانحراف ٠٠ وتقول الاحصائيات ان عدد الشبان الذين انحرفوا نتيجة لذلك وصل الى ١٠٦ الاف شخص في السنة ٠

لبن الام يزداد دسامة وقت الظهيرة

●● بعد تحليل لبن الثدي في الحيوانات والانسان كل اربع ساعات ليلا ونهارا ثبت أن هناك اختلافا في نسبة الدسم ٠ انه اقل في لبن الصباح وفي لبن بعد الظهر عنه في اي وقت آخر ، بينما لبن الظهر اكثر دسامة من غيره وبذلك تكون وجبات الرضيع ملائمة لمطالب معدته في افطاره وغذائه وعشائه ٠٠

والرغبة في مساعدة الاخرين

ان الربع الاخير من القرن العشرين لن يشهد ارتفاع نصيب الدول النامية من المنتجات العالمية الصناعية والزراعية • الا اذا تصدى المجتمع العالمي المعاصر لقضية نقل التكنولوجيا ووضع لها نظاما جديدا وسلوكا حديثا واخلاقيات حميدة تقوم على التعاون الصادق والرغبة في مساعدة الاخرين •

والدول المتقدمة قد لا تحل هذه القضية متذرعة بالتكاليف الباهظة المباشرة وغير المباشرة للتكنولوجيا الحديثة مما يجعلها تفرض الشروط وتضع القيود لتسترد عائدا مجزيا مما صرفته على تطوير العلوم والصناعة • وبالرغم من ازدياد الموارد النقدية للدول النامية ، الا أنه من الواضح انها مع هذه الشروط والقيود لن تستطيع أن تقتني ما تريده وما تحتاجه من التكنولوجيا •• مما يقوم دليلا على أن المال أو الطاقة لا يستطيع مالكها أن يشتري بها التكنولوجيا • وقد اصرت الدول العربية المنتجة والمصدرة للبترول في اتفاقاتها وعقودها مع الدول المتقدمة التي تشتري منها النفط بأن تشترط نقل التكنولوجيا ومساعدة الدول المتقدمة في هذا الشأن ولقد وجدت استجابة متحفظة من دول مثل فرنسا واليابان والمانيا الغربية •

واتضح للبلدان النامية أن بعض البلدان المتقدمة لا تسمح لوزاراتها وشركاتها وخبرائها بنقل التكنولوجيا من ناحية سياسية بحتة أو حربية أو استراتيجية أو اقتصادية كما يحدث في بعض البلدان الاشتراكية والغربية التي تمنع بعض بلدان العالم الثالث من التكنولوجيا العسكرية •

وحتى لو تحصلت الدول النامية على التكنولوجيا فانها تتحصل عليها باغلى الاسعار نسبة للشروط العديدة التي توضع فيما يتعلق بتكنولوجيا الانتاج والتوزيع والتكلفة •

ولحل هذه المشاكل على العالم أن يضع اسسا جديدة لما يسمى بتجارة التكنولوجيا Trade of Technology

على ان تقوم هذه الاسس على المساواة والنفع والاعتماد المتبادل والتعاون الدولي الصادق وعلى أن يكون الثمن المقدم من جانب الدول النامية معقولا سواء كان متعهد او تاجر التكنولوجيا فردا أو مؤسسة أو شركة أو دولة أو كانت التكنولوجيا المباعة في شكل آلات أو خبرة فنية أو معدات أو اجهزة أو بضائع أو حقوق اختراع أو رسومات أو نماذج أو مواصفات أو تدريب عاملين •

ان الاسس الجديدة لاخلاقيات نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة للدول النامية يجب ان يتم في شكل تشريع عالمي في نطاق الامم المتحدة ومؤتمرها للتجارة والتنمية بهدف اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد اكثر عدلا وانصافا للدول النامية •

تعريفات لاذعة

ـ طالب الكمال : رجل يبالغ في اتعاب نفسه واتعاب الناس !••

ـ الكفاءة : مقدرتك على ان تجد اشخاصا يقومون بالاعمال التي تكرهها عوضا عنك !••

ـ الضيف المثالي : هو الذي يشعر مضيفه بانه في بيته !••

ـ الضمير : هذا الصوت الهادىء الصغير الذي يخبرك بان احدا ينظر اليك ••

ـ النفاق هو اكبر تحية تقدمها الرذيلة للفضيلة ••

لاروشفوكو

ـ ارجو ان لا تعيش حياة مزدوجة تدعي الخبث والمكر وانت رجل طيب والا اعتبرت منافقا !••

اوسكار وايلد

ـ انها متعة مزدوجة ان تنافق منافقا ••

لافونتين

ـ الحب كالحرب •• تبدأه حين تريد ، وتهرب منه حينما تستطيع •

سواترن يهنوست

ـ المرأة احدى الغلطات الجميلة التي ارتكبتها الطبيعة

سانتيانا

ـ الغني هو الذي لا يخشى ان يطلب منك ان تريه ارخص ما في محلك •

كونت

الحمق يسلب السلامة ، ويورث الندامة ، والعقل وزير رشيد ، وظهير سعيد ، من اطاعه أنجاه ، ومن عصاه ارداه •

مثل عربي

ـ من لم يصبر على تعلم العلم وتعبه ، صبر على شقاء الجهل ••

شـقراء



والمجلة ماثلة للطبع .. نعت الينا الانباء الاليمة وفاة المغفور له الشيخ جاسم بن حمد ال ثاني وزير التربية والتعليم ورعاية الشباب . وافاه الاجل المحتوم وهو يعالج في احدى المستشفيات الامريكية ..

وبوفاة الشيخ جاسم بن حمد ال ثاني ، الشقيق الاكبر لسمو امير البلاد الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني ، فقدت دولة قطر واحدا بارزا من بررة ابنائها بمستقبل الدولة الناهضة في مجال التربية والتعليم . وفقدت اجيال الشباب ابا لا حدود لابوته ، وحكمته وحدبه ، واحلامه ، وامانيه لهم ، وبهم ، من اجل ان يحقق لمسيرة الوطن عقولا وسواعد تتقدم به على اسس قويمة من اصول العلم والمعرفة والثقافة في كل المجالات ، وفي شتى الميادين .

وبوفاة الشيخ جاسم بن حمد ال ثاني رائد التعليم في دولة قطر على مدى عشرين عاما من النضال الحقيقي ، حاملا مشعلا يبدد ظلمات الامية ، ويدخل بنور العلم في كل بيت من بيوت الدولة .. فقد العالم العربي بفقده واحدا من اخلص المؤمنين بقضايا التعليم والعلم والشباب .. والمستقبل مرتكزا على اسسه الصحيحة . لان الشباب هو المستقبل . ولان العلم هو النور الحقيقي الهادي الى المستقبل ..

ان اسرة تحرير مجلة « الدوحة » وهي تعي قدر اولئك الرجال القليلين ، الذين يكافحون ـ من ادراك ووعي وعناد وبصيرة ـ من اجل اوطانهم وشباب اوطانهم ، كفاحا حقيقيا ، ومخلصا ، ومثابرا ، ومتخطيا كل العقبات .. مثلما تعي حجم الفجيعة وهولها في وفاة رجل من اولئك الرجال .. انما تشارك الشعب القطرى احزانه النبيلة ازاء هذا المصاب الجليل . مثلما تتوج بخالص العزاء الى سمو امير البلاد المفدى والى كل افراد الاسرة الحاكمة . سائلين لله العلى القدير الصبر والسلوان للجميع . وللفقيد الرحمة .

في رحاب الله
يا أبا الشباب القطري

بقلم : الدكتور محي الدين صابر

لو أبقت الدنيـا على أحـد ••
أبقت على الغالي أبي حمـد ••

ظاهرتا الحياة والموت وجود واحد . ليس لاحداهما مفهوم الا في سياق الاخرى •• هذه هى سنة الله في الجود ، وهى حكمة الخالق في الطبيعة •

واذا كان الموت بالنسبة الى الفرد غيابا ابديا لوجوده المادى ، بكل ما يعنى ذلك الوجود من ارادة وسعى ، ومن غايات وعلاقات ، فان وجوده المعنوى يستمر فيما أبدعه وفيما صنعه ، وفيما قدمه للحياة في الحياة • وهكذا يكون ذلك التراث النافع ـ حين يكون ـ بديلا معنويا للغياب المادى للانسان ، وهو ما نسميه الخلود ، لو ان في الدنيا خلودا •• وهذا هو الذى يصنع الفرق بين حياة وحياة ، وبين موت وموت ، وبالتالى بين انسان وانسان ••

والفقيد الجليل الغالى الشيخ جاسم بن حمد آل ثاني الذى رحل عنا بجسده الى رحاب الله ، يسبقه عمله الصالح ، وجهده النافع ، ويعقبه ذكره الباقي ، في ذلك العمل وذلك الجهد ، كان واحدا من اولئك الغائبين الحاضرين بين الناس في الحياة ••

لقد كانت حياة الفقيد الكبير ، نموذجا انسانيا رفيعا فوهب كل طاقاته للخير العام ، وانفقها في كرم ، في أشرف ميدان . هو خدمة العلم والفضيلة ، فقد تولى امر التعليم في دولة قطر منذ عشرين عاما ، وظل يرعاه وينميه ويحسن القيام عليه ، حتى آخر لحظة من حياته الخصبة النافعة ، وعلى يديه قام النظام التربوى الحديث ، ونشات المؤسسات التعليمية والثقافية على أحدث النظم ، في كل مراحل التعليم ومجالاته ، ولقد كان هذا هو همه الكبير والنبيل ان ينمي الثروة البشرية ، وان يخلق قاعدة من الشباب القطرى العربى الذى يعيش عصره ، ويسهم في صناعة التقدم ، ويتصدى للتحديات المعاصرة ، وهو مع كل ذلك كان شديد الحرص على احاطة معرفة الشباب وخبرتهم العصرية ، بالقيم الروحية ، وبالمثل العليا للحضارة العربية ، وكان هو ـ رحمه الله ـ تجسيدا حيا لتلك القيم ايمانا بالله ، ومعاملة صالحة مع الناس ، وما اتصلت له علاقة باحد ، الا وكان رحمه الله حريصا عليها حفيا بها ، وكان من اكثر الناس وفاءا ، واصدقهم عهدا ، وابقاهم ودا • وقد بلغ ايمانه برسالته في خلق جيل عربى جديد ، ان أحب لقب الى قلبه حين يدعى به هو « أبو الشباب القطرى » •

ولقد جمعتنى بالفقيد الجليل ، غفر الله له ـ صلات قديمة ، ما زادت مع الايام الا قوة . التقينا في مجال العمل العام ، في مجال التعليم منذ اكثر من خمسة عشر عاما ، منذ ان كنت أعمل خبيرا في اليونسكو ، ثم اتصل ذلك وتعمق حين عملنا معا كوزراء للتربية والتعليم ، من خلال الجهد المشترك في عشرات المؤتمرات واللقاءات العربية •

ولقد لبى رحمه الله دعوة رسمية لزيارة السودان عام ١٩٧٢ وكنت حينذاك وزيرا للتربية والتعليم في اطار التعاون التربوى بين قطر والسودان ، ولقد اقام في الفترة الوجيزة التي قضاها هناك ، علاقات باقية مع القادة السودانيين ، وقد منحه السيد الرئيس جعفر محمد نميرى اكبر وسام سوداني ، هو وشاح النيلين ، في مناسبة تلك الزيارة •

ولقد استمر ذلك التعاون بيننا ، في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . فكان من اكبر المؤمنين باهدافها ، العاملين في صدق على دعمها ، ايمانا منه برسالة التعليم ، سبيلا لوحدة الامة العربية وقوتها وتقدمها ••

ان هناك جوانب انسانية مشرقة في حياة الشيخ جاسم وجوانب عربية ، تتسم كلها بالتمسك بالقيم والمثل ، لا تقوم هذه الكلمة القصيرة لها •

ان حياة الشيخ جاسم بن حمد آل ثانى ، كانت حياة عريضة ونابضة ونافعة ، وكان رحمه الله من اعظم الرجال شانا ومقاما ، فكرا وسلوكا ، وكان شخصيته فريدة قلما تتكرر •• صديقا ومربيا ورائدا •

ان الشيخ جاسم سوف يبقى حيا في آلاف العقول والسواعد التى اتاح لها فرصة التعليم ، وفي مئات المؤسسات والمعاهد والمراكز التي سوف تبقى مصنعا للرجال تتيح للامة العربية كل عام طاقات جديدة وقدرات جديدة •• وسيبقى حيا في صدور الاف من اصدقائه وزملائه ، وفي قلوب الملايين من العرب الذين عمل من اجل قضاياهم ومستقبلهم في صمت ، وفي تواضع . وعطاء لا حدود له ••

رحم الله الشيخ جاسم ، وانزله منازل الصديقين والشهداء ، جزاء وفاقا لما قدم لشعبه ولامته ولدينه ••

وانه لو افلت من الموت حى ، بحب الناس له ، وبخدمته للحياة والاحياء ، لضمن الخلود لابى حمد •• ولكن هيهات ، فهذا طريق الاحياء •• ونهاية الحياة •

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة قطر
وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب

"إنا لله وإنا اليه راجعون"

"يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"



تنعي اسرة وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب رائدها ، وأبا التعليم في دولة قطر ، الذي وهب حياته لبناء جيل الحاضر والمستقبل ، على أسس متينة من الاسلام الحنيف ، والعلم القويم .

المغفور له

سعادة الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني

وزير التربية والتعليم ورعاية الشباب

وأسرة التربية والتعليم ورعاية الشباب ـ وقد هالها المصاب الجلل ـ تتقدم الى مقام صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر المفدى .

كما تتقدم الى أشقاء الراحل الكريم وأبنائه والى الأسرة الحاكمة والى الشعب القطري والى الأمة العربية والاسلامية بخالص العزاء داعين المولى عز وجل ان يلهمنا جميعا الصبر والسلوان .

ونسأل الله ان يتغمد الفقيد العزيز بوافر رحمته ، وأن يجعل مثواه الجنة ، جزاء ما قدم ، خلال حياته ، من خدمات جليلة نفع الله بها أبناء الشعب القطري وأبناء الأمة الاسلامية .

نبـــذة عـن حيـــاة

الفقيد سعادة الشيخ جاسم بن حمد آل ثانى (رحمه الله)

وزير التربية والتعليم ورعاية الشـباب

- الفقيد الكريم يناهز الخامسة والخمسين من عمره ، وهو الابن الاكبر للمرحوم الشيخ حمد بن عبد الله الثانى حاكم قطـر الاسبق ، والشقيق الاكبر للشيخ خليفة بن حمد آل ثـانى امير دولة قطر المفدى ٠
- اصبح وزيرا للمعارف سنة ١٩٥٦ (١٣٧٦) ، وبقى كذلك حتى انتقل الى الرفيق الأعلى ٠
- يعتبر عهده عهد النهضة التعليمية الشاملة ٠ فهو ـ بحق ـ ابو التعليم فى قطر ٠
- وفى عهده ٠٠ اعيد تنظيم التعليم ، وارسيت قواعده على اصول تربوية حديثة ، وافتتحت المراحل المختلفة الابتدائية والاعدادية والثانوية والجامعية ٠
- فى عهده ٠٠ افتتح المعهد الدينى الذى لا يقتصر اشـعاعه على دولة قطر ، بل يتعداها الى العالم العربى والاسلامى ، واصبح يؤمه المسلمون من كافة اقطار العالم ٠
- فى عهده ٠٠ افتتحت أول مدرسة للصناعة فى قطر ٠
- فى عهده ٠٠ افتتحت دار المعلمين ودار المعلمات ٠
- فى عهده ٠٠ افتتحت أول مدرسة للتجارة فى قطر ٠
- فى عهده ٠٠ افتتحت كليتا التربية للمعلمين والمعلمات ، ووضعت النواة الاولى لجامعة الخليج ٠
- فى عهده ٠٠ افتتح مركز التدريب والتطـوير المهنى ، الذى هو الخطوة الهامة فى نهضة قطر الصناعية ودول الخليج ٠
- اهتم ـ رحمه الله ـ بالشباب ، واشرف على نشاطاتهم ، ووضع الأسس السليمة لرعاية الشباب حتى اصبحت فـرق قطر الرياضية من الفرق الرئيسية فى المنطقة ٠
- كان ـ رحمه الله ـ حارسا يقظا على التعليم طيلة مدة قيامه بأعباء الوزارة ، حيث كرس له وقته ٠٠ وكل جهده ٠
- اهتم ـ رحمه الله ـ اهتماما كبيرا بتعليم الفتاة الذى يرتكز على اسس اسلامية صحيحة ، حتى اصبحت نسبة تعليم الفتاة فى قطـر اعلى نسـبة فى الدول المجـاورة والدول العربية الشقيقة ، وتماثل الدول المتقدمة ٠
- ارسى علاقات قطر الثقافية بالعديد من الدول العربية والاجنبية ، وعقد الاتفاقات الثقافية معها ٠
- حرص على مد يد العون الثقافى والتربوى الى بعض الدول العربية والاسلامية ٠
- ازداد عدد البعثات الدراسية الجامعية فى عهـده زيادةكبيرة ، وتنوعت التخصصات،حتى شملت معظمنواحىالتخصص العصرية لتساهم فى نهضة قطر الشاملة ٠
- اولى تعليم الكبار جل اهتمامه ٠٠ وعمل على فتح العـديد من المراكز لهم ٠ وكان آخر جهوده فى هذا المجال وضـع الأسس لافتتاح مراكز لتعليم السيدات ٠
- كان ختام جهوده اقامة دورة الخليج العربى الرابعة بالدوحة والتى احرزت ، بفضل جهوده ، نجاحا كبيرا ٠
- اهتم بالمحافظة على « حيوان الوضيحى » من الانقراض ، فانشا له مزرعة خاصـة كانت موضــوع اهتمام الكثير من العلماء المهتمين برعاية الحيـوان ، وكان رئيسـا فخريا للجمعية الدولية للرفق بالحيوان ٠
- اهتم بالتجارب الزراعية فى مزرعته الخاصة وكان ـ رحمه الله ـ أول من اثبت نجاح زراعة القمح فى قطر ٠
- كان مثال الرجل النشيط الذى يعشق الصيد والرحـلات ٠٠ وقد أصبحت رحلاته فى « الربع الخالى » أحد المصادر الاساسية لمعلومات كثير من الـكتاب والمؤرخين الذين كتبوا عن هذه المنطقة ٠

أحمد العناني

الأوربيون في الخليج
البرتغاليون



تمهيد :

فيما اقرا هنا وهناك ، وفي كثير مما اسمع مغالطات وتناقضات حول كثير مما يتعلق بالاوروبيين في هذا الخليج الذى نعيش عليه ، والذى اختلفت عليه تسميات كثيرة منها الفارسي والعربى وخليج البصرة ، والقطيف وقد اثرت ان اختار هذا الموضوع اولا لمجلة الدوحة الغراء وفي ذهنى اكبر عدد ممكن من قرائها ، وليس في نيتي ان اتابع الموضوع على اى قدر من الاستطراد او التفصيل ، فالموضوع كبير والكلام فيه يطول .. وكل ما يعنيني في الواقع امران اثنان ساحاول الا احيد عنهما ابدا ، فاما الامر الاول فهو وصف يعطى القارىء فكرة واضحة عن دوافع سائر الامم الاستعمارية الاوروبية التى كان لها اتصال مؤثر بهذه المنطقة ، واما الامر الثانى فهو تصحيح كثير من المفاهيم التى يتداولها الناس العاديون غير المختصين عن احداث المنطقة مع هؤلاء الاوروبيين ان كان معظم المعلومات المتداولة اما مستقى اصلا من مصادر اوروبية متحيزة بالطبع او روايات محلية اعتورها الكثير من التحريف ، ولم تصل الى شيء في رؤية الاحداث على منظور واسع شمولى ، وانما معظمها في امور ووقائع محلية ، وفي شيء كثير من المبالغة والسذاجة .

ومن نافلة القول ان اعيد الكلام الذى قدمت به اكثر الكتب الحديثة ، الاجنبية والعربية ، عن الخليج واهميته القديمة وتطلعات الغزاة اليه من عهد الاسكندر الافريقي وما قبل عهد الاسكندر وبعده ولا عن الحقائق المتفق عليها من قدم عصر اللؤلؤ والمتاجرة به والغوص عليه والارباح الخيالية التى قد ينطوى عليها ذلك ، ولا عن الموقع الاستراتيجي الممتاز للخليج بين الشرق الاقصى والهند من ناحية وبين اوروبا وافريقيا من الناحية الاخرى . فكل هذا الكلام قيل واعيد غيرة مرة واحدة ، وامتلأت به كتيبات الاعلام العربى المعاصر حتى بات مملولا ..

ولكن هناك مجموعة من الحقائق التي لم يجر تداولها الا لماما ولم يفطن لها الباحثون على المستويات الاعلامية والصحفية ، ولكني لن اثقل بها كاهل القارىء العادي دفعة واحدة وانما انوه بها كلما كان ايرادها مقترنا بحركات هذه الدول الاجنبية التي وفدت الى الخليج ·

وابرز هذه الحقائق واحدة لم يفطن لها البرتغاليون ، طليعة الاوروبيين الذين دخلوا هذه المنطقة الا وهي ان منطقة الخليج انما تطلب لذاتها من دون برها واراضيها ، وهي حقيقة ظلت قائمة حتى تغلغلت بوجود البترول في البر الى جانب البحر ، كما انها لم تتضح لاذهان البرتغاليين وربما لم تخطر لهم على بال ومن هنا ، ومن جراء الافكار المتعصبة الاخرى التي كانت تملأ رؤوسهم ، وبفعل خطاهم الكبير بايثارهم البر والبحر ، فان الشرس المتعصب لم يدم طويلا ، فقد كفى قرن من الزمان لاقتلاع جذوره من المنطقة كلها · ولقد حاول البرتغاليون ان يلبسوا ثياب التجار بعدما فشلوا في الاستعمار فلم يفلحوا ابدا ، وما كذلك حال نقضائهم من الانجليز الذين عمقوا فكرة التجارة والتجار اكثر من قرن من الزمان قبل ان تظهر عليهم اية امارة او بادرة واضحة من بوادر الاستعمار ، والذين ظلت عنايتهم بالبحر اضعاف عنايتهم بالبر الى ان دفعتهم الظروف المواتية التي عملوا على خلقها ببطء وروية ان يصبحوا حكاما للبر والبحر ، وان يجعلوا لهم رئيسا لحكم المنطقة في مدينة بوشهر ·

اول المستعمرين الاوروبيين

ولنبدا الان بقصة البرتغاليين اول المستعمرين الاوروبيين في الخليج ·

لقد كانت البرتغال ضمن شبه جزيرة ايبريا التي حكمها المسلمون بعد انتصارهم في وادي شريش بالاندلس بوقت قصير ، ولكن صعوبة تضاريس تلك الاقاليم ، وكذلك اقليم الباسك والاقاليم الجبلية عموما في اقصى شمال اسبانيا وعلى حدودها المتاخمة لجبال البرانس كانت تعوز الحكم الاسلامي العربي لتلك الاجزاء حكما غير متواصل ، فعالما يختلف المسلمون او يسوء حكمهم في قرطبة تتراخى قبضتهم عن الاقاليم الجبلية ، ويمكن القول بانه منذ وفاة المنصور بن ابي عامر الحاجب قبيل نهاية القرن الرابع للهجرة بقليل انحسر الوجود الاسلامي عن المناطق الجبلية في غرب ايبيريا وشمالها ، واصبح المسلمون يستعينون بالدويلات النصرانية على بعضهم ، وكما اصبح في جيوشهم اعداد ملحوظة من المرتزقة النصارى وكان لهذا الاختلاط السلمي اثره في تحضير سكان تلك الجبال الذين لم يفقدوا شيئا من رجولتهم وقوة اسرهم وحبهم للمغامرة فلما ان تفتحت اذهانهم للعلم والمعرفة لم تسقط لهم آخر معاقل المسلمين في الاندلس قبل نهاية القرن الخامس عشر الميلادي الا وقد اصبحوا جاهزين للافادة من اقصى منجزات الفكر العلمي الاسلامي في اتجاهات الجغرافية والفلك ، وبينما اشرفت اسبانيا على الافادة من القناعة بكروية الارض فوفقت في اكتشاف العالم الجديد ، فان البرتغاليين الذين يطلون على سواحل الاطلسي على امتداد كبير ، والذين لم يعودوا يرون فيه بحر ظلمات ومخاوف اسطورية ، شرعوا في التوجه جنوبا الى الساحل الافريقي الغربي قاصدين امرا اعظم من ذلك ، الا وهو الحصول على تجارة الهند والشرق وكف ايدي المسلمين عن طرق التجارة العالمية في بحار الشرق ··

ومعروف جيدا ان بغداد سقطت سقطتها القادحة بايدي المغول في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ، وان الحروب الصليبية التي لم تنته الا بانسحاب اخر الصليبيين من طرابلس على الساحل السوري قبيل ختام القرن الرابع عشر معروف ان تلك الكوارث المنهكة قد انضبت موارد العالم الاسلامي ، فضلا عما كان يعانيه من تمزق لا سيما بعد حركات التمرد المتوالية بدءا بحركة الخوارج فالزنج فالقرامطة في منطقة الخليج ، وهذا يقودنا الى رؤية الاثر الكبير لحقيقة كبرى ثانية من الحقائق المؤثرة في هذه المنطقة الحساسة ·

لقد اختفت الصور الزاهية للتجارة الزاهرة الرتيبة عبر موانىء العراق على الخليج وامتدادا الى ابعد بلاد الشرق الاقصى والافريقية بضعف الدولة المركزية في بغداد وانبعاث الصراع المذهبي والعرقي بين عناصر تلك الدولة العظمى ، وسنرى ان الحياة على مياه الخليج تتحول الى جحيم حين تفقد المنطقة ذلك السلام الحقيقي الطويل الامد الذي تستطيع فرضه قوة عظمى سواء في سواحل الخليج او من الخارج ·· ويتحدث الفردوسي في « نزهة المشتاق » في وقت لاحق عن المناطق المخوفة شبه الخالية من السكان في معظم سواحل عمان وقطر ، ومن فقدان الامن في هذه المناطق ، وكثرة الاعتداء على السفن البريئة المسافرة للتجارة هناك ·

الأوربيون في الخليج

والواقع ان نهاية القرن الخامس عشر الميلادي قد شهدت تحولا اساسيا في المواقع والقوى المهيمنة على التجارة الاسلامية التي كادت تنحصر في عرب عمان واليمن ، والذين اصبحوا يتمتعون بمركز منفرد لا يكاد يضارعه سوى المركز الفذ لمدينة البندقية الايطالية • لقد كانت اساطيل عمان واليمنيين مجهزة تجهيزا يحول دون تعرض القراصنة لها ، فيما كان هؤلاء يعيثون فسادا امام سواحل ايران ومعظم الساحل العربي على الخليج •

في هذا الوقت تطورت هرمز على الساحل الايراني بموقعها المواتي على جزيرة تلاصق ذلك الساحل ، واصبحت منطلقا اساسيا لتجارة عمان مع كلكتا في الهند • والى هذه الاخيرة كانت تصل اساطيل عمان واليمن ، كما كانت تصل اليها من الجانب الاخر سفن الصينيين محملة ببضائع البلدان الواقعة شرقي الهند بما فيها الاقمشة الحريرية وغيرها ، ومنها كانت تعود سفن اليمانيين والعمانيين موقورة بالبهارات والكمون وحاصلات جزر الهند الشرقية والهند ، ويعود معظم تلك السفن مخترقا اما الخليج حتى البصرة بحماية مسلحة في وجه القراصنة ، او عبر البحر الاحمر من باب المندب صعدا الى الطور وغيرها حيث تكون قوافل كبرى في انتظار البضائع لنقلها الى اوروبا •

كما كانت جدة والقلزم (السويس) من مراكز هذه التجارة الوافدة من الشرق الاقصى فيما كانت الاسكندرية مركزا هاما لاستقبال البضائع الوافدة عن طريق بروفانس بفرنسا •

وكان المسلمون في فترة القوة من عهد الدولة العباسية قد سهروا جيدا على طرق مواصلاتهم ومراكزهم التجارية ، وانشاوا جاليات اسلامية حتى في كوريا فضلا عن الهند وملقا والفيليبين والصين •

وقد آل اكثر القائدة من ذلك الميراث الضخم الى اليمانيين والعمانيين الذين توزعت جاليات كبرى من تجارهم في سواحل الخليج الجنوبية ولا سيما في هرمز وسائر الموانيء والجزر القريبة منها فضلا عن السند ومالابار وكلكتا وجاوه والفيليبين والصين وكوريا كما ورد آنفا •

ومع ان الازدهار التجاري العربي كان يضفي ثمراته على المجتمعات التجارية الا ان الاوضاع السياسية في المنطقة كانت تجتاز مرحلة من التشرذم والتشتت وحكم القبائل والتجار المتنفذين ، ولم تكن هناك دولة بحرية واحدة لها من قوة الشوكة ما يصون مصالح التجار لو تعرضت لغزو كبير من الخارج •• كانت دولة السلاجقة قد انتهت الى فوضى مريعة ، اما العثمانيون فكانوا منهمكين في فتوحاتهم في البلقان وحوض البحر الاسود ، ولم يتقدموا لوضع يدهم على بلدان الشرق الادنى بما فيها مصر الا بعد ان كان البرتغاليون قد عرفوا طريق الهند ، وانشاوا لهم مقرا محصنا في كلكتا ، وكانوا في الواقع امة جديدة لم تاخذ بعد دورا في التفوق والسيادة وقد اججت مطامعهم المكاسب التجارية الضخمة ، واستعانوا بكل صنوف الغدر ونقض المعاهدات ، والانقضاض المفاجيء الغادر على مواقع اعدائهم • وقد بداوا سلسلة هجماتهم الشرسة بالمدافع على مدينة كالكتا فهدموا قسما منها ثم انقضوا عليها ينهبون ويقتلون ، ولم يمض غير بضع سنوات حتى تابعوا بقيادة البوكيرك نفس السياسة الاجرامية المفاجئة في الخليج العربي •

هل كان البرتغاليون وحدهم في المعركة ؟

لست اشك مطلقا في ان الحرب التى استعرت بين العرب والبرتغاليين على الطرق التجارية تحوي حلقات مفقودة الذكر في مجمل الروايات التاريخية • وانت حين تقرأ في النصوص البرتغالية لا تجد الا روايات مفعمة بالخيلاء والمبالغات المقرفة ، وكلاما مفعما بالتعصب الديني يشعرك بان البرتغاليين ربما كانوا راس حربة فقط في جهد كبير يساهم فيه متطوعة ومغامرون من بحارة اوروبا الغربية فمن المعلوم ان اوروبا كانت تعاني عسرا شديدا من انهيار وساطة المدن الايطالية كجنوة مثلا بين التجار العرب والمستهلكين الاوروبيين لبضائع العرب الباهظة الاسعار حتى قبل سقوط اهمية الوسطاء الايطاليين من جراء الفتوحات العثمانية واحوال الصراع الداخلي خلال حكم المماليك بمصر •

اما الروايات العربية القليلة ـ وهذا امر طبيعي دائما في المعسكر المنهزم ـ فانها تشعرك بان العرب اخذوا على غرة بغدر البرتغاليين ، وانهم كانوا يتعاملون معهم في البحر بروح من الود والمعاونة ، وان بحارا عربيا مشهورا هو احمد بن ماجد هو الذى دل البرتغاليين على طريق الهند • وايما كان الحال فلم يمض على وصول البرتغاليين عشر سنوات حتى وجد العرب انفسهم في مسقط يتعرضون لغزوة بحرية على مدينتهم لم يكونوا يتوقعونها فهم قد استقبلوا البرتغاليين بالترحاب كزملاء بحر بمدينة قلهات ، ولكن سرعان ما انقض البرتغاليون على مسقط فارتكبوا فيها افدح الجرائم ، ومثلوا بالاسرى القلائل الذين اخذوهم ثم تقدموا الى صحار التي استسلمت لهم بعدما سمعت بما احاق باهالى مسقط من خسف وشدائد ، ولكن خوركفان رفضت ذلك النهج السخيف وقاومت الغزاة ببسالة •

ومكذا وجد الحاكم العربى الذى يسمونه الشيخ سيف الدين نفسه معزولا في هرمز التى كان يحكم منها ساحل عمان •

ان مدينة هرمز التى لا تمثل في واقعنا الراهن الا عرشكل قرية صغيرة فوق جزيرة خالية من المياه العذبة تمر بها السفن الى مرفا بندر عباس غير ملقية لها كبير اهتمام كانت ذات يوم تتمتع بشهرة اسطورية وقد كانت هرمز الاصلية مبنية على الجانب الايرانى المتاخم لجزيرة هرمز الحالية ولكنه عندما التحمت جحافل التتر بلاد فارس دمرت تلك المدينة واعتيض عنها لاحقا مدينة هرمز على جزيرة هرمز لتكون في وضع افضل في وجه الغزاة وقد تحولت بحكم موقعها الرائع في مدخل الخليج وقربها من بلاد الفرس والعرب والهنود الى سوق تجارية تزخر بما يؤتى به اليها من البضائع الحريرية والعاج واللآلىء والاقمشة النفيسة المنسوجة بخيوط الفضة والذهب فضلا عن الخيول العربية والبضائع الهندية والافريقية بل حتى امتازت بكونها سوقا للحمير البيض ذوات الشهرة الواسعة وحيث كان شيخ هرمز قبل مجيء البرتغاليين يبسط نفوذه على البحرين فقد كانت ارباحه من اللؤلؤ من جراء ذلك شيئا يخالط الخيال •

كان مفهوما بان التمركز في جوا والتقدم الى عمان سينتهي الى هز العصا في وجه هرمز حلم النهابين البرتغاليين وقد اشترك في الدفاع عن الجزيرة اسطول من السفن العربية ، بحرينية وغير بحرينية وعمانية ، ولكن البوكيرك استطاع اعتراض سفن البحرينيين قبل وصولها للجزيرة وتغلب عليها في هجوم مباغت قرب جزيرة قشم •

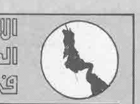
خسائر البرتغاليين

وقد رفض عرب هرمز كل عروض الاستسلام التى حاول البرتغاليون اغراءهم بها فدارت معركة بحرية غاية في الشراسة ، ومع ان البرتغاليين خرجوا باليد العليا الا ان خسائرهم الدامية جعلتهم احسن استعدادا لمفاوضات معقولة ، ومع ذلك فقد صمموا على البقاء منذ اول لحظة وقاموا بانشاء قلعة برتغالية احسنوا تحصينها ، وقد قبل شيخ هرمز دفع مبلغ من الجزية واعطى البرتغاليين امتيازات جمركية ما لبثوا ان حولوها الى استبداد مطلق بجمارك الجزيرة ، كما فرضوا عليه رفع شارة الصليب على قصره •

غير ان خلافا مريرا نشب بين ضباط القوة البرتغالية وقائدهم المتعجرف البوكيرك ادى بعد بضعة اشهر فقط الى صراع عنيف بين الفريقين ضربت فيه هرمز بالقنابل البحرية ، ولكن الحادث اسفر عن طرد البرتغاليين من الجزيرة ، ويبدو ان طلائع البحرية ، الاسلامية بقيادة الاتراك القادمة عبر البحر الاحمر فسواحل اليمن بدأت تشكل خطرا حقيقيا على الوجود البرتغالى ، وهنا ينشأ تحالف غريب بين الشاه اسماعيل الصفوى والبوكيرك الذى ثبت نفسه في جوا كنائب لملك البرتغال في البحار الشرقية ، وبين الاتراك وسكان الساحل العربى القطيف والبحرين وسواهما ، ولم يكن غريبا ان يسفر هذا التحالف عن عودة البرتغاليين الى هرمز قبيل موت البوكيرك عام ١٥١٥ للميلاد ، ذلك بان مساندة البر الايرانى للاسطول البرتغالى كان تحديا كبيرا للقوة البحرية التركية الناشئة أيما كانت المؤازرة التى تلقاها من الساحل العربى على الخليج •

وقد باشر البرتغاليون سياسة النهب التى اشتهروا بها ، ولكنهم مارسوها هذه المرة بحجج مشروعة مفتعلة الامر الذى ادى الى ثورة كامل المناطق التى كانت تخضع لهم في عمان وهرمز والساحل العربي وقد ظلت هذه الثورة تستعر بخسائر فادحة اكثر من عام الى ان بسط البرتغاليون نفوذهم المباشر على هذه المناطق بقوة الحديد

على ان الصراع بين قوى البرتغاليين واحلافهم من جهة ، وبين القوى العربية في البحرين وغيرها والمدعومة بين حين واخر بحملات بحرية عثمانية تستاهل فصلا خاصا آمل ان اقدمه للقراء في العدد القادم باذن الله •



محمد جابر الأنصاري

أدب الاصلاح الاجتماعي في الخليج

١٩٢٠ - ١٩٥٠

التمسك الشديد الذي يبديه أدباء الخليج الشباب بقضية « الالتزام » في الادب ٠٠ ما أسبابه وما جذوره ؟ ان قضية لم تثر جدلا ولم تستقطب اهتماما في كتاباتنا النقدية بالخليج كما فعلت قضية « الالتزام » ٠ هل ذلك بتأثير مدرسة أدبية معينة في العالم العربي ؟ أم هو بسبب زيادة الاهتمام بالجانب الاجتماعي ـ السياسي في ظاهرة الادب الجديد ؟٠٠ قد يكون هذا كله من ضمن الاسباب المفسرة لهذه المسألة ، ولكن هناك سبب تاريخي وبيئي هام يستحق النظر والدرس ٠ ان أدبنا الجديد وريث أدب اجتماعي اصلاحي خصب ازدهر بمنطقة الخليج منذ مطلع العشرينات حتى منتصف الخمسينات من هذا القرن ، وكانت نزعته الاصلاحية والوطنية والاجتماعية ، والتربوية من القوة والبروز بحيث طبعته بطابعها القوي المؤثر الذي طغى على الجوانب الفنية والجمالية والادبية الخالصة ٠ ان أدباء وشعراء وكتابا مثل عبد العزيز الرشيد ويوسف القناعي وعبد الله الزايد وفهد العسكر وعبد الرحمن المعاودة وصقر الشبيب وخالد الفرج يعتبرون أعلاما للاصلاح الاجتماعي والتربوي ، بالاضافة الى أدوارهم كأدباء وشعراء ٠ بل ان منهم من تضاءل أثره الادبي الخالص ، وبقي دوره الاصلاحي ناصعا خالدا ٠

وعندما بدأت أولى ملامح أدب العشرينات تتبلور في الخليج كان الوطن العربي يشهد التطورات الرئيسية التالية :

أولا : ظهور حركة المقاومة ضد النفوذ الغربي في المنطقة العربية بعد أن تم تقسيمها كمنطقة نفوذ بين الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية في أعقاب تصفية تركة الخلافة العثمانية بانتهاء الحرب العالمية الاولى ٠ وتبرز ثورة مصر سنة ١٩١٩ وثورة العشرين (١٩٢٠) بالعراق ضمن المؤشرات الهامة على ظاهرة المقاومة العربية الجديدة ٠ ولم تكن منطقة الخليج بمنأى عن هذه التفاعلات العربية فقد شهدت الكويت سنة ١٩٢١ ظهور أول مجلس شورى (كان المصلح الاديب يوسف القناعي من بين أعضائه) ، كما شهدت البحرين ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٢٣ مطالبة اجتماعية بمجلس شورى

مسائل وذلك لوقف التدخل الانجليزى في شئون البلاد الداخلية ٠

ثانيا : بالاضافة الى المقاومة السياسية العربية للاكتساح الاوروبي ، بدأت تتبلور مقاومة فكرية عربية أسلامية لمقاومة حركة التبشير والافكار الغربية المناهضة لجوهر المعتقدات الاسلامية ٠ وقد وجدت هذه المقاومة الفكرية في آراء الشيخ الامام محمد عبده أفضل درع لمقاومة الجمود في الاوساط المحافظة من ناحية ، ولمقاومة التحلل في الاوساط المستغربة من ناحية اخرى . والمعروف ان محمد عبده يدعو للجمع بين جوهر العقيدة الاسلامية المماشية للعقل والجوانب الصالحة في الحضارة الحديثة ٠ وقد ادركت مدرسة محمد عبده ــ بعد فشل ثورة عرابى بمصر في ١٨٨٢ ــ انه من المحال مواجهة الاستعمار الغربى بالقوة المسلحة وجها لوجه والاوطان العربية على حالها من الجهل والتخلف الحضارى ٠ لذلك فان هذه المدرسة وضعت خطة مقاومة حضارية بعيدة الامد تعتمد على نشر التربية والتعليم والاصلاح الدينى والاجتماعى حتى ينهض المجتمع العربى بشريا ومعنويا وبعدها يكون الوضع اكثر ملائمة لمواجهة التحدى الاوروبي ٠ هذه النتيجة نفسها توصل اليها ادباء الاصلاح الاجتماعى بالخليج بعد أن رأوا اشتداد السيطرة البريطانية على أوطانهم الصغيرة واستحالة مواجهتها بالحسم السريع ٠

ثالثا : هكذا توجه العالم العربى بما في ذلك منطقة الخليج في الفترة التى اصطلح على تسميتها « فترة ما بين الحربين » ١٩١٨ ــ ١٩٤٥ الى حركة تعليمية تربوية ذات طابع اصلاحى يعتمد التدرج لا الطفرة وينهج نهج المسالمة والاقناع لا العنف والاكراه ٠ وصحب التركيز على نشر التعليم اعادة شرح الافكار الاسلامية من منظار عصرى حضارى يتخطى مفاهيم عصر الجمود في العهد


الشيخ يوسف بن عيسى القناعي


خالد محمد الفرج ــ توفي عام ١٩٥٤


عبد الرحمن المعاوده

التركي ، ولكن هذه الاصلاحية التربوية المسالمة تضمنت في أعماقها فكرة الرفض للسيطرة الغربية وبذور المقاومة لها ، بحيث اخذ الجيل العربى بعد الحرب العالمية الثانية يتشرب بها ويحولها الى مقاومة فعلية للاستعمار الغربي وأفكاره ومؤسساته ، أى ان خطة الاصلاح المتدرج التى وضع أسسها محمد عبده وصحبه آتت أكلها وتحولت الى مواجهة التحدى الغربي في النهاية وأخذت تصفي مواقعه واحدا بعد الاخر في فترة الاربعينات والخمسينات ٠

●★●

هذه هي العوامل الرئيسية الفاعلة في تكوين أدب الاصلاح التربوى الدينى الاجتماعى بمنطقة الخليج خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ٠ وعلى ضوء هذا الاطار الشامل ، ومن خلاله ، ننتقل الان الى القاء نظرة تاريخية تفصيلية على حركة هذا الادب مستخدمين شواهد من نصوصه وأحداثه وتواريخ رجاله الاعلام :

● في الرسائل الشخصية المتبادلة بين الشيخ ابراهيم ابن محمد الخليفة أحد الادباء المهتمين بالاصلاح التربوى بالبحرين في مطلع هذا القرن ، وبين المصلح البحرينى عبد الوهاب بن حجى الزيانى الذى نفاه الانجليز الى الهند بسبب تزعمه المطالبة بمجلس شورى (عام ١٩٢٣) نجد الملاحظات التالية يسوقها الشيخ ابراهيم لصديقه ٠

« أيها الصديق العزيز : ان من أعظم مصائب هذا العصر ان أعيان كل بلد هم أرباب الثروة وان كانوا على جانب عظيم من الجهل ، وجنابك يعلم ان الجاهل لا يهتدى لرشده فكيف يكون مرشدا لغيره ؟

أيها الصديق : ان بلادك في الوقت الحاضر هادئة ساكنة على مقتضى أحكام الظرف الزمانية الحاضرة فعسى الله أن يمد في عمر هذا الظرف الزمانى ويلهم قومنا كيف يستفيدون من مقتضيات الاحوال الحالية ٠

أيها الصديق العزيز : ان المشروع الخيرى الوطنى (يقصد مشروع التعليم الاهلى) الذى تأسس بحسن



مساعيك وجميل جهادك واجتهادك هو الان يشكر اياديك البيضاء عليه ، ويؤمل منك المدد ، وان كنت بعيدا عنه • وهو الان يسير في طريق التقدم على قدر نشأته في الوجود ، وعلى قدر معلومات المعلمين والمتعلمين فيه •• » •

وفي رسالة اخرى يقول الشيخ ابراهيم لصديقه المصلح عبد الوهاب الزياني وكانه يريد تذكيره وتنبيهه في ذلك الزمان الى ان طريق الاصلاح التربوى أفضل من طريق التغيير السياسي المباشر الذى أخفق بسبب الجهل : « ثم أيها الصديق ان بلادك منتشر في جسمها داء فتاك ضار هو الجهل • فهو منتشر انتشارا هائلا في كل الطبقات بحيث ترى كل فرد من أفرادها ولا سيما الطبقة الممتازة تكاد تحكم عليه حكما عقليا بأنه يقتل نفسه من حيث يدرى ولا يدرى • على أنى لا أيأس من روح الله ، فان الاسلام والمسلمين في حركة الارسال ، وعلى الله قصد السبيل • ان المقادير اذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم • » وفي موضع اخر يحذر من عواقب التغيير السريع بقوله : « ان الطفرة من البداية محال » ويضيف : وأظن انه لا يخفى عليك اننا في حالتنا الحاضرة في أول دور من أدوار تكوين العلم القانوني (يقصد التعليم المصرى المنظم) ولابد لنا فيه من مراعاة سنن الوجود •• أعنى التدرج من القليل الى الكثير ومن الصغير الى الكبير •• (راجع كتاب « المجموعة الكاملة لاثار الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة : أشعاره ورسائله » ـ فصل الرسائل ، الصفحات ١١٥ ـ ١١٩) •

هذه الملاحظات التى يسوقها رجل اصلاحى تربوى قبل خمسين سنة لصديق سياسى حاول التغيير فلم تمكنه ظروف المرحلة التاريخية وطبيعتها من تحقيق أهدافه ، يتضح معها تحول التفكير من اطاره السياسى الى خطته التربوية الاصلاحية باعتبار ان المجتمع يسيطر عليه الجهل ، ولابد من مقاومته بالتعليم المتدرج قبل التفكير في اى عمل اخر • وفيها اشارات الى ان الهدوء والاستقرار في ظل السيطرة الغربية يجب الاستفادة منهما في نشر التعليم لاعداد الوطن لمقتضيات المرحلة التاريخية القادمة التى تمكنه من التصدى للنفوذ الاجنبى •

وبعد ان تاكدت قيمة التعليم المصرى الجديد في المجتمع واقبل عليه الناس انتقل ادباء الاصلاح الى الكتابة في موضوعات التجديد الاسلامى وتحرير الفكر الدينى والاجتماعى وغدت المدرسة والمنتدى منبرين للدعوة الاصلاحية الجديدة ، وأضيفت اليهما الصحافة فيما بعد كوسيلة ثالثة •

ان حياة المفكر والمصلح الكويتى عبد العزيز الرشيد تصلح نموذجا لتبيان تطور جيل ادباء الاصلاح من


عبد العزيز الرشيد

الثقافة التقليدية القديمة الى ثقافة التجديد والاصلاح • ويعرض علينا الاستاذ خالد سعود الزيد في كتابه « ادباء الكويت في قرنين » مراحل تطور هذا المصلح من القديم الى الجديد بقوله : ولد رحمه الله في الكويت عام ١٣٠١هـ وتلقى علومه الابتدائية فيها ، ثم سافر الى الاحساء ومنها الى المدينة المنورة وتولى منصب الافتاء فيها لمدة سنتين •• ثم ما لبث ان هجرها الى الاستانة (عاصمة الخلافة العثمانية) ، وهناك التقى بالصفوة المختارة من رجال الفكر وعلماء الاسلام أمثال الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة ـ المنار ـ ، والشيخ عبد القادر المغربي (من تلامذة الافغاني) فتفتحت عاطفته القومية وتبلورت مفاهيمه الدينية فتراجع عن كثير من ارائه المتزمتة التى سار عليها في مطلع شبابه التى نلمسها واضحة جليه في كتابه « تحذير المسلمين عن اتباع غير سبيل المؤمنين » الذى طبعه في بغداد ردا على قصيدة الرصافي رحمه الله (التربية والامهات) والتى مطلعها :

هى الاخلاق تنبت كالنبات — اذا سقيت بماء المكرمات

فجاء كتابه هذا نقضا لهذه القصيدة وتفضيلا للرجال على النساء ثم محاربة تعليم المرأة وخروجها الى المدارس•

وقد خلقت صلته بالشيخ رضا لديه الرغبة بالذهاب الى مصر للدراسة في أزهرها الشريف ، فأقام بمصر بضع سنين فتعرف على أدبائها ومفكريها ومن كان يفد اليها من أقطاب الفكر وزعماء الاصلاح والسياسة في ذلك الحين • وتأثر بمناهج الاصلاح التى وضع خطوطها الافغانى والشيخ محمد عبده وتلامذتهما بعدهما كقاسم أمين وغيره • ولقد ربطت بينه وبين عبد العزيز الثعالبي الزعيم التونسي المشهور صداقة متينة في مصر نرى أثرها واضحا جليا في كتابه (تاريخ الكويت) الذى أهداه الى نفس هذا الزعيم العربى العظيم في طبعته الاولى • وبعد سنوات من التطواف في سبيل العلم والتحصيل عاد الى الكويت ، فعين مديرا للمدرسة المباركية عام ١٩١٧ ، ويختم الاستاذ الزيد تقييمه

لدور الرشيد بقوله : لقد كان عبد العزيز الرشيد واسع الرأى ، بعيد النظر ، بليغ الخطاب ، موفق الحجة ، ما عزم الناس على أمر خير الا وكان له فضل الاسبقية عليهم • فهو صاحب فكرة كل مشروع جديد ، يدفع الناس الى الخير ، ويحضهم عليه ، كان أول من دعا الى تأسيس النادى الادبى عام ١٩٢٣ ، ولقد أرسى قواعده لبناء جيل مثقف جديد ، ويعتبر أول محاضر كويتي •• (راجع كتاب « أدباء الكويت في قرنين » ص ٩٣ ـ ٩٤) • وهكذا نرى ان الرشيد نشأ تقليديا يحارب التجديد ويرد على دعاته ويؤلف الكتب في سبيل ذلك • ثم يمسه ذلك الشعاع من النور متمثلا في الحركة الاصلاحية التي قادها الافغاني ومحمد عبده ، وتراه يلتقي برشيد رضا ويصادق عبد العزيز الثعالبي فيتحول الى داعية للتجديد والاصلاح على طريقتهم بعد سنوات خصبة من حياته قضاها متنورا في محافل استانبول والقاهرة الازهرية أيام بدايات التجديد بها ، واخيرا يعود الى بلاده ومنطلقته داعية لكل مشروع اصلاحي جديد • ويصدر أول مجلة في تاريخ المنطقة وهي مجلة (الكويت) • ويصبح أول محاضر ديني وعلمي في تاريخ بلاده والطريف ان الرشيد الذي بدأ مناهضا للتجديد تدلب عليه بعد ذلك دعاة القديم وخاصة في معاهدهم التقليدية بالاحساء وأخذوا يرجالة رجل يدعى عبد العزيز الملبجى يهاجمونه هو وزملاءه كخالد الفرج وعيسى القناعي وعبد الله الزايد بسبب ما يدعون اليه من تعليم المرأة وقراءة الصحف العصرية كالمنار والاجتماع في الاندية •• ولكن دعاة التجديد صمدوا لهذا الهجوم وأخذوا يردون عليه بالحكمة والموعظة الحسنة حتى أخذت قيم التجديد والاصلاح ترسخ شيئا فشيئا في تربة المجتمع •

ولم يكن الشعر ، حتى الرومانسي منه ، بعيدا عن هموم الاصلاح والتجديد ، ففي قصيدة مبكرة للشاعر فهد العسكر يعود تاريخها الى عام ١٩٣٦ نراه يرحب باول بعثة تعليمية فلسطينية تأتي الى مدارس الكويت ويستغل المناسبة ليطرح في قصيدته الطويلة هذه كل مجموم اليقظة العربية وقضايا الاصلاح في بلاده ومسائل النضال العربى التى كانت ساخنة في ذلك الوقت من مقاومة وعد بلفور وثورة فلسطين ١٩٣٦/٣٩ ، الى الدعوة للوحدة العربية ، الى ما يكابده الاحرار المصلحون من عناء ويختم قصيدته بهذه النفثات :

فلم التخاذل والعروبة امنا
ولم الشقاق ونحن من عدنان ؟
ولم التفاخر بالموائد والملابس
والاثاث وشاهق الجدران



فهد العسكر ـ توفي عام ١٩٥٠

ولم التعصب بالمذاهب يا بني
الاوطان ، وهو اساس كل هوان
فقلوبنا لله والاحسام لذ
غبراء والارواح للاوطان
فتعاضدوا وتكاتفوا وتالفوا
وتساندوا كتساند البنيان
تجرى السفينة في محيط هائل
وعيوننا ترنو الى الربان
كيف السبيل الى النجاة ولم تزل
عرضى الخضم سفائن القرصان
رياح جار الاقويا فانظر الى
ما يفعل الانسان بالانسان

(راجع مجلة البيان الكويتية الشهرية ، العدد الاول ، ابريل ١٩٦٦)••

وتراوح الشعر الخليجي في تلك الفترة بين شعر فكري فلسفي يطرح اراء التجديد من زاوية تأملية كما نرى في شعر صقر الشبيب الذى يعد من أعمق شعراء الخليج فلسفيا في العصر الحديث والذى يشبه من أوجه عديدة الشاعر العربي المتفلسف أبا العلاء المعري في شكه وتشاؤمه ، وبين شعر اجتماعي ـ سياسي ، وهو الاكثر والاغلب ، كما يتمثل في شعر خالد الفرج وعبد الله الزايد وعبد الرحمن المعاودة •

ويعتبر خالد الفرج « شاعر الخليج » بحق • فقد توزعت حياته وتوزع نشاطه بين الكويت والبحرين والاحساء ، حيث اشتغل طورا بالصحافة ، وطورا بالتعليم ، وحينا بالعمل المطبعي او الادارى • وشعره يتصف بالسهولة والوفرة والنقد اللاذع المركز والتهكم والسخرية •• كما كانت مواقفه تنم عن جرأة وكرامة •

ومع ازدياد الوعي الذى كونته الحركة الاصلاحية يعاد النظر في خطة الاصلاح نفسها على ضوء التطور الذى شهده المجتمع بين العشرينات والخمسينات ، ففي



عام ١٩٥١ تصدر مجلة (صوت البحرين) وهي مجلة اجتماعية علمية ثقافية جامعة مثلت أرفع ما وصل اليه الوعي الاصلاحي في الخليج بعد ان حقق الاصلاح التعليمي الكثير من ثماره وتطالعنا هذه المجلة في عددها الصادر في شوال سنة ١٣٧١هـ الموافق عام ١٩٥١م بالمقالة التالية التي تطرح الخطة الاصلاحية وأساليبها من جديد على بساط البحث داعية الى خطة اصلاحية اكثر شمولا وعمقا : « .. ما السبب في تطورهم وجمودنا ؟.. الاسباب في نظري كثيرة ، ولكنني أضع في رأسها اليوم سببا واحدا الا وهو انحراف المناهج الاصلاحية وتفككها وارتجالها عندنا ، لان دأبنا هو الترميم والترقيع . فنحن لا نجرؤ على الهدم لنقيم البناء قويا شامخا على انقاض ما هدمناه ، وانما نجد الحائط وقد أوشك أن يتداعى فندس لبنة هنا وخشبة هناك ونحسب أننا قمنا بما يجب لحفظ الصرح من غوائل الزمن . ولكننا لا نكاد نرمم هذه البقعة حتى تنذر بقع أخرى بالتداعي .. وهكذا .ان سياسة الانشاء والاصلاح تحتاج الى مناهج شاملة مدروسة تتناول اوضاع الحياة ووجوهها المختلفة كما وكيفا ، وتتغلغل في توضيح الدقائق والتفاصيل وتحسب الف حساب للمفاجآت والانتكاسات وتستفيد من عبر التاريخ وتجارب الامم واكتشافات العلم . وتحتاج قبل ذلك واثناء ذلك الى فهم عميق لروح الامة وتاريخها واتجاهاتها النفسية والعقلية ، فلا تجلب لها الانظمة جلبا ، ولا تحشر المبادئ المستعارة من هنا وهناك في مجرى حياتها حشرا بحيث تجعلها مسخا مشوها أو مجرد صعيد تتفاعل عليه مختلف المبادىء المتناكرة . ذلك ان لكل أمة شخصية تتضافر على تكوينها عوامل اللغة والتاريخ والثقافة والدين . وهي عوامل تنصب آثار بعضها على بعض وتتداخل اجزاء بعضها في بعض ، وكل اصلاح حقيقي يجب أن يتجاوب مع هذه العوامل ويتكيف بها ، بل وأن يستمد روحه واتجاهه منها . وبذلك يفسح المجال لشخصية الامة تتناسق وتتبلور وتبدع » ..

هكذا تنامت النزعة الاصلاحية في مجتمعات الخليج عبر ثلاثة عقود من السنين في النصف الاول من هذا القرن لتصل في مطلع الخمسينات ، ضمن تناميها الداخلي الجدلي ، فيما يشبه التجاوز للذات وما يقرب من النقد الذاتي ، لتعيد النظر في مسارها من موقعها الاصلاحي ذاته ، ولتتطلع الى خطة اصلاحية تعتمد الشمول والعمق وتتجاوز الاصلاحات الجزئية والمقالة الاخيرة يمكن اعتبارها اوضح ما وجهته الحركة الاصلاحية لذاتها من نقد واكثره نفاذا ونضوجا . وهذه الروح الجديدة كانت تمهيدا لمرحلة أخرى جديدة تستحق أن تدرس وتقيم في دراسة تخصص وتفرد لهذا الغرض متى توفرت المراجع والوثائق الاولية الضرورية للبحث .

○ زاوية الرأي ○

نحو مجلس أعلى لجامعاتنا

انتشار الجامعات والمعاهد العليا في بلاد الخليج والجزيرة العربية ظاهرة يجب الترحيب بها وتشجيعها من حيث المبدأ . فهذه البلاد قضت ظروفها التاريخية والجغرافية القاسية في الماضي ان تبقى نور العلم بها في اضيق نطاق بسبب بعدها عن عواصم الثقافة العربية وبدائية حياتها الحضارية وفقرها الاقتصادي وما فرضه الاستعمار عليها من تخلف وعزلة . لذلك فان ظهور اى معهد أو كلية أو جامعة بأى مدينة خليجية هو تحد لهذه العوامل كلها وبداية حياة جديدة لا في الثقافة فحسب ولكن في الحياة الاجتماعية والحضارية كلها . فالجامعة بقعة جديدة من السلوك والتفكير والقيم بحيث تتغير المدينة كلها ، والبلد كله على المدى البعيد توجد به جامعة .

والرأى القائل انه يكفى ان تنشأ جامعة او اثنتان في المنطقة كلها لم يعد وجيها . فالثقافة الجامعية يجب ان تتسرب بالاشعاع والتأثير الى كل مدينة في بلادنا ما دامت امكانياتنا المالية تسمح بذلك ، ولا داعى لمركزية تحصر الجامعات في مكان واحد من الوطن العربي . وحتى الطلبة العرب في البلاد التي تشكو جامعاتها من ضغط الاعداد المتزايدة ـ كما هو الحال في مصر ـ يمكنهم الالتحاق بالجامعات الخليجية الجديدة تفاعلا مع اخوانهم في الوطن العربي وتخفيفا للضغط على الجامعات في بلادهم ..

لقد حققت جامعة الكويت نموذجا طيبا لهذه التطلعات ، كما اخذت الجامعات السعودية تتطور وتتسع ، ويأتى نشوء جامعة في صنعاء بدعم خليجي ظاهرة حضارية تستحق كل تشجيع في اليمن الشقيق . وتخطط دولة قطر لانشاء جامعة ذات كليات تخصصية علمية ومهنية تحتاج اليها المنطقة . كما ان دولة الامارات العربية بصدد انشاء جامعة لها .ولو نحن قدرنا عدد الاساتذة الجامعيين الذين سوف تستوعبهم هذه الجامعات وتمنع تسربهم الى دول الغرب لادركنا مدى قيمة انتشار الجامعات في بلادنا .

تبقى قضية جوهرية وهى التنسيق بين السياسات الجامعية بدول المنطقة بحيث تكمل هذه الجامعات بعضها بعضا . وطالما ان بلاد المنطقة تسعى للتقارب والتوحيد ، فان هذا المجال جدير بعناية الرؤية الاتحادية ، كأن يتم تشكيل مجلس أعلى للجامعات بالمنطقة يكون ضمانة التنسيق والتكامل ..

محمد جابر الانصاري

اعلان عن افتتاح فرع
بنك قطر الوطني
(شركة مساهمة قطرية)
فى مدينة لنـــدن بانكلترا

تمشيا مـع سياسـة التوسع المرسـومة وخدمة للمواطنين فى قطـر وسائر امارات الخليج العربي ، يسر مجلس ادارة بنك قطر الوطني ان يعلن عن افتتاح فرعه الجديد فى مدينة لندن بالملكة المتحدة والذى سيباشر اعماله اعتبارا من يـوم الخميس المـوافق الاول من شهر تموز (يوليو) ١٩٧٦ م ٠

عنوان الفرع فى لنـدن

بنك قطـر الوطني (ش٠م٠ق)	QATAR NATIONAL BANK (S.A.Q.),
أورمـــوند هــــاوس	Ormond House
٦٢ شارع الملكة فكتوريا	03 Queen Victoria Street,
لندن أى سـبي ٤ أن ٤ يواى	London EC 4 N 4 UA

تحت ادارة

السيد دبليـو ٠ أم ٠ بينيت	Mr. W. M. Bennett
تليفون رقم :	
٠٦٧٥ ـ ٢٤٨ ـ ١ ٠ لنــدن	01-248 6751

هذا وسـوف يقوم الفرع بتقـديم كافة الخدمات المصرفية بما فيها :

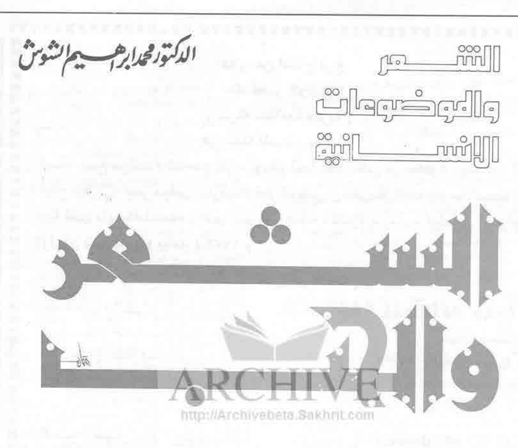
١) صرف الحوالات والشيكات وشيكات المسافرين
٢) فتح الحسابات الجارية بمختلف العمـلات وقبول الودائع وصرف دفاتر الشيكات الشخصية للمودعين ٠
٣) ربط الحسابات بمختلف انواع العمـلات وبأحسن اسعار الفوائد السائدة فى لندن وللمدد التى يرغبها المودعون
٤) فتح الاعتمادات المستندية وتعزيزها
٥) اصدار الحـوالات والشيكات وشيكات المسـافرين ٠٠ الخ ٠

وبنك قطـر الوطني اذ يعلن للمـواطنين الكرام عن افتتـاح هذا الفرع فى لنـدن ، ليؤكد للجميع استعداده التـام لتقديم كافة الخدمات المصرفية لهم فى الداخل والخارج على اكمل وجــه ٠

والله ولي التوفيق ؟

الشعر والموضوعات الانسانية

الدكتور محمد ابراهيم الشوش



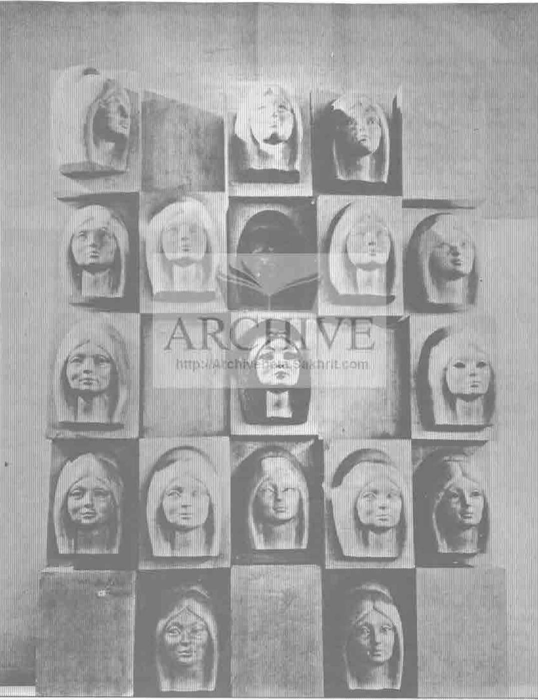
الادب الخالد الذى ينبع من نفس معطاءة ذكية لا يعرف الحدود ولا تحده القيود ، فهو ملك للانسانية كلها ، وتراث للبشرية جمعاء ، يعبر عن مشاعرنا ويهزنا وان فصلتنا عن ينابيعه الصحارى والبحار ويؤثر في أنفسنا وتسكن روحنا الى انغامه وان بعدت بيننا وبين مبدعيه الديار .

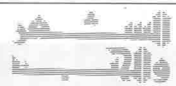
وهذه الواحة الفيحاء من مجلة الدوحة والتى يبدع في اخراجها فنيا يراع اخى الفنان الموهوب محمد ابو طالب والتى تناولت فيها من قبل نماذج خالدة من الادب الغربى لشاعرين مجيدين مما وردزورث وهو يتغنى في حضن الطبيعة والخوف وييتس وهو يعزف الحان ثورة ايرلندا في جنونها الغاضب ، وغضبها المجنون ، هذه الواحة اردنا لها ان تكون وقفة منعشة في خضم عالم قلق ، تطول وتقصر مع اناس وهبهم الله نفسا جياشة بالعواطف والاحاسيس الانسانية العميقة الثرة ، وقلبا ذكيا ، ومقدرة معجزة على الخلق والابداع .

هم اناس عرفتهم دون ان القاهم وأحببتهم ولزمتهم ، واريد لك قارئي العزيز في لحظات لقاء عابر ان تتعرف عليهم وتحبهم كما أحببتهم ، وتطرب لهم كما طربت لهم فقد كانوا مصدر اثراء لى ولعلهم ان يكونوا ذلك لك ..

ولنا تراث ضخم من الشعر . وكما ملكنا سحر الكلمة أمتلكنا موهبة التجاوب معها ـ تهزنا الكلمة الحلوة ونطرب لها ـ تجاوبنا الطبيعى هو الذى حفز شعراءنا فانشدوا وابدعوا .

وتيمنا بالشاعر العربى القديم الذى كان يستهل قصيدته بوقفة غزلية يستميل بها قلوب مستمعيه ويشدهم اليه فلتكن وقفاتنا بعد لقائنا مع هذين الشاعرين مع نماذج من شعر الحب والغزل .





وفي الحب قيل احلى الكلام • واحلى الكلام ، هذا الذى يتمثل في اربع قصـــائد في نغماتها شعور عميق هادىء وان كانت تمثل الحب المنتصر الذى لا يقهر ابدا •

وبالرغم من ان القصائد الاربع لشعراء مختلفين الا أن الاحساس الذى ينتظمهم واحد •• فالقلب مثقل بالآلام مثخن بجراح الزمن ناقم على الحياة ولكنه مع ذلك يجد عزاءه في الحب • فالحب وحده هو الذى يبرىء الجراح ، وهو الضوء الوحيد حـــين تظلم الدنيا والملاذ والمرفأ في خضم الحياة العاصف

اما القصيدة الاولى فهى قصيدة « الذكرى » للشاعر تنسون وهو شاعر يعتبر قمـــة شعراء الادب الحديث •• فالشاعر هنا يؤمل أن يجد في مشاركة الحبيب وقربه ، قـــوة تحميه من الهزيمة والمرض والشيخوخة وفقدان الايمان وغدر الناس بل حتي في مواجهة الموت نفسه •• فهو يستطيع ان يتغلب وينتصر على كل شيء مادام الحبيب الى جانبه :

كن قريبا مني •• عندما يضعف ضوئى ويهتز صوتى •

ويقشعر الجسم وتبرد الاعصاب

وتخدر ، ويصيب القلب دوار

وتبطىء عجلات الحياة •

●★●

كن قريبا منى عندما يصبح اطار الحس

مثقلا بالآلام التى تحطم الثقة

وحين يصبح الزمن معتوها يثير الغبار

وتصبح الحياة لعنة غضب ترسل اللهب

●★●

كن قريبا منى حين ينضب ايمانى

ويصبح الناس كالذباب في نهاية الربيع

يلفظ بيضه ويلسع ويطـــن

وينسج بيوته الصغيرة ويموت

●★●

كن قريبا منى عندما اتلاشى

واصل نقطة النهاية في الصراع البشرى

واقف على حافة الدنيا المظلمة

اشرف على شـــفق الابدية

هذا الايمان الجبار بقوة الحب وقدرته الخارقة على منازلة تحديات الزمن ، نجـــده عند شاعر متدين من شعراء القرن السابع عشر هو جورج هيربرت في قصيدته العاطفية الرقيقة « الزهرة » فالتجاوب العاطفى الذى صلى من اجله تنسون وجده الشـــاعر في هذه القصيدة بعد ان هد الزمن من قواه وعصفت به الاعاصير او كادت فاذ الحيـــاة تورق مرة اخرى في قلبه ويشرق الامل في نفسه بعد ان كاد اليأس يمزقها •• واذا هو يتغنى ويترنم :

ما انعش هباتك يا حبيبى وما احلاها وابدعها واصفاها
فكما تثير زهور الربيع في قلوبنا
البهجة برونقهـا وجمالهـا
كذلك يمنحنا الجليد الذى مضى السرور والسعادة
كان لم يكـــن هنالك ابدا
من كان يظن ان قلبى المنقبض
يمكن ان تعود الخضرة اليه ·· بعد ان ذبل
ونفسى التى اصبحت جذعا جافا ميتا
اذ هي في الشيخوخة تنتعش وتزدهر مرة اخرى
وبعد الموت احيـــا واكتب
واستنشق مرة اخرى عبير الندى والمطر
ويلذنى الشعر واطرب ·· ايه يا نورى الوحيد
يا من انقذتنى بعد الشيخوخة والموت
لا اكاد اصدق ابدا ·· نعم لا اكاد اصـدق
اننى انا ذلك الانسان
الذى هبت عليه الاعاصير طول الليـل

والشيخوخة التى يتحدث الشاعر عنها في هذه الابيات ترمز الى نضوب العاطفـة لا الى تقدم الزمن فقد مات هيربرت وهو يبلغ من العمر تسعة وثلاثين عاما ··

والتغنى بعاطفة الحب باعتبارها المنقذ حين يدلهم الخطب والضوء حين تظلم الحياة ، نجده ايضا وبصورة رائعة فذة في قصيدة غنائية لشكسبير يقول فيها :



حينما يزدرينى القدر ، وتحتقرنى أعين الناس
أجلس وحيدا ابكى حالتى التعسة المنبوذة
وازعج السماء الصماء بصرخاتى التى لا تجدى
وانظر الى نفسى ، والعن حظى
واتمنى لو كنت صنو انسان ملء بالامل
لى جمال قسماته ولى مثله اصدقاء كثيرون ،
واظل أشتهى موهبة هذا ، ونجاح ذاك
والذى املكه لا يرضى نفسى ولا يشفى غليلى
واحتقر نفسى حين تمر بى هذه الهواجس
ثم اذكرك فجأة ·· فينتعش القلب ويصحو واذ حالتى
كالكروان يصحو مع شروق الشمس ويغنى عند ابواب السماء
لان ذكرى حبك الحلوة تمنحنى ثراء
حتى لاكره ان استبدل حالتى بحالة الملوك .



اما القصيدة الرابعة التى سنقف عندها فهى قصيدة شاعر مغمور هو جون رولاند ، وهى قصيدة شديدة الشبه بقصيدة شكسبير الغنائية ـ فهى مثلها تصور خلـود الحب وانتصاره ولكنها تتسم بالخفة والمرح ـ وهو يعمد ايضا كما فعل شكسبير الى قـلـب المعنى في نهاية القصيدة ـ فهو يهدد في الابيات الاولى بقطع حبل الوصال ان خانته حبيبته لكنه يعود في البيت الرابع ليعترف بعجزه ازاء الحبيبة مهما فعلت ـ فحبـه هو الباقى والخالد ابد الدهر حتى اذا تغير كل شيء في هذا العالم :

ايتها الحبيبة اذا تغيرت فلن اختار بعدك احدا

ايتها الحلوة اذا انصرفت عنى فلن افكر في الحب ابدا

ايتها الجميلة اذا خذلتنى صغر الجمال في عينى دوما

ايتها العاقلة اذا صددت عنى فسيجد الذكاء عندى صدا

ايتها الحبيبة الحلوة الجميلة العاقلة تغيرى وانصرفى واخذلى وصدى عنى

اذا شئت ولا تصدقى مما اقول شيئا

واقسم لك انك مهما فعلت فان ايمانى بك لن يتزعزع

ولسوف تزين الارض السماء بالزهور ،

ولسوف تدور السماء بنجومها المتلالئة حول كرة الارض المظلمة

وستفقد النار حرارتها ، ومن الجليد يخرج اللهب ،

ويصبح الهواء مسودا كنار الجحيم ،

سترى الارض والسماء والنار والهواء العالم وقد تغير واستحال

قبل ان اخون عهدك او اسلو حبك ،

تشترك القصائد التى استشهدنا بها مع بعض في تصويرها المبدع للحب كعاطفـة قوية مرحة ، لا تخضع لمنجل الزمن ولا تنحنى للعواصف ولا تستكين للقدر ولا تعترف بالايام والفصول .. وفي خضم الحياة العاصف يصبح الحب هو المرفأ الامين والمنقذ الوحيد من ظلمات اليأس ، وقد عبر كثير من اولئك الشعراء الافذاذ عن ذلك الشعور الفياض الذى يغمر كيانهم بالنشوة الطاغية والسعادة والدفء .. وهم يصـفـون حبهم الجامح ،

في هذا العالم الوردى ، نتعرف على حبيبة بن جونسون في قصيدته « انتصار الحب » تلك التى تفوق زهرة السوسن اليانعة في رقتها ، والثلج في بياضه ، وريش البجعة

في رقتها ، وعطر براعم الورد وعود الطيب في لطفها وعسل النحل في حلاوتها ، كما نتعرف على لورا حبيبة الشاعر كامبيون ذلك النغم السماوى الذى يبدو كل شيء دنيـوى نشازا الى جانبه ، ونشارك الشاعر الكلاسيكى اسبنسر احساسه العميق بالسـعادة والنشوة في قصيدة الزفاف ..

وفي قصائد الحب في الادب الغربى نرى كيف يستغل الشعراء جمال الطبيعة وروعة ازهارها ورقة طيورها لوصف الحبيبة وصفا يشيع البهجة والحبور كما فعل جـون رينولدز في قصيدته « باقة الزهور » ، وفي قصيدة النطاق التى يصف فيها ادموند ولرى احساسه بالرغبة العنيفة وهو ينظر الى النطاق الذى يلتف حول خصر حبيبته نرى كيف تبدو المغالاة في هذه الاشعار المرحة حلوة رائعة ومقبولة ،

وتزخر بعض هذه القصائد بذخيرة ثرة من المعانى المبتدعة كما نجد في قصـيدة

فريك « للاختلال البهيج » والتي يوضح الشاعر فيها ان الاثارة غير المتعمدة هى التى تستميله في النساء ـ فهو يحدثنا عن العاطفة الملتهبة التى تثيرها في نفسه هذه الفتاة بزيها التلقائي غير المنتظم • فالوشاح ملقى في سهو ، والشرائط ذات الزركشة غير المنسجمة تشتبك مع حزام الخصر ، والخيوط تتدلى من الاكمام في تحفظ وارتباك ، وتموجات الفستان العاصف غير منتظمة لكن ذلك هو الذى يثيره :

اختلال حلو في اللبس
يجعل الملابس شديدة الاثارة
الوشاح الملقى على الاكتاف
في سهو لطيف ومثير
والشرائط ذات الزركشة غير المنسجمة تتدلى
وتشتبك هنا وهناك بحزام الخصر القرمزى
والاكمام في غير اكتراث تمتد خيوطها في ارتباك واضطراب
وتموجات الفستان العاصف غير المنتظمة
تسترعى الانتباه •

وما من شاعر غاص في أعماق هذا البحر الزاخر بالمعانى المبتدعة مثل دن DONNE وبخاصة في قصائده ـ الذكرى المتجددة ـ وداع بلا دموع ـ ولعل قصيدته ـ شروق الشمس ـ هى اكثر قصائده اتقانا ـ فهى تمتاز بأسلوب مرح لعوب ، ولا شك في ان الشاعر كان يسخر من اسراف كتاب الاغاني وهو في سخريته يريد ان يقنعنا بصورة درامية فنية ، ان حبه وحده هو الذى يستحق المبالغة والاسراف •

فهو يحدثنا في هذه القصيدة انه غاضب على الشمس لانها تسللت الى مخدعه عند الشروق فايقظته وحبيبته من حلو احلامهما وهما ينعمان بالحب • وهو يعلن غضبه من خلال سلسلة من المقارقات الطريفة على احساس عميق بالسعادة •



ايتها الشمس العجوز الحمقاء اللؤوبة
اغربى عنا •• ما الذى تبغيه منا
تتسللين الينا هكذا من خلال النوافذ والستائر
اتحسبين الحب يخضع لتحركاتك الرتيبة ؟

●★●

ايتها المتحذلقة التعسة الوقحة اذهبى وازجرى
التلاميذ الذين تأخروا عن مدارسهم وصبية العمال الاشقياء
الهاربين من اعمالهم
اذهبى وخبرى حشم الملك بخروجه للصيد ليستعدوا
واخرجى جمهرة النمل الى الحصاد
الحب ـ في كل صورة ـ لا يعرف الفصول ولا يخضع للمناخ
ولا ينحنى لسطوة الزمن

●★●

ما الذى جعلك تؤمنين بان



أشعتك قوية ونافـذة
ونحن نستطيع أن نحجبها بطرفة عين ؟

●★●



تعالى وانظـــرى هنا وخبريني
ان كان عطر جزر الهند حيث كان
أم انه يرقد الان معى ؟
والملوك الذين رايتهم بالامس
لو سئلت عنهم ـ تجمعوا جميعهم لدى
انها كل الممالك وانا كل الملوك
واذا قست كل مجد ومال بما لدينا
كان كل شرف هزالا وكل مال سرابا

●★●

وما دامت الشيخوخة قد دبت في اوصالك
فاسكنى الى جانبنا ، واذا كان واجبك ان تدفئي العالم
فقد فعلت اذ تبعثين الدفء في قلبينا .
ارسلي اشعتك الينا فكانك ترسلينها في كل مكان
هنا يرقد العالم كله ـ فهذا السرير مستقرك
وهذه الجدران فلك فيه تدورين

وهنالك العديد من قصائد الحب التي تختلف اختلافا بينا عن هذه القصائد المرحة . فهى قصائد وجدانية ذاتية حالمة موغلة في الرومانسية شبيهة بقصائد الحب العـذرى في ادبنا العربى وتمثل المشاعر الخائرة الضعيفة الحزينة المستسلمة .. ولعل خير نموذج لهذا اللون من الشعر قصيدة شللى المشهورة « سيرنادة هندية » والتى يقول فيها :

أصـــحو من حلمى بك
في الهزيع الاول حين يحلو النوم
وتهب النسمات عليلة
وتتالق النجوم لامعــة

●★●



اصحو من حلمى بك
فتهتدى اليك قدماى
ـ لا ادرى كيف تهتديان ـ
الى نافذة غرفتك ايتها الحبيبة

●★●

وتذوب النسمات الجـــوابة
على الجدول المظلل الســـاجى

وينتشر شـــذى العطر

كالاخيلة العذبة في الاحلام

وعلى صدرها تخفت آهات العندليب

فلتخفت آهاتى دوما على صدرك ايتها الحبيبة

●★●

خذينى اليك فانى اموت

ويغشى على وأذوى بين العشب

وليمطر حبك قبلات

على شفتى وعلى اجفانى الشاحبة

خداى يبردان واأسفاى

وقلبى ينبض نبضا عاليا وسريعا

يركض ركضا .. ضميه الى قلبك

قبل ان ينفطر .

●★●



فنغمة الانكسار والضعف في هذه القصيدة تختلف كثيرا عن نغمة الانتشار والانتصار التى وجدناها في القصائد السابقة والتى تصور الحب قوة دافعة مثيرة وموحية وليس وجدا مريضا ولا شك ان قصيدة شلى تصور شعورا حادا مثيرا للشجن ولقد كانت اوروبا القرن التاسع عشر تطرب لهذا اللون من الشعر لكن الذوق الاوروبى الحديث يتحاشاه وينفر منه وربما كان ذلك انعكاسا للمبدأ النقدى الصارم الذى ينادى بالموضوعية والبعد عن الذاتية المفرطة والتى لا تعتبر الانسان فنانا بحق الا اذا تجرد من ذاتيته وتوقف عـــن الاهتمام بعواطفه الخاصة الا من حيث انها مادة يستقى منها شعره .

وكنموذج لهذا اللون من الشعر نجد قصيدة تنسون « الان تنام الزهور » فالاحساس هنا يماثل الى حد كبير الاحساس في قصيدة شلى « سيرنادة هندية » ولكن بينما يبدو شلى متهالكا يستحيل الحب عنده الى حالة مرضية .. يظل تنسون كتوما موضوعيا وكلاهما يستعين بالليل والطبيعة في قصيدته ، يقول تنسون :

الان تنام الزهور القرمزية والبيضاء

وتسكن اشجار السرو في طريق القصر وادعة بلا حراك

ولا تطرف زعانف السمك في حوض الرخام الساجى

وتستيقظ الفراشة فاستيقظى انت معى

يتراءى طيفك امام عينى

فترقص الارض تحت اعين النجوم

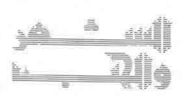
وقلبك يرقد مفتوحا امامى

●★●

الان يندفع الشهاب الصامت تاركا وراءه

خيطا لامعا كذكراك في نفسى

الان يلم السوسن الناعس اطراف عذوبته



ويندس في حضن البحيرة

فاطوى نفسك يا حبيبتي انت واندسي

في حضني وذوبي نفسك في نفسي

●★●

والذوق الاوروبي الحديث ما عاد يحفل بمثل ذلك الاسراف الرومانسي الذى تجلى في قصيدة سيرنادة هندية وقد عبر عن هذا الاتجاه الواقعي الجديد الشاعر المعاصر ايليوت حين قال : « لا يعتبر الشاعر شاعرا حقا الا ذلك الذى استطاع ان يحول آلامه الذاتية الخاصة الى شيء خصب وغريب وعام وموضوعي • ولقد اصبح ذلك اللون المتهالك من الشعر الرومانسي مصدر تندر وسخرية وتهكم من كثير من الشعراء الغربيين ـ جون تسكلنج حين كتب هذه القصيدة التهكمية وقد وضع نفسه موضع شخص عاقل يسدى النصح لشاب في عصر النهضة يمر بنفس الطور العاطفي الذى عبر عنه شلي في قصيدته سيرنادة هندية •••



مالك شاحبا حزينا ايها المحب الموله

بحقك قل لى لم هذا الشحوب ؟

ان كنت وانت معافا لم تستمل قلبها

اتراك تفعل وانت كئيب مريض ؟

بحقك لم هذا الشحوب ؟

●★●

مالك مكتئبا صامتا ايها الاثم الصغير

بحقك لم هذا السكوت

ان كنت وانت تتحدث بطلاقة لم تفز بقلبها

اتراك تفعل ولم تنبس بكلمة

بحقك لم هذا السكوت ؟

●★●

كف عما تفعل فهو عار ولن يؤثر فيها

ولن يستهويها او يخلب لبها

وان كانت لا تريد ان تبادلك الحب

فلا شيء مما تفعل يمكن ان يقنعها

فاتركها ولتذهب الى الجحيم

هذا الاستهزاء الفكه ينقل حالة العاشق من المأساة الى الملهاة • كما يجعل الام العشق والشحوب والصمت المتهيب في حضرة الحبيبة ، والوله المبالغ فيه مدعاة للضحك والسخرية•

وقد كتب نفس الشاعر قصيدة هزلية ساخرةمماثلة يسخر فيها من قصيدة بن جونسون « انتصار الحب » والتي يصف فيها حبيبته في ابيات رقيقة الايقاع بانها تفوق زهرة السوسن اليانعة في رقتها ، وعطر براعم الورد وعود الطيب في لطفها ، وعسل النحل في حلاوتها ـ فيقلب كل هذه الاوصاف الى عكسها مستعملا نفس القالب الشعرى والوزن والقافية يقول سكلنج معارضا تلك القصيدة :

هل رايت الريش الخفيف وهو يتناثر في الهواء
عندما تتلاعب به الريح الهوجاء ؟
او السفن في البحر في الليلة الظلماء
عندما تدهمها الامواج العتيقة الرعناء ؟

هل لاحظت التمساح وهو يبكى في حرقة ومضاء
او الثعلب وهو يتناوم بخبث ودهاء
هل شاهدت الطاووس يختال في كبرياء ؟
او ذكر الحمام بجانب قرينته البلهاء
يستميلها لارضاء شهوته بمعسول الغناء ؟
كذلك هى ، متقلبة ، خئونة ، مغرورة وحية رقطاء
ومثل هذه السخرية اللاذعة نجدها عند احد الشعراء الهزليين
يقول على لسان احد رجال الحاشية :
اعترف صادقا اننى احببت
ثلاثة ايام مجتمعة كاملة
وقد احب لثلاثة ايام اخرى
اذا كان الجو صحوا مناسبا

وهذا التهكم الفكه على الشعر الرومانسى العالم يعيد الى اذهاننا الموقف الساخر الذى كان يقفه شاعر الغزل الاموى عمر بن ابى ربيعة والذى ما فتىء يتهكم من شعراء الغزل العذرى ـ اذ يقول في احدى قصائده :

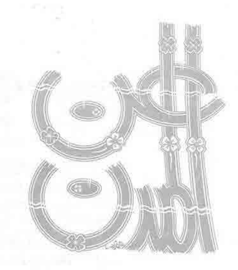
سلام عليها ما احبت سلامنا

فان كرهته فالسلام على الاخرى

بهذه النغمة الساخرة الفكهة تنتهى وقفتنا في واحة هذا الشهر ولتكن لنا وقفات اخـــرى ...

محمد ابراهيم الشوش





شعر : عبد الرحمن الابنودى

منطق الشعراء غريب
واللي أغرب منه ·· منطق المدن
فالمـدن :
زي معظم أشهر الشعراء
نبتت أو خرجت م الريف
لسة في طفولتها طعم الريف ·
والمـدن :
زي معظم أشهر الشعراء
بعد ما تكبر وتشتهر ··
تنتمي لعالم المـدن ·

●★●

بعد ذلك ·· اهتمامات المـدن
لغـة المـدن ·
وعلاقات المـدن بالمـدن
تصبغ الشارع بصبغة المـدن
وعلاقات المدن ·
يصبحوا السكان ·· سكان المدن ·
النساء ·· نساء مدن ·
والملابس تنتقـل
من مـدن الى مدن
يطلعوا الاطفال في قلب المدن
أطفال مـدن ··
ثـم ···
تشتهر المـدن ·

●★●

ملحوظة ··
عمر ما قرية صغيرة تشتهر
الا لو طلع فيها مسيح
ولا ألقى فيها قنبلة ·
أو طلع منها ·· وباء خطير ·

●★●



وتقسم المدن أحياء
وتتقسم مع التقسيم
أصناف المباني والبشر
فهنا الحي القديم
وهنا الحي العظيم
وهنا ·· حي السياسة
وهنا حي التجارة ··
وهنا الحي اللي كانوا يفضلوه الشعراء ·
وهنا حي المتاحف العتيقة ·
تتحول المدن الى خرايط
تتحول الخرايط لحقيقة ·
تخفي خلف الواجهة كل الحقيقة ·
وكل ما حول المدن
يعمل في خدمة المدن ··
وهي تعمل في المسائل الدقيقة

●★●

والمدن لها روايح
اللى مكتوم واللى باين
واللى فايح ·
والمدن ليها مآثر ··
والمدن ليها فضايح
وعلاقات المدن ··
تشتغل حسب المصالح

●★●

خروج قليل عن الموضوع والوزن
ومعـظم المدن
تموت ·· لكن تظل ·
واللي بيحيا عدد أقل من الاقل ·
تخفي المدن عن كل سكان المدن
مدينـــة ··
تلغيها م الجورنان صباحا ··
تختفي من عالم المدينة ·
ففي المـــدن ··
يرتبط الصباح والجورنان بالانسان ··
وتتلغى بالشكل ده مدن
في معظم المـدن ··
علشان يمر اليوم في العالم
وتستمر تضحك المدن ·

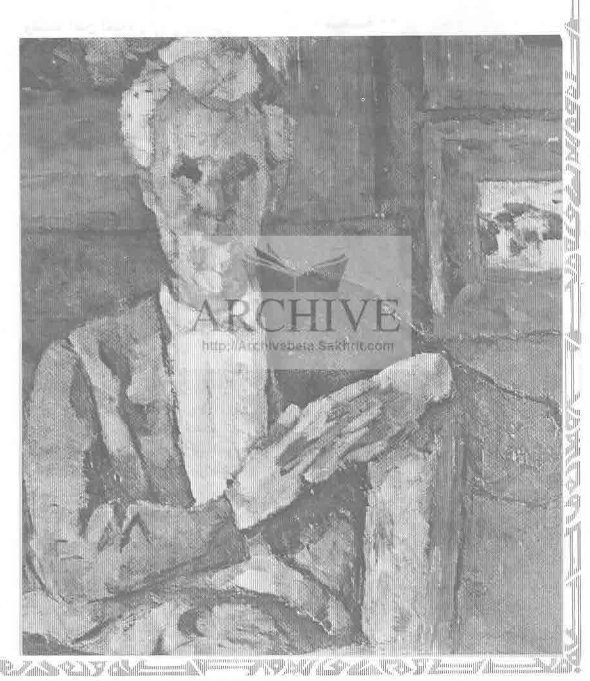
●★●

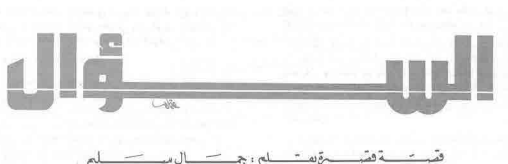
عن هذه المدن ··
عن هذه السفن
اللى تخوض الموت بابتسامة
واللى بيتربص الموت فيها للشعرا
في كل لقمة خبز ··
وف كل ناصية ف جانب الشارع
لا تعـرف المـدن ·

●★●

القصـــيدة
ما أكثر الله منك يا موت المدن
تختلف الاسماء والالوان
تختلف اللغة وملامح الانسان ··
يختلف التبويب في الجورنان
لكني شايفك في جميع المدن ·
وما أقل المدن المزهرة ·
وما أقل المدن اللى بتحلم
تصحى متكسرة
وقد ايه نادر في عالمنا اغتيال الشعرا ·
وقد ايـه ··
بيتحسد نيرودا

●★●





السؤال

قصة قصيرة بقلم : جمال سليم

فجاة رأيته أمامي في مقصورة القطار ، يضع على عينيه نظارة سوداء ، وعلى راسه شيئا يشبه العمامة او الطاقية وكان يرتدى بذلة كاملة ، ويعلق في عنقه كرافتة حمراء صارخة ، اما القميص فكانت ياقته تثير الدهشة .. كانت منشاة حتى لكان حافتها تشبه انسكين ، وكان حذاؤه يبدو غريبا ، ومنذ اللحظة الاولى استرعى انتباهى .. كان كما لو كان لجندى في الحرب العالمية الاولى ..

شدنى شكل الحذاء ، بلا شك كان من احذية الجنود السوداء ، له رقبة ضخمة وطويلة بعض الشيء وواسعة كفنطاس الماء ، جلدها سميك كلحوم الخنازير ، اما مقدمة الحذاء فكانت بيضاء بفعل الشمس ورمال الصحراء ..

كانت صورة الحروب واضحة على وجه الحذاء ، في لونه وفي بشاعته وفي مقدمته ، الحرب العالمية الاولى والثانية ، والحروب العربية ، حروب ١٩٤٨ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ، ففى كل الحروب لابد ان يتهيا للجندى سلاح وثياب وحذاء ، وكان من السهل على الجندى ان يفقد سلاحه اما أن يفقد الحذاء فكان امرا اخر . كان الجنود يضعون اقدامهم في الاحذية وينطلقون الى المعركة . وينطلقون الى النصر او يعودون بدون احذيتهم .. كان الحذاء ـ وما زال ـ دليل التقدم او التراجع ، في ارض المعركة كانت الاحذية هى الشيء المميز والموجود دوما .. احذية فارغة خلعها أصحابها حتى لا تعوقهم عن الفرار ، واحذية اخرى محشوة باقدام ادمية ، الاحذية الفارغة كانت هى مثار الاهتمام ، يجمعونها لتعينهم على معرفة عدد الفارين ، ثم لاستعمالها فيما بعد ..

سألته بفضول حقيقى ـ قل لى ، من اين اشتريت هذا الحذاء ؟ قطعا اشتريته من وكالة البلح انه بالطبع من مخلفات الحرب العالمية الاولى او الثانية .. اليس كذلك ؟..

نظر الى الرجل من خلال نظارته السوداء ، او هكذا خيل الى .. قال ـ دعك من هذا الحذاء فسوف اقص عليك امره ..

لذت بالصمت ، انتظارا لقصة الحذاء ، ورحت اتطلع الى وجهه بفضول يتزايد بمرور الوقت ، الا انه لم ينبس ببنت شفه ، بل ظل يحدق في ظهر المقعد الذى اجلس عليه ، غير مدرك ـ أو هكذا خيل الى ـ انني في انتظار ما سوف يقوله ، وتذرعت بصبر بدا لى انه طوق النجاة الوحيد ، متخيلا ان قدرتى على الاحتمال قد تلازمنى فترة اطول ، الا ان التعب ، وضجة القطار ، والغبار الذى ينفذ من النوافذ ، كل هذا حرك في نفسى تفاهة هذا الوهم ، وايقنت ان قدرتى على الاحتمال محض خيال احمق ، وسرعان ما كنت على حافة اللحظة التى يفقد فيها المرء صوابه ، ومن حسن الحظ انه قد سبق هذه اللحظة حالة تحللت فيها من كل اتزان .. بحيث اصبحت موشكا على الاقدام نحو عمل ما ، لطمة قوية على هذا الوجه الجامد ، خلع النظارة السوداء وتهشيمها بقدمى ، القى بحقيبتى عليه وابصق في وجهه ..

توقف القطار « هذه اسيوط » نطقها الرجل كرش بارد على وجهى ، وكما يستيقظ المرء من حلم مزعج استيقظت ، وقلت في نفسى « هذه هى الفرصة الوحيدة للهرب من هذا المخلوق ، ولا ريب ان العناية الالهية

قد جعلت القطار يتوقف في اسيوط لاهبط فيها انقاذا لنفسي ، وهممت بجذب حقيبتى من الرف والهبوط بها الى المدينة قاطعا بذلك رحلتى الى اسوان ..

وفجاة .. تحرك القطار .

ارتميت على مقعدى وعيني على الرجل فلا ريب ان نظرة التشفى التى وجهها الى سوف تخترق زجاج نظارته وتحرقني ، ولذا فقد تواريت قليلا لاتحاشاها ، قائلا لنفسى « لم يعد امامك ايها البطل الا تجاهل هذا الرجل مع حذائه القديم وليذهب واياه الى الجحيم .. »

ويبدو ان كلمة الحذاء التى قلتها في نفسى احدثت اثرا عكسيا فقد عصفت بى شراهة مفاجئة الى معرفة قصة الحذاء واصله وفصله وممن ومن اين اشتراه ..

قلت ـ ولكن .. هذا الحذاء؟

تحرك وجهه المستطيل نحوى ، وهتف ـ ساحكى لك كيف حصلت على الشقة التى اسكنها ..

ذهلت ..

هاهو ذا يعود الى الاجابة على سؤال لم اطرحه . قلت في نفسى « ربما انتقل من موضوع السكن الى موضوع الحذاء ، وشيء افضل من لا شيء ، نعم اذ لا شك انه سوف يستطرد ويتوسع في موضوع السكن بحيث يشمل الطعام والثياب .. ثم الحذاء » . اعتدل في جلسته وقال : « كنت قد قدمت عدة طلبات للمدير ، قلت له فيها انني كفيف وزوجتي كفيفة . وابنتي كفيفة ، واريد سكنا » .

واستند برأسه الى ظهر المقعد ، واستطرد ـ « كنت قد قدمت عدة طلبات » ثم عاد واستدرك انه قال هذا من قبل ، واوما الى براسه كانه يعتذر ، ثم عاد يقول : « .. ثلاث سنوات والمدير يصرفنى بغطرسة ، مرة يقول لى غدا ، ثم بعد اسبوع ، ثم بعد عام ، ثم بعد الميزانية وبعد السنة المالية ، وبعد وبعد .. » .

وانتقل الرجل في قصة المسكن الى التفاصيل الدقيقة .. بحثت عمن يرشدنى الى هذا المدير ، واوقات مجيئه وذهابه ، واتفقت مع بائع يقف امام المصلحة ليغمزنى في ذراعى عندما يظهر المدير ، وجاءنى البائع بالخبر اليقين . وعندئذ ذهبت الى المصلحة وانتظرت خروج الامبراطور ..

ونهض الرجل وتوسط مقصورة القطار ليصور مقابلته للامبراطور ، وكيف تحدث اليه عن مسكنه ، واستطرد : « .. وعندما وصل المدير الى نهاية السلم ، وكاد باب السياره ان يفتح له ، ناديته باعلى صوتى يا سيادة المدير .. يا محترم .. اين المسكن الذى وعدتنى به ؟ وعلى الفور صرخ المدير لاحد الموظفين ابعد هذا الرجل عن طريقي .. ابعده ، عندئذ اخرجت من صدرى رقا اشتريته لهذا الغرض ، وضربت عليه ، وغنيت (ذهب الوحش وجاء الجحش .. آه يا عينى) وزوجتى وابنتى يرددان ورائى بعذوبة (آه يا عينى) ..

ودون ان ادرى اخذت اردد وراء الرجل « آه يا عينى .. اه يا عينى » .

واسترسل الرجل ذو النظارة السوداء .. « .. صرخ المدير وقال لاحد الموظفين يا محمد اعط هذا الوغد مسكنا من المساكن المحجوزة .. الا اننى لم اتوقف عن الغناء والضرب على الرق ، وعندئذ هجم المدير على وكمم فمى متوسلا (ارجوك ، لا داعى للفضائح ، .. اسكت) ولم اسكت بالطبع ، خرجت من المصلحة ومعى ورقة رسمية بالمسكن الا ان الرغبة في الغناء والضرب على الرق لازمتني ، انه لخير لى ان اغني واضرب على الرق من العيش في مسكن محترم .. آه ذهب الوحش وجاء الجحش .. آه يا عينى .. »

قلت له محاولا التخلص من تاثيره المهلك على « ماشانى بالمسكن والمدير والوحش والجحش •• قل لى قصة هذا الحذاء الذى في قدمك •• اين عثرت عليه ؟ وممن اشتريته ؟ » •

قال وهو يعيد الرق الى صدره : •• لقد وقعت في الحب •• وغمز بعينه اليسرى ، ثم استطرد •• كانت تعيش بالقرب منى ، وكانت في مرحلة نقاهة من تجربة حب عنيف خدعها صاحبها وفر الى امريكا ، وبعث لها برسالة حب ملتهبة مزقتها وقررت ان تنساه ، اعطيتها كل شيء ، اسمي ، ووقتى ، وفكرى ، وقلبى ، احببتها بصدق وعنف ، لكن جرثومة الداء التي اورثها اياه صاحبها كانت كامنة في صدرها . فقضت على ثقتها في الرجال •• كل الرجال ، وفقدت الثقة في نفسها ، وفي كل شيء فباعت جسدها في السوق ، كانت تنشد عالما تنعدم فيه الثقة مقابلا لعالمها المفقود ، ثورتها لم تكن للتغيير بل للانتقام والتدمير •

وعندما اكتشفت هذا لم تحاول ان تفسر سلوكها ، او تعتذر عنه ، وبمرور الايام قام حاجز بينى وبينها • لم اجسر على لمسها ، كنت كمن المس جسدا مر عليه كل الرجال ، ولم اعد بقادر على سماع صوتها ، او حتى رؤيتها . كنت اتالم ، حبها كصلب منصهر ، قائم ابدا في جوانحي لا يمكن زحزحته ، ولم يكن من السهل على ان اعيش بدونها لحظة •• الا ان الايام داوتنى ، وبالالم عشت للاشيء كل شيء غدا بلا طعم ، ولا مذاق للدنيا ، وذبلت اوراق الربيع ، ونبت الحزن في قلبى ، لكن ، ثق اننى لن اراها ، لن المسها ، لن اتبادل معها كلمة ، لم يعد بيننا شيء مشترك . عندما صارحتها بذلك انهارت وبكت ، قل لى ـ هل احببت يوما ؟

صرخت ـ لا تبعث الشجى في نفسى •• اصمت •

تلوى من الالم وهو يردد بيتا من الشعر ••

ان الشجى يبعث الشجى فدعنى فهذا كله قبر مالك •

عدت اصرخ ـ اصمت ••

قال : ضاعت النجمة بين الاف النجوم ، وكسا الجليد قلبى ، وغمرنى الحزن حتى اخر العمر ••

واخرج الرق من جديد ، واخذ يضرب عليه ، ويغنى اغنية حزينة ، لم اتعرف على كلماتها ، وكانت دموعه تنثال على خديه •

وجاء مفتش القطار وطلب التذاكر ، فاعتذر بانه لا يحمل تذكرة لانه ركب القطار في اللحظة التى تحرك فيها ، ودارت مناقشة يائسة بينه وبين المفتش ، وكان من الواضح ان صاحبنا لا يملك ثمن التذكرة ، وهكذا دفعت انا ••

قلت له : واذن ما قصة الحذاء ؟ قل لى هل عثرت عليه في العلمين حيث دارت اشهر معارك الحرب العالمية الثانية ، لقد قرات ان الاف الجنود الالمان فقدوا احذيتهم في هذه المعركة ••

قال : رفضت الممرضة ان تقدم لى الدواء في السادسة الا ربعا طبقا لاوامر الطبيب ، تهاونت •• اليس كذلك لذلك صفعتها •• اتدرى لماذا صفعتها ••؟

همهمت نافذ الصبر ••

وعاد يجيب على السؤال الذى طرحه •• ذلك لانها نظرت الي وقالت انها تعرف عنى كل شيء ، وانه لا كرامة في الحب ، والحب والكبرياء لا يتفقان ، وما دام الرجل يحصل على كل ما يريد فلماذا يتمرد •• عندئذ صفعتها •

وانزوى بجانب النافذة ، ولزم الصمت •

قلت في نفسي ـ حسنا •

وبعد برهة انتفض وقال باهتمام شديد : « •• اتعرف اننى قد اشتريت رباط الحذاء بثلاث دولارات من الخارج وقبل ان يسمحوا لى بالشراء ارادوا ان يتاكدوا من لون الحذاء ، وهل هو مطابق تماما للون الرباط ، وخجلت ان اصارحهم بان هذا ليس من شانهم ، وعلى اية حال لم امكنهم من ذلك •• » •

قلت : لكنك على كل حال قد اشتريت الرباط وهذا اهم ما في الامر ••

اجاب : لا ، المهم في نظرهم هو التطابق والتشابه في الالوان ••

قلت : عجيبة هذه . اينفرون من التفرد ؟••

واحسست اننى انساق معه ، فعدت لاذكره بالحذاء ، قائلا : قل لى •• اين عثرت على هذا الحذاء •• لا شك ان صاحبه مات منذ عشرات السنين ؟••

شعرت انه ينوى ان يجيب بحكاية اخرى ليبعدنى عن الحذاء ، فاسترسلت •• ولا شك ان صاحبه هذا كان جنديا في جيش نابليون الذى دخل موسكو •• آه •• قل لى •• اوجدت هذا الحذاء في صحراء سيبيريا او في جليد القطب الشمالى ؟••

اسرع الرجل الى النافذة المفتوحة في المقصورة ، ثم خلع نظارته والقى بها الى ، ثم نظر الى بعيون متعبة ، يغشاها حزن عميق ، وقال لى قبل ان يقفز ويختفى •• لقد ظلوا يسالونى ويسالونى ، وانا •• لا اجيب •• هذا حقى ••

صرخت كالملسوع : •• هانتذا ترى ، لست اعمى •• لكنه لم يسمع ، كان قد قفز •••



درويش مصطفى الفار

أضغاث أحلام

احتورتني الجزع اذ تلفت حولي في المكان فلم يقع بصري الا على مصنوع عليه سمة اجنبية ، الكرسي الذي اجلس عليه ، والمصباح الذي فوق رأسي ، وغطاء المكتب الذي اكتب عليه ، والقلم ، والقرطاس ، وجهاز الراديو ، والاواني التي تقرقع بها زوجتي على مسمع مني في المطبخ ، واللعب التي يعبث بها ابني الصغير بجوارى ، والصبغ الذي طلي به الجدار ، وحبة الدواء الذي أمرني الطبيب بتناولها عقب كل طعام ، والخبز الذي آكله ، والشاي ، والحليب ، كل شيء اجنبي غير عربي جاء من بعيد عبر البحار والاجواء معلبا أو مثلجا أو مغلفا ، وتلفت حول نفسي في الزمان من خلال هذه الاشياء وغيرها فوجدتني انتمي الى أمة نعم ذات تاريخ عريق وعريق جدا ، الا انها تحاول ان تجتر هذا الماضي ظنا ان اجترار الماضي العريق هو كل الطريق الى المستقبل في زحام الامم ومضمار تسابق الشعوب ، وتتنكب عجزا أو سهوا أو بفعل فاعل الطريق الحق للمستقبل .. أمة عريقة التاريخ في طريقها لفقد شخصيتها حتما دون أن تدرى . واستبد بي الجزع ، وعجزت عن التحمل تحت وطأة ما يحيط بي فقررت الهروب الى البادية لدى صديق لم يزل يقيم في بيت من الشعر في عرض الصحراء ، وفي سويعات اوصلتني اليه ذات عجلات أربع ، جاءت من مصنع أجنبي ايضا .

دلفت الى بيت الشعر وتلقاني صاحبي بالترحاب



المعهود في أهل البادية وجلسنا · وكانت أول صدمة لى : اذ قدم صبى لنا قهوة العرب ذات التاريخ والصيت والشهرة في اناء حديث مطلى بالنيكل مصنوع في (هونج كونج) ، فسألت صاحبى أين الدلة النحاسية الصفراء الدمشقية أو البصرية أو الاردنية ، فقال مداعبا : يارجل هذه مصنوعات قديمة ذهبت بهجتها ومكانها الان بالمتحف عندكم وتلفت حولى في بيت الشعر فوجدت موجة الغزو البغيضة قد وصلت اليه ايضا في كثير مما يحويه فتذكرت قول القائل (والمستجير بعمرو) ولم اتورع في ان اطلب لصاحبى ذاك أن نغادر بيت الشعر الى ظل شجرة (سمر) وارفة قريبة من البيت ، حتى أريح حواسى من ذلك الذى حملنى على الهروب من المدينة الى الصحراء ، وتم لى ما أردت ، وأغفيت اغفاءة في ظل الشجرة نسيت بها واقعنا المرير واستيقظت فيها جوانب الحواس الانسانية التى لا تصحو الا بعد نوم الحواس الخمس المعروفة ، تلك حواس الامل والرجاء ·· رأيت في المنام تحت شجرة السمر في عرض الصحراء أضغاث احلام وما أنا ممن كانوا بتأويل الاحلام بعارفين ·

رأيت أن الله سبحانه قد شاءت قدرته ان يرشد أمة العرب الى الطريق السليم في الزمان بان أوحى الى نفر منهم أن يستنفروا الهمم في الصحافة والاذاعات المرئية والمسموعة لعقد مؤتمر (انقاذ عربى) ·· ورأيتنى في المنام أدير مؤشر المذياع من الدار البيضاء غربا الى الدوحة شرقا ، واستمع الى مذيع هنا وشاعر هناك ، ومقتطف للصحف بينهما ، يدعون جميعا الى هذا المؤتمر حتى انعقد فعلا في مكان ما من بلاد العرب الواسعة الرحبة ووجدت المذياع ينقل الى في غفوتى تلك صورة حية على الهواء مباشرة : أقوال وأشعار وأبحاث المشتركين في هذا المؤتمر العجيب الذى لم اسمع فيه سبابا ولا شماتة ولا وصفا لاحد من العرب بالمروق والخيانة والردة ، ولكن أهم ما استرعى انتباهى كان ما قاله خطيب رزين هادىء النبرات جاد المعانى يعتصر قلبه اعتصارا ويقول :

«أيها العرب ، يقولون انكم ملايين مئة ، وتملكون اليوم نصيب الاسد من أموال الدنيا ، ولكن ما بالكم رحمكم الله كلما أردتم تنفيذ مشروع صناعى أو زراعى كبير تلجأون الى الخبرة غير العربية شرقية أم غربية ؟ أتدرون لماذا ؟ لعلكم عن الحقيقة ، شأنكم في الكثير ، غافلون ·· نسمع انكم في كل قطر كبر أم صغر تنشئون الجامعات وتنفقون المال الكثير للبناء والتشييد ، وتجهيز المختبرات · ولكنكم تغفلون عن حقيقة هى أهم الحقائق في التعليم ، فانتم تعمرون جامعة بخراب جامعة اخرى ، فعدد الاساتذة في الوطن العربى كله محدود ، ولكن اغراء المال وضخامة المرتبات في قطر من أقطاركم يشجب الاساتذة والمدرسين من قطر اخر ، ومثل هذه الطريقة من السلوك التعليمي كفيلة بتدهور مستوى التعليم الجامعى العربى ، ومن هنا تجدون أنفسكم ملزمين بالاستعانة بالاجنبى في الخطير من اموركم ، وتجدون أسواقكم ومنازلكم وبيوت الشعر في صحرائكم مليئة بكل ما صنعه الاجنبى مثلجا أو معلبا أو مغلفا ، وتسيرون نحو فناء الذاتية العربية خلال سنين ·· والطريق القويم أيها الناس أن تجمعوا أمركم على تسخير جزء من أموالكم لانشاء جامعة كبيرة ضخمة فخمة في مكان ما يتوسط الوطن العربى ، وتنشئون بها المختبرات الممتازة وتزودونها بالاجهزة العلمية والمراجع ، ومعامل الابحاث في كل فروع العلم ، وتجندون لها الاساتذة الممتازين من كل أقطاركم ، وتجعلونها مستقر كل النابغين من ابنائكم الذين يجتازون المرحلة الثانوية بتفوق من كل قرى ونجوع ودساكر ومدن بلادكم ، وتنشئون حولها مساكن كافية لابناء كل قطر من أقطاركم وتجعلون شعار هذه الجامعة « انقاذ الامة العربية علميا » ·

ولتعلموا أيها الناس ان هذا التشرذم والتمزق وافقار جامعات لحساب جامعات اخرى هو طريق الشر والضياع والفقر العلمى الذى تعانيه أمة العرب ، وأن خريجى هذه الجامعة التى اقترحها عليكم اليوم سوف يحملون لواء عزة العرب ومجد العروبة ، اذ أن تعدد المذاهب والمشارب ومصادر التعليم بين من يملكون أزمة الامور في بلاد

الكاتبة وبائع الاحذية

●● اكثر ما يضايق الكاتبة اليونانية « ماري فيليب » هو شراؤها الاحذية · وذلك نظرا لبدانتها وكبر حجم قدميها ·

وفي احدى المرات دخلت متجرا كبيرا لبيع الاحذية افتتح حديثا ، بعد ان جذبها جمال المعروضات في واجهة ذلك المتجر · وراحت تجرب الاحذية الواحد بعد الاخر حتى ضاق البائع ذرعا بكثرة ملاحظاتها : هذا ضيق ، وذاك واسع ، أو قاتم اللون ·· واخيرا قالت للبائع :

ـ اخيرا هذا حذاء مناسب ومريح ·

ـ ولكن يا سيدتي ليس هذا حذاء ·· انه العلبة !·

اضغاث احلام

العرب اليوم من أهم الاسباب لقيام الخلافات والمنابذات على أتفه الاسباب فهيا اجمعوا أمركم وأنشئوا جامعة علمية كبيرة بأموال العرب جميعا ولابناء العرب جميعا وبأساتذة ومعلمين من اقطار العرب جميعا ، وتفكروا بحسن نية وصفاء بصيرة ووضوح رؤية في منفعة هذا الرأى !..

وصفق السامعون تصفيقا عميقا اذهلني ..

ولم أفق من ذهولي بعد فراغ هذا المتحدث من كلامه الا لاستمع الى واحد اخر يقول :

يا اخوتي ، في كل بلد من بلاد العرب ما يسمى بالبحث العلمي ، فهنالك أكاديمية ، وهنا جمعية ملكية ، وثالثة لا أذكر لقبها ، ورغم ذلك فحالة العلم في بلادنا على ما أنتم تعرفون ولا تنكرون ، وكم من الاموال تنفقون في سبيل الظهور بأنكم تحترمون العلم والبحث العلمي ، وكم من المحتالين يدجلون في بلادكم باسم العلم والبحث العلمي ، بل كم من المحاسيب والانصار غير الاكفاء يتسللون الى الكراسي القيادية في مضمار البحث العلمي ، وكم من علماء العرب الممتازين العباقرة فروا بعقولهم وامخاخهم الى حيث يحترم العقل والمخ وتحاول سياساتكم جميعا وبدون استثناء أن تتوقف بكم عند اجترار الماضي السعيد فأنتم أبناء جابر بن حيان والحسن بن الهيثم وابن سينا والبيروني ، والفرغاني ، وابن الافلح والكندي ، والرازي ، وابن رشد ، ومئات غيرهم ممن صنعوا العلم في القرون الوسطى قبل أوروبا ، ولكنكم نسيتم أن هؤلاء جميعا براء من سياستكم تجاه العلم والبحث العلمي ، وأرواح هؤلاء ومئات غيرهم تجأر الى الله أن يهديكم سواء السبيل بانشاء « أكاديمية » بحث علمي عربية جادة متوافقة فيها الفيزيائي العراقي والكيميائي المصري ، وعالم الالكترونيات التونسي ، والجيولوجي السوداني والبيولوجي الاردني ، وعالم الرياضيات الجزائري ، وغيرهم وغيرهم .. هذه الاكاديمية العلمية العربية بعلمائها العرب الابرار من كل الاقطار تجعل نصب أعينها انقاذ الاصالة العلمية لهذه الامة بالتصدي لقهر الصحراء ، واستزراع ملايين الافدنة التي لا تزرع في بلاد العرب ، واستغلال طاقة الشمس ، واستئصال الامراض المتوطنة وغير ذلك من المشاكل التي لا يحلها الا العمل العلمي المنظم الهادف الجاد .. أيها الناس افيقوا يرحمكم الله انكم عامتكم وخاصتكم في خوض تلعبون ، ألهتكم أموالكم عن جدية التفكير في مستقبل هذه الامة تفكيرا سليما وتجاذبتكم أهواء الاخرين شرقا وغربا فاسطرحتم على هواها وبتوجيهها وخاصة في مضمار العلم والتعليم . أفيقوا يرحمكم الله قبل القارعة وقبل أن تضيعوا ضياعا لا لقيا بعده ، ويصبح تراث العرب الثقافي والعلمي والحضاري من مواد المتاحف وصالات العرض .

وأفقت من غفوتي في ظل شجرة السمر في عرض الصحراء وقررت أن اكتب هذه الاضغاث التي رأيت ، لعلها تجد من يفسرها أو يؤولها من العالمين ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد .. ألا هل بلغت اللهم فاشهد .. ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

بين الحياة والموت

● ● حول « حياة الامم وموتها » كتب الاديب الراحل مصطفى صادق الرافعي يقول :

ان لكل أمة من اخلاقها وادابها ثوبا حاكته القرون ، وعملت فيه الاجيال ، فليس يصلح لغيرها ، ولا يصلح لها غيره .

وما سقطت الدولة الرومانية ، ولا الدولة العربية ، الا بكأس وامرأة ووتر .. وخيال شعرى يفتن في هذه الثلاثة ويزينها !

ويقول عبد الله بن المبارك : ما جاء فساد هذه الامة الا من قبيل الخواص وهم خمسة : العلماء ، والزهاد ، والغزاة ، والتجار ، والولاة .

اما العلماء فهم ورثة الانبياء ، واما الزهاد فعماد اهل الارض ، وأما الغزاة فجند الله في الارض ، واما التجار فامناء الله في الأرض ، واما الولاة فهم الرعاه .

فاذا كان العالم للدين واضعا وللمال رافعا .. فبمن يقتدى الجاهل ؟ . واذا كان الزاهد في الدنيا راغبا فبمن يقتدى التائب ؟ .. واذا كان الغازى طامعا مرائيا فكيف ننتصر على العدو ؟ واذا كان التاجر خائنا فكيف تحصل الامانة ؟ .. واذا كان الراعى ذئبا فكيف تحصل الرعاية ؟!



كسّارات
ومعدّات
للمقالع
والمحاجر

مهما كان
حجمها..
فإن
انتاجها
لايضاهى

W. H. BAXTER LTD. — و. هـ. باكستر ليمتد

London Office: Palace Chambers, Bridge Street, Westminster, London SW1.

تقوم باكستر بتصميم وصنع وحدات كاملة للمحاجر وللرمل والحصباء ولانشاء دفعات الخرسانة.

الكسّارات الفكّية هي من اختصاص باكستر وتتراوح أحجامها من ١٦ بوصة × ١١ بوصة الى ٦ بوصة × ٥٠ بوصة.

مجموعة باكستر من وحدات التكسير المتنقلة مشهورة في جميع انحاء العالم. يجري البحث والاختبار على معدات باكستر الى أن تثبت على أنها أكفأ المعدات من نوعها في السوق.

الوكيل العام: لدولة قطر و الكويت و الامارات العربية المتحدة
و سلطنة عمان و المملكة العربيه السعودية

مؤسسة الاخاء التجاريّة

الدوحة ـ قطر • تلفون ٣٨٠٥١ ص.ب ٢٥٢٥ تلكس ٤٣٦٠



جمعني اللقاء الاول بـ « بيتر بروك » المخرج البريطاني العالمي منذ عامين في باريس أو بالاحرى في أحد أزقة باريس • كان يقيم في غرفة بالطابق الاول من استديو الفن حيث المركز الدولي لابحاث المسرح ، وهو المركز الذى ظهرت فكرته الى حيز الوجود سنة ١٩٦٨ ، واشرف بروك على ادارته منذ سنة ١٩٧١ عندما حزم حقائبه وترك العالم الهادىء لمسرح لندن ، وتوجه الى باريس ليدير مركز المسرح الدولي •

أما اللقاء الثانى ببروك الذكى الضجر ، فقد التقيت به مؤخرا في القاهرة وفي جناحه بفندق المانيل بالاس • حزم بيتر بروك حقائبه هذه المرة وجاء الى القاهرة من أجل عمل كبير •• المخرج الذى يلقبه أهل الفن في بريطانيا برسول المسرح الغربى ويلقبه الباريسيون برسول المسرح التجريبى ، جاء الى القاهرة لتصوير فيلم جديد يعكف على تنفيذه منذ عام كامل • لم يتغير بيتر بروك •• ما زالت عيناه الزرقاوان تشعان بريق ذكاء •• عيناه أشعة اكس تنفذ الى أعماق الاشياء والاشخاص ، ترقب كل حركة من حوله ، وتتفاعل مع ابتسامته الساحرة •

السبب في زيارته للقاهرة يرد على لسانه بعد أن تعهدت له بانني لن انشر الحديث بالانجليزية في لندن لانه لا يريد لمحافل بريطانيا أن تعلم ـ على الاقل في الوقت الراهن ـ قصة الفيلم الذى يصوره في القاهرة • الفيلم يرتكز على كتاب بعنوان

Meetings With Remarkable Man

لجورج جودجيف وهو فيلسوف روسي ينحدر من اصل يوناني ـ ويعد أحد كبار المفكرين في الغرب •• عاش سنوات نضجه في فرنسا ومات في باريس سنة ١٩٤٩ لفت الكتاب نظر المخرج البريطاني ، اذ أن صاحبه يسرد فيه مجموعة من التجارب التى مرت به في طفولته وشبابه يتطرق خلالها الى سلسلة طويلة من الرحلات والمغامرات قامت اساسا من أجل البحث عن المعرفة وتعميق الفهم بالنسبة لطبيعة الحياة الانسانية • وأهم رحلاته كانت في مصر ولذلك كان لزاما على « بيتر بروك » أن يذهب الى القاهرة لتصوير معظم اجزاء الفيلم •

تجربة الفيلم بالنسبة للمستر « بروك » ذات أهمية بالغة • فالفيلم على حد قوله سيكون بمثابة همزة وصل بين الشرق والغرب ، وسيكون له أبعاد جديدة تختلف كلية عن أفلام السوق المليئة بالعنف والقسوة •

واسال مدير فرقة شكسبير الملكية عن تجربته بين المسرح والسينما ؟••



يقول : بدأت بالسينما عندما تركت ستراتفورد .. عدت الى السينما كأقصر طريق يوصلني الى المسرح . اطلعتني السينما على العلاقة بين المخرج والممثل .. بلورت الكثير من وجهات نظري الفنية بصورة عملية . والحصيلة ستة أفلام وخمسون مسرحية ..

والفرق بين الميدانين بالنسبة لبروك ينحصر في الوقت . فالفيلم يستغرق وقتا طويلا . أما المسرحية فقد تستغرق نصف يوم .

قد يكون السبب وراء عشق بروك للسينما هو أنه استعان بها كأداة موصلة للمسرح . ومن أشهر أفلامه التي أخرجها كان « **الملك لير** » ، « **الولايات المتحدة الامريكية** » . وقد يكون التقدم التكنيكي في ميدان السينما هو الذي جذب « **بروك** » الى الافلام في بداية الامر ، ومع ذلك انصب اهتمامه على المعنى وعلى الغاية من وراء استخدام الشكل والتكنيك اكثر من اهتمامه بالتكنيك والشكل في حد ذاته .

تبدأ المتناقضات في الانصهار أمام جذور موهبة « **بروك** » . فوالداه عالمان هاجرا من الاتحاد السوفييتي الى بريطانيا بعد الثورة البلشفية .. ولد « **بيتر بروك** » في « **شزويك** » سنة ١٩٢٥ . كان من الممكن له أن يصبح أحد رجال العلم ، لكن موهبته الفنية برزت وهو في السابعة من عمره عندما قام بدور « **هاملت** » . ويبني بروك سمعته الفنية وهو في العشرين كمترجم لسارتر وللوجودية الفرنسية بعد الحرب . غير أن سمات النزعة العلمية التجريبية تنعكس عليه في عمله .. ينظر بيتر الى المسرح كما لو كان معملا يشكل فيه المشاهد جزءا من التجربة . ويردف بيتر قائلا : **طقوس مسرحي التجريبي في خدمة معتقدات الاغلبية . اعمالي التجريدية المسرحية اشبه ما تكون بموسيقى شعبية تنفذ الى المجاميع في يسر وسهولة . فلسفتي ان نبعد عن التعقيد . البساطة هي التي تجتذب الجمهور . ولكي نصل الى الجمهور لابد ان نتقمص اسلوب حياته . انني ابحث عن شكل ولغة المسرح .. لغة يمكن ان يفهمها اى شخص مهما كانت جنسيته او خلفيته الثقافية . من الضروري الاتصال بانماط مختلفة من المشاهدين . مسرحنا لا يقتصر على فئة معينة .**

موهبة « بروك » وسمعته الفنية في المسرح منحتاه حرية العمل في أي مكان من العالم . أما ابداعه وتجديده فقد صعده الى شهرة دولية قلما حظي بها مخرج في ميدان المسرح فشوهدت أعماله في **بريطانيا ، وأمريكا ، وباريس وروسيا ، وافريقيا ، وايران .**

المخـــــرج المسرحى العـــــالمى



واساله : ما الذى يعنيك من وراء التجربة المسرحية ؟

يبتسم في تواضع ممزوج بخجل : « أن يكون هنـاك رد فعل •• قد يكون سخطا أو اعجابا أو غضبا • المهم ان الغرض التجريبى الذى يقدمه مسرحي يحرك الجمهور في البداية ثم يحتويه في ردود فعل متبادلة ! » •

ان فرقة مسرحه الدولى في باريس قد قدمت بعض الاعمال التجريبية وأهمها من أنها عرضت في عشـــرين دولة • وعن الغرض من اعمـــال مركز المسرح الدولى يحدثنى المستر بروك قائلا : « ايجاد نسخ جديدة مــن المسرحيات التى يتحرر فيها المخرج والممثل من الشــكل الذى تعارف عليه المؤلف • نخرج على قوانين المؤلف •• نسقط أحيانا نصف الكلام • وقد نحول النـــص الى مسرحية موسـيقية راقصــة • ان لغــة المسرح يجب أن تساير العصر • والمسرحيات التجريبية التى نقــوم بتنفيذها تضع الضوء في ممرات مظلمة ليتمكن المرء من أن يرى ما فيه • حتى اذا دلف الى الممر الاول ســـلط الضوء على الممر الثانى وهكذا •• نتائج مسرحنا التجريبى تنحصر في أننى استطيع اليوم أن أقدم العمل بصــورة مختلفة » ••

وبالفعل طبق **المستر** « **بروك** » نظريته تلك عــــلى مسرحيات « **شكسبير** » فاضفى باخراجه لمسات تجريبية جريئة على أكثر المسرحيات كلاسيكية فظهرت في ثـــوب راديكالى جديد • اشهرها « روميو وجولييت » الـــتى اخذها بيتر بروك وجردها من الرومانسية عندما أخرجها على مسرح ستراتفورد سنة ١٩٤٧ ، واضطلع ببطولتهـا (بول سكوفيلد) ، (كلير بلوم) • فلقد اثارت المسرحية في ثوبها الجديد الكثير من الجدل • ومثلها كانت أعماله « القنطرة » **لارثر ميلر** ، « **قطة فوق سطح من الصفيح الساخن** » لـ **تنسى وليامز ، الشرفة لجينيه و (هاملت)** •

وبعدها تأرجح بروك بين مسرحية ـ ماراساد ـ الرمزية لـ بيتر فايز ـ والتى مثلتها معه جلندا جاكسون ـ وهى المسرحية التى احرزت له ثلاث جوائز أكاديمية • وبين مسرحيـــة (الولايات المتحدة الامريكيـة) (U. S.)

التسجيلية المرتجلة والتى قامت بتقديمها فرقة شكسبير الملكية كانت المسرحيةصدى لحرب فيتنام حيث شـــرع الممثلون في تقييم وجهات نظرهم على ضوء احداث الازمة حينـــئذ •

اثارت مسرحية الولايات المتحدة ردود فعل الغضب في أمريكا •• رآها البعض موالية لامريكا ، ورآها اخرون دعاية شيوعية وشجعت ثورة الجدل والغضب المستر « بروك » على تحويل المسرحية الى فيلم ، وهنا ظهـــرت أمامه عقبة اخرى •• رفض الجميع تمويل المشروع • ولم ييأس « بيتر بروك » جاءه سبعون من مثقفى امريكا ممن شعروا بضرورة عمل هذا الفيلم الذى تم تصويره سرا في لندن • وكما حدث في امريكا حدث في لنــــدن • اثارت المسرحية عاصفة من الجدل في مجـــلس العموم البريطانى ووقف عضو محافظ يطالب حكومته بقطــع الاعانة التى تمنحها لفرقة شكسبير الملكية ومع ذلـــك احرزت المسرحيـــة لبيتر بروك جائـــزة نقاد المسرح في لندن •

والذى يعرف المستر بروك عن كثب يحس بضــجره وتحديه الصارخ للمسرح التقليدى « **أنا دائمـــا ضـــد الاشكال الفنية الميتة • ارفض التقليد بمعناه الذى يقف حائلا بين الحياة والخلق •• أعمالنا التجريبية تحاول أن تجد طريقها الى مصدر الحياة المسرحية** » •

ان نظرية « بروك » في المسرح تعد امتدادا للمسرح الطليعى الذى تزعمه « آرتو » الفرنسى ، و «جروتوسكى» البولندى ، حيث تعتمد التجربة المسرحية على حريـــة الممثل الفردية • والحدث يجب أن يبرر نفسه •• أن يحيا أو يموت من خـــلال المصطلحات الانسانية وقـــد تعرض لنظريته تلك بالشرح في كتابه « **الفضاء الاجوف** » الذى صدر له في نهاية الستينات •

واتساءل : أيبحث بيتر بروك عن ممثل جديد ؟

ـ « ليس ممثلا جديدا بقدر ما هو ممثل كامل • ممثل يملك الامكانيات التى يعبر بها عن الحياة الانسانية • لان الحياة الانسانية أغنى من المؤلف واكثر خـبرة من المخرج ومصمم الديكور والمسرح • الامر الهام هو ايجاد الطريق الذى يصبح بواسطته اكثر مهارة ووضـوحا وذا مصادر رحبة •• » •

ان الممثل في مسرح « بروك » التلقائى مثل البهلوان

الحاذق لا يكرر نفسه · والتلقائية تتمتع ببعدية الزمن والمكان والحدث ·

ويعود « بيتر بروك » أحد عمالقة المسرح في القرن العشرين الى الحديث من جديد عن مصر ومشروع فيلمه الكبير ·· الفيلم في حد ذاته يعد تطويرا لاحد مهام مركز المسرح الدولى الذى يشرف عليه · اذ انه ينمع بسير تجارب اكثر من دولة في تجربة واحدة · أما مصــر فشتان بين ما سمعه عنها وبين رؤيتها على الطبيعة ·· « معرفتنا بمصر كانت ما نراه على الشاشة في الافلام التى عرضت بالخارج · ولكن عندما زرتها استرعى انتباهي التراث المصرى الاصيل ·· في زيارتى الاولى لها شعرت بانني اعرفها منذ زمن بعيد ·· عنصر المفاجأة كان في الاحتكاك بمصدر عميق من الثقافة والحضارة !··

سيعود المستر بروك الى باريس · عليــه ان يمضى بعض الوقت في فرنسا لانجاز فيلمه الجديد الذى تدعمه وزارة الثقافة الفرنسية · أما عن لندن فهو يتوق الى العودة اليها بعد الانتهاء مباشرة من فيلمه الجـديد · وفي لندن سيعكف على تنفيذ مسرحية انطونى وكليوباترة وهى العمل الذى خطط له منذ عشر سنوات ومن المتوقع أن يتحقق خلال السنوات الثلاث القادمة ·

ومع ذلك فان « بيتر بروك » لا يتحدث عن مشروع « انطونى وكيلوباترا » بنفس الحماس الذى يتحدث به عن فيلمه الجديد ، والذى يعتبره اكثر الاعمال تحـديا واعظمها قيمة بالنسبة للاخرين ·

● والمسرح المصرى ؟

ـ « لم ار المسرح المصرى للاسف ·· فقط شــاهدت فيلم « المومياء » في لندن لشادى عبد السلام · انه من الافلام التسجيلية الرائعة · ولكنى عندما أعود الى مصر في ديسمبر القادم فانى افكر في اخراج مسرحية مصرية للمسرح القومى » ·

● والمسرح في انجلترا ؟

ـ « الشيء الرائع بالنسبة للمسرح الانجليزى من وجهة نظرى بعد العاملين فيه عن الغرور فلم يحدث أن ظنوا انهم بلغوا حد الجودة · فنحن بيننا وبين انفسنا غير راضين عن مسرحنا · واعتقد أن هذا يختلف كلية عن رد الفعل الذى تجده لدى الاجانب فهم يميلون دائما الى القول بأن المسرح الانجليزى من اكثر المسارح جدة · والحقيقة التى نعترف بها في بريطانيا هى أن مسرحنا ليس بأحسـن مسارح العالم · وهذا هو العنصر الحيوى الوحيد الذى يحفظ لمسرحنا حياته ونضجه » ··

ويبتسم بيتر بروك إبتسامة الساحرة ويردف ·· « أما الان وأنا في مصر وعلى ضفاف نيل القاهرة ، فلا أملك الا أن اتفاعل بكيانى مع الدفء والصراحة التى يتمتع بهما المصريون !·· » ·

الغيب والواقع

« لو اطلعتم عـلى الغيب لاخترتم الواقــع » · والواقع هنا هو الشيء الذي وقع بالفعــل · ولا مفـر منه ··

معنى ذلك ان الواقع ·· ايا كان فانت مجـبر على ان تقبله ··

وتقبله معناه ان توافق عليه · ان ترضــاه · ان تسعد به · ان تنسجم معه · حتى تســير الحيــاة ·

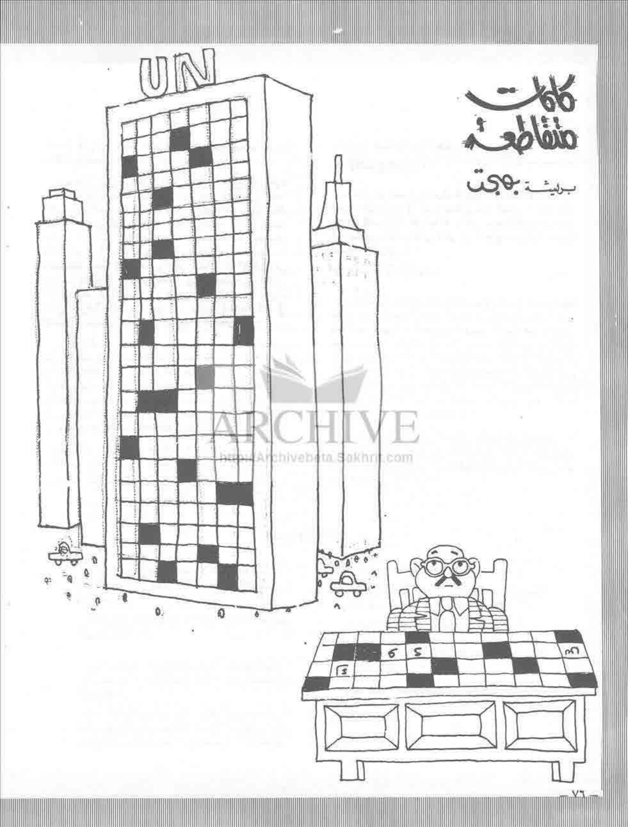
اما اذا تذمرت من هذا الواقع أو ســاورتك الشــكوك في عــدل تقسيم هذا الواقــع · فان مصيرك سيكون حتما التعاســة · القـلق · والاضطراب النفسي ·

انت مطالب اذن بان تحكم عقلك ·· وتحسبها ·· كما تحسب ١ + ١ · هكذا ببساطة ·

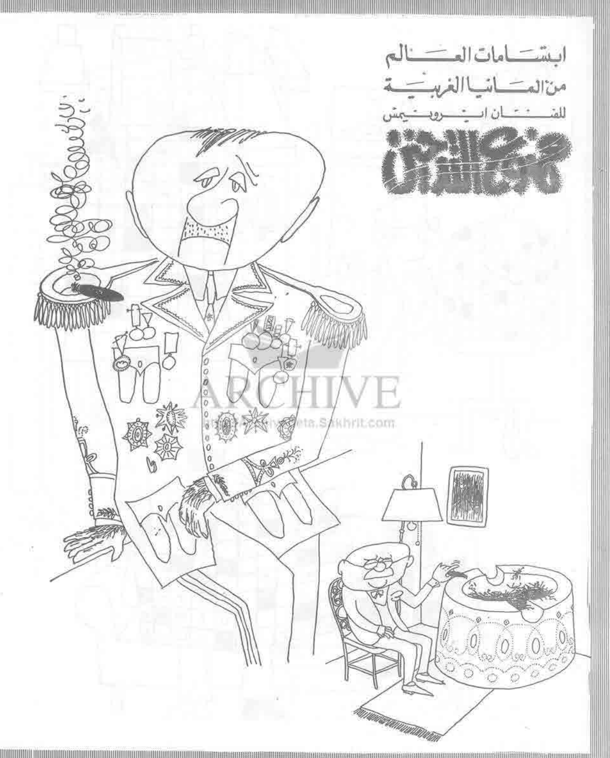
مادام الامر مفروضا عليك · ولا مفـر منه ·· فلابـد اذن ان ترتضيــه · وان تسـعد به · وان تتعايش معه ·· لتصبح انسانا راضيا بقضـاء الله ··· مهما كان ·

وبعد ذلك · ستخرج لنا انسانا ســعيدا ·· متفائلا · هادىء الطبع منتجا نافعا لبــلدك ·· ولاهــلك ··

واخــيرا لنفسك ·

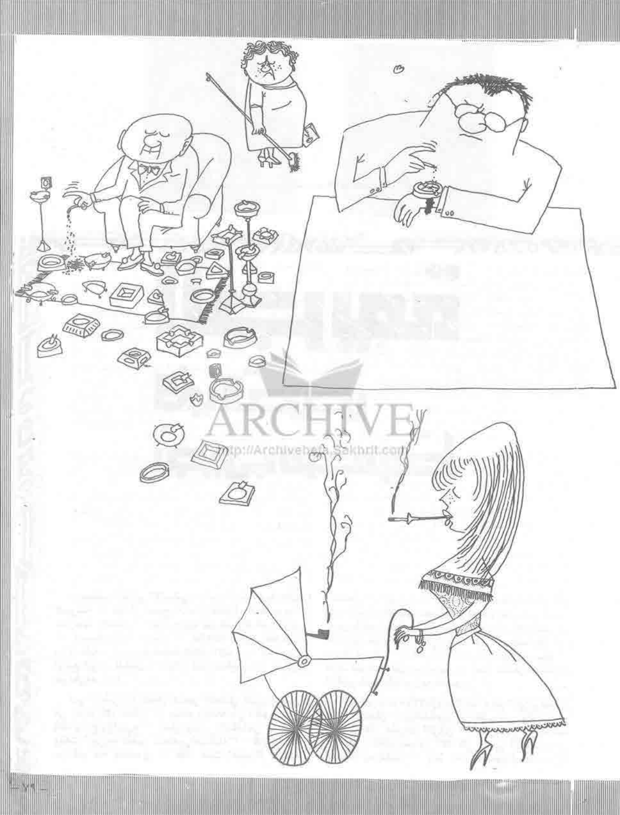

UN
كلمات متقاطعة
بريشة بهجت





ابتسامات العالم
من المانيا الغربية
للفنان ايرونيمس

ضحك على الذقون



عبد المنعم الجداوي

الجريمة في قصص نجيب محفوظ

لم يجتذب التفكير الانساني ، ولم يعترض طريقه مثل الجريمة ·· منذ ان اصبح للانسان تفكيرا ·· فالجريمة يمارسها الانسان ·· فيخرج بها من السلوك السوي ·· ويحطم رتابة الحياة ·· ساعتها يصبح الفعل وبالا عليه ·· ووجبة دسمة لافكار الاخرين ، وبابا من أوسع ابواب الخيال ·· يفتح لهم التنفيس عما يخالج خواطرهم ··!

فهي بالضرورة تحمل عنصر التحدي الذي يكمن في اعماق كل انسان ·· يخنقه ويمنعه من الظهور الف وازع ووازع ·· خلقي وديني واجتماعي ·· فاذا وقعت الجريمة تنفس المجتمع الصعداء ·· لان هناك من قام عنه بالتحدي ·· فاذا قتلت امراة سيئة السمعة ··؟ أو وجدت امرأة مرابية مخنوقة أو لقى أحد الاثرياء البخلاء مصرعه ! تحدث الناس عن الجريمة دون كلمة رثاء للضحية ·· وانعكست في احاديثهم نبرة عطف على الفاعل ·· وتسابقوا الى معرفة اسمه ·· لا لشيء الا انه حقق لهم رغبة ·· كانت تطوف داخل جوانحهم ·· تحت مظاهر الانضباط النفسي الذي يأخذون به انفسهم ··!

واذا كان علماء (الانثرو بولوجيا) هم الذين يرصدون تطور الانسان ، ويخضعون عواطفه ، وغرائزه ، وثقافاته عبر عشرات القرون ·· لنظرياتهم ، وأبحاثهم ·· فان الكاتب يتجاوز ذلك الى المعنى الانساني للجريمة ومرتكبها ·· وهى عند معظمهم ليست نزوة





طارئة تجتاح المجرم ·· أو عاهة خلق بها تمسك بمشاعره وتسيطر على تصرفاته ·· بقدر ما هي انعكاسات ردود أفعال المجتمع حيال مرتكبها ·· الذي يجد نفسه مساقا اليها ·· مشدودا نحوها بقيود غير منظورة ·· مندفعا الى ممارستها ·· لكي يتخلص من مؤثرات تعتصره ·· وتوشك أن تسحقه ·· ومن ثم فان بعض الكتاب قد اتخذوها دليلا على فساد الانظمة السياسية ، وجعلوا منها أدلة ادانة ، واقفاص اتهام يحاكمون داخلها مالا يرضون عنه من النظم التي تقهر ارادة الانسان ·· وبعضهم فاقت شهرته كاديب عالمي ·· تجتاز شهرته حدود بلاده جغرافيا ، وتخترق زمانه تاريخيا على ما كتبه عن الجريمة ، وحول معاناة الانسان الذي يرتكبها ··!

ولو أن (ديستوفيسكي) لم يكتب « الجريمة والعقاب » لما أحس احد خارج الارض التي عاش عليها بادبه ·· فالواقع أن هذه الزاوية يعتبرها النقاد قمة توهج كتاباته ·· فقد اقتحم اعماق الشاب الذي قتل العجوز ، وسجل الصراع المرير الذي يصطرع داخله ·· وبذلك لفت انظار الناس لا الى الجريمة ·· ولكن الى الانسان العادي البسيط الذي يقع فريسة في قبضة الخواء ، والفراغ ، والدونية ·· فيتخبط كسكير ثقلت عليه وطأة الخمر ·· يضرب رأسه في الجدران يبحث عن وعيه ·· وعن نفسه فلا يجدا هذا ولا ذاك ··!

واذا كان (جان بول سارتر) في وجوديته الحديثة يقول ·· ان الانسان يظل أشبه ما يكون بثقب في الطبيعة ·· دون أن يدرك حقيقة كونه وجودا فعالا الا في لحظات العنف ·· ساعتها فقط يشعر أنه فاعل وليس مفعولا به ·· قادر مقتدر وليس أداة مستعملة في يد مجتمع يسخره لما يريد في عدمية مطلقة فقد جعل (ديستوفيسكي) بطله الضائع يندفع الى ارتكاب جريمته عقب مرحلة من الخواء ، والضياع ، والانسحاق ·· مرحلة لا اسم لها سوى انعدام الوزن النفسي ·· وتجيء الجريمة وكأنها الحسم الذي ـ لا مفر منه ولابد ـ لكل هذه التوترات ·· والتعبير الوحيد لهذا الخواء عن القدرة على العمل ·· أي عمل ··!

وقد كان (هيمنجواي) يردد في ثقة واقتناع ·· أن عناصر الكتابة الخالدة لابد أن تكون لها جذورها المتأصلة في العنف ، والقتل ، والموت ، وقد خلق في كتاباته نوعا من العالم القائم على مصارعة الثيران ، وصيد الحيوانات الضخمة وقتلها ·· حتى الميتة التي راح ضحيتها جعلها تأكيدا لمذهبه الذي ذهب اليه ··!
والحق أن (هيمنجواي) كان يمارس العنف ويسجله ، ويعطيه للناس عملا فنيا ·· لكنه لم يستخدم الجريمة الاستخدام الامثل ·· والفرق كبير بين العنف ووصف المعارك والصراعات ، واخذ أنفاس القارىء الى قمة اللهاث ·· وبين تسخير الجريمة للمتعة الذهنية ، ورسم صورة نفسية لمرتكبها من خلالها ·

وعند نجيب محفوظ قدرة أصيلة على توظيف الجريمة في كتاباته لخدمة الاهداف التي يسددها اليها ·· أو الافكار التي يحلو له أن يبثها في القراء ·· الا أن هذه الوظيفة التي يعهد بها اليها ·· كثيرا ما تعجز الجريمة عن القيام بها ·· أو يعجز المجرم الذي يقدمه عن القيام بمهمته ·· لان مقوماته التي صنع منها لا تتيح له أن يكون مجرما على مستوى جريمة الرواية ·· وبالتالي يبدو هذا الشخص ·· سيء الحظ يعانقه الفشل ·· وليس مجرما يخطط للجريمة ويرتكبها في تنفيذ محكم ·· وهكذا نجد الجريمة ولا نجد المجرم ، والعكس في بعض الروايات الاخرى ··!

اللص والكلاب

وفي اشهر رواياته « اللص والكلاب » التي نقلها عن الواقع بتصرف ·· عن قصة حياة السفاح محمود أمين سليمان الذي روع القاهرة والاسكندرية بجرائمه ذات عام ·· نجد أن الجريمة من حيث انها واقعة تقع ·· وتحدث الواقعة الاجتماعية ·· واضحة المعالم ·· ولكن من حيث أنها جريمة كاملة الاركان ·· لها ضحايا اراد لهم المجرم هذا المصير التعس ·· وبتنفيذها ينزاح الكابوس الذي يجثم على صدره ، وتنتهي توتراته التي



الجريمة في قصص نجيب محفوظ

تعذبه ·· وتتفتح مقاليد اعماقه ·· فيتقبل العقاب وهو شبه راض ·· بهذا الشكل الاخير ·· هي غير موجودة تماما ··!

فلنأخذ مثلا فشل « **سعيد مهران** » في قتل « **رؤوف علوان** » ·· ذلك الانتهازي الذي حقد عليه « سعيد » بعد ماكان يدين له بالطاعة والولاء ·· لانه تنكر لمبادئه قبل أن يتنكر له ·· ولما كان هو الاستاذ الذي لقنه مبادىء رفض الواقع ، والثورة عليه ·· ودفع به في نهر القلق الذائب والبحث عن التغيير ، وانتهى كل ذلك به الى السجن ·· فلما خرج وجده يعانق الواقع في شرعية بررتها انانيته وانتهازيته ·· فلا قلق ، ولا رفض للواقع ·· ولا ثورة على ·· ولا حرب ضد ·· وانما حياة ناعمة ·· دفع ثمنها « سعيد مهران » عدة سنوات في السجن ·· ومع ذلك فقد تلقاه « **رؤوف** » في تجهم ·· وعامله كمتسول ·· ولذلك جاء ليقتله كعقاب على مجموعتين من الذنوب ·· الاولى ضد المبادىء التي تعاهدا على الاخلاص لها ·· والاخيرة مسألة شخصية بينهما ·· وبذلك كله نخرج عن خط الجريمة ·· حتى لو كان رصاصه أصاب « رؤوف » ·· لان السمات الكاملة للضحية البريئة تنقصه ·· فهو ليس بريئا ، وانما مذنب يتلقى عقابه ــ في نظر سعيد مهران ــ ورغم هذا فهو يفلت من أن يكون معاقبا ، ومن أن يكون ضحية ·· ليغيظ القارىء ، وليرفع درجة الحنق عند « **سعيد مهران** » ·· فالضحية « **مجهول** » **تماما من الفاعل** ·· وذهابه لا يحسم التوترات التي تناوش المجرم ، ولا يؤكد ذاته ·· بل العكس هو الذي يحدث ·· فالمزيد من الضياع ·· والمزيد من القلق ·· والمزيد من التوتر ·· والمزيد من الشعور للمجرم بانه مجرم بلا جريمة ··!

وتكرار الواقعة ·· بنفس الظروف ·· بنفس الدوافع ·· ودافع الانتقام الا الاجرام ·· تجعل من « **سعيد مهران** » كيانا قميئا ·· يتضاءل أمام الفرقعة التي تحدثها أفعاله ·· التي يطلق الناس عليها اسم الجرائم ·· ويوشك هو ان يصدق ما يزعمه الناس ·· ويفشل في الانتقام ·· وتستدرجه الاستعراضية شيئا فشيئا ·· الى أن تستغرقه تماما ·· وتصبح هدفه الاول دون اى هدف آخر ·· وكلما تكرر الفشل ·· ازداد ضياعا ، وتفاقم داخله الاحساس بالدونية ·· حتى لا يكاد يسمع سوى نبضات تفاهته ·· ويمتلىء احتقارا لذاته ، ويتأصل في جوانحه الشعور الممض المؤلم ·· بأنه كما جاء في عبارة سارتر ــ اداة مستعملة في يد مجتمع يسخره لما يريد في عدمية مطلقة ·· وانه غير قادر على ممارسة حتى ما يحسم به توتراته ضد هذا المجتمع ·· الذي يطرحه تحته ويسحقه ·· كقطار له عربات عديدة ·· دون ان يموت أو يغيب عن وعيه ··!!

ولو أنه نجح في قتل « عليش ونبوية » أو « رؤوف علوان » لاجتاز مساحة الضياع ، ولغسلت ساعات العنف المستتر جنائيا كل فشل حياته ·· فاذا قبض عليه ·· أو ذهب الى السجن تحول داخله الى متصوف كغالبية المذنبين واذا أفلت من العقوبة لامر أو لآخر كان يمكن أن يركن الى « نور » فتاة الليل التي كانت تتمناه لنفسها ، ولكنها فشلت في اقناعه ·· وفي الحالتين كانت ستجيء النهاية الطبيعية التي يمكن أن ينتهي اليها مجرم مارس الجريمة ، ونفذها ، وأكد نفسه خلال العنف بالعنف ·· فاستحقت منه ان يكافئها باحدى الراجتين ·· الزهد أو الجنس ··!

وهنا تؤكد السطور التي كتبها الاستاذ (رجاء النقاش) في كتابه (ادباء معاصرون أن « سعيد مهران » يرفض حلولا كثيرة لاحت له ، ويرفض الحل الذي وضعته أمامه « نور » الفتاة التي أحبته وتمنت أن تعيش له ، ومن أجله ، وهو أن يبقى في البيت على ان تحمل « نور » مسئوليته حتى يلوح لهما حل اخر ·

ويرجع ذلك الى جرثومة القلق المتأصل في نفس « سعيد مهران » ، والواقع انني اختلف مع « رجاء النقاش » في سبب عدم استسلام « سعيد » « لنور » ·· فابرىء ساحة جرثومة القلق ، وادين الفاعل الاصلي وهو الفشل المتكرر في ارتكاب جريمة تحسم توتراته ، وتعيد اليه توازنه ، وتؤكد ذاته ·· فقد كان مشغولا عن « نور » بفشله اولا ·· وكان يراها

في اعماقه جائزة لا يستحقها فاشل مثله ثانيا ··!!

واذا حاولنا أن نضع « سعيد مهران » في مكانه بين المجرمين ، وضياع الجريمة ·· لنعلم من أي المجرمين هو ··؟ ومن اية أنواع الجرائم جرائمه ··؟ متخذين عنصر الرغبة وحرية الارادة مقياسا لنا ·· مسترشدين باحدث نظريات علماء (علم الاجرام والجريمة) ·· فسوف نضل بين شعاب ابحاثهم العديدة ·· فهو ليس مجرما مطبوعا كالفئة التي عناها « لومبروزو » · ولم يرث الاجرام في كريات دمه ؛ فوالده كان صالحا ·· كما يقول عنه الرجل المتصوف ·· كما أن تكوينه الفطري لم يكن به انحطاط يجعل قابليته للجريمة سريعة التجاوب ·· فقد كان سليم اليدين ·· متناسب الاعضاء ·· غير مفرط في الطول أو القصر ·· كما أن قدراته الذهنية لم تكن متدنية الى حد عدم قدرته على التمييز بين الخطأ والصواب ··!

لكن ميول « سعيد مهران » العدوانية ، والنرجسية الواضحة في كل تصرفاته ، وتخبطه بين الخير والشر ، وضعف رقابة الضمير عنده ، وظهوره أحيانا بأنه في قمة العقل ، واخرى وكأنه في قمة الجنون ·· كل هذه الصفات تسلكه في عداد المجرمين السيكوباتيين ·· ويرى « اللورد ديفيد هندرسون ان المجرم ممن هذا النوع لابد أن يكون له صفة من هذه الصفات الثلاث ·· للعدوانية ·· عدم التكيف ·· الموهبة التي تتيح له الابداع والابتكار ··

العالم الانجليزي « سيرل بيرت » ينحاز الى صف « سعيد مهران » بعض الشيء فيقول في تعريفه للجريمة والمجرم — ان الخروج على القانون — سلوك بشري يمارسه بعضهم استجابة للغرائز ولو أننا كنا لا نزال نعيش في المجتمع البدائي لكان سلوكهم طبيعيا ·· الا أن الحضارة المعقدة بقوانينها وتشريعاتها ·· هي التي جرمت بعض السلوكيات ، وأباحت بعضها ·· وتغافلت عن الصراع المرير بين الافراد ، وصراعهم من أجل التفوق ، وخلال هذا الصراع يخرج البعض على القانون ·· تحت لكمة من غرائزه ·· تطيح به ·· كما تطيح لكمة مصارع بزميل خارج حبال الحلبة ·

ولعل القاريء الذي قرأ « اللص والكلاب » وامعن التفكير في شخصية « سعيد مهران » يوافقني على هذا التشخيص ·· وقد اتيحت لي بصفة شخصية ·· فرصة الاستماع الى الكثيرين من الذين خالطوا ·· محمود امين سليمان ·· وعاشروه ·· وهو صاحب الشخصية الاصيل ·· فقرروا جميعا أنه كان معجبا بذكائه ·· يرى أن قدراته غير محدودة ·· وقد نجح نجيب محفوظ في نقل بعض السمات النفسية المميزة لذلك النمط الانساني العجيب ·· الذي يمارس الجريمة في استعراضية لاعب السيرك الذي يمشي على الحبل ·· تحدث جريمته فرقعة اكثر مما تحدث من اصابات ، ورغم جرعة الشجن الزائدة التي حقن بها نجيب محفوظ شخصية « سعيد مهران » ·· الا أن النظرة العميقة الى ما وراء تلك القشرة ·· تجعل الناظر يؤمن بأن هذا المجرم غير جاد في ارتكابه للجريمة ، وانما يتصرف على طريقة « فتوات » الماضي ·· وكل ما يبغيه حقيقة هو ان يثير الزوابع حول اسمه ، وان يتحدث الناس عنه ، وان تضطرب الانفاس حينما تقع عليه العيون التي تعرفه ·· وتبرز الاستعراضية المتمكنة من وعيه ولا وعيه ·· في أنه لم يستدرج « عليش » الى الجبل أو أى مكان خال ليقتله فى هدوء ·· بل آثر أن يذهب اليه

- اي دراسة لطوائف المجتمع يجب ان تتبع علم الاجتماع ، لكن بعض الطوائف عندنا تجعل هذه الدراسة اكثر انتماء الى علم الطفيليات ·

★●★

- لم يعد المرء في حاجة الى أن يسافر الى نيام نيام لكي يقابل رجلا من اكلة لحوم البشر ··

★●★

- لا تذهب اليوم الى اي من مكاتب الحكومة ، فانت تعرف جيدا انك يجب ان تأتي بكرة ··

الجريمة في قصص نجيب محفوظ



ليلا ، ويطلق رصاصة الخاطيء ·· ليمزق صمت الليل ، وتعم الضجة ، وسط المساكن الهاجعة بعد منتصف الليل ·· وكذلك محاولة قتل « رؤوف علوان » وكل خطواته ·· حتى نهايته التي ارادها لنفسه لا تخلو من استعراضية ·· سواء التي حدثت في الواقع او التي ارادها له نجيب محفوظ ··! واذا « فسعيد مهران » يحمل كل ملامح المجرم والعوامل التي تكونه ، ولديه الرغبة في ارتكاب الجريمة ، والاقدام عليها ، ولكنها تعز عليه ، ويفشل في ارتكابها كما يريد ·· المرة تلو المرة ·· الى ان يموت في آخر الرواية · منبوذا ·· مطاردا ·· امتلأ رغبة في الجريمة ولكنه فشل فيها ·· وهكذا كان مجرما بلا جريمة ··!

الطريق

واذا غادرنا صفحات « اللص والكلاب » الى رواية الطريق ·· فان المفاجأة التي نجدها في انتظارنا هي أن الجريمة في آخر الرواية تجيء كاملة ·· بكل المقاييس المعدة للجريمة مهما اختلفت ·· فقد سبقها تدبير محكم ·· وتخطيط اجرامي لا تنقصه الارادة الاجرامية ·· ثم خطة تنفيذ كاملة ·· درست كل دقائقها ، وفحصت فحصا دقيقا ·· ورغم ذلك فهي بلا مجرم ··!

فالبطل « صابر » اقدم على قتل العجوز ·· صاحب اللوكاندة التي يسكنها ·· وزوج عشيقته الشابة ·· ولم يكن « صابر » سوى اداة تنفيذ في يدها ·· اما العقل الذي دبر وخطط للجريمة ، وفكر في طريقة تنفيذها فهي « كريمة » وهي قد فكرت وتجشمت كل هذه المشاق لانها تريد « صابر » ولكن « صابر » لا يريدها بالقدر الذي يجعله يفكر للجريمة ·· ورغم ان كل المعايير الاجرامية تؤكد ان الجريمة كاملة ·· الا انها فاقدة العنصر الذي لا يمكن ان تتم بدونه ·· الا وهو المجرم ··!

ولكن هل يمكن ان تقع جريمة بلا مجرم ··؟ كما تتفجر مصانع مفرقعات الاطفال ذاتيا ؟ الواقع يقول لا · لا سيما والمباحث تعقبت « صابر » ، وضيقت عليه الخناق ، وواجهته بتحريات العلاقة التي بينه وبين « كريمة » ، وعجز عن اثبات المكان الذي كان فيه في الوقت المعاصر لارتكاب الجريمة ·· ومع هذا فان الجريمة تبقى بلا مجرم ·· حتى القبض عليه كفاعل اصلي !!

لماذا ··؟ لانه مقياسا على كلام « سارتر » في ان الانسان الضائع لا يدرك وجوده الا في لحظات العنف ·· نجد ان هذا الوصف لا ينطبق على صابر ·· فهو منذ وفاة والدته اتجه بكل كيانه نحو هدف واحد واضح الطريق ·· محدد الجانبين ·· وان كان غير واضح الملامح قربا او بعدا ·· لكن من المؤكد انه يمضي في طريق يملك عليه وجدانه ·· وهو البحث عن الاب ·· وهذه الرغبة التي تملؤه ·· تجعله فوق الفراغ ، والخواء ، والضياع ·· مما يجعل الفاعل الاصلي هو « كريمة » وليس « صابر » ·· فهو شريك منفذ ·· بحكم علاقته « بكريمة » ·· ذلك لانه لا يحمل السمات النفسية للمجرم الاصيل · من ضياع ، وخواء · « كسعيد مهران » في « اللص والكلاب » ·· واذا كان هناك من يحمل هذه الصفات في رواية « الطريق » فهي « كريمة » ·· فالبرغم من

- يزعجني بالطبع ان اسمع عن عمولة كبيرة وراء مشروع ما ، ولكن يزعجني اكثر ان اسمع عن عمولة ليس امامها اي مشروع ··

★●★

- يوما بعد يوم ازداد يقينا بان الرجل لم يعد محتاجا لان يسافر الى اسبانيا لكي يشتغل مصارعا للثيران ، ولا الى أمريكا لكي يشتغل راعيا للبقر ··

★●★

- لا اظنه تطرفا مني ان اطالب رجال الاقتصاد بشيء من الاقتصاد ·· في التصريحات الاقتصادية ··

انها زوجة تمارس الحياة المستقرة الا انها ضائعة تعيش في خواء لا يشعر به احد سواها .. فالزوج عجوز .. لا تجد فيه ما يحقق احلامها او يحقق رغباتها ، وهي التي تؤكد بها ذاتها .. الوسيلة العنيفة .. التي تضع فيها كل صبرها ، وكبتها ، واحباطها المستمر المتواصل .. الذي يتمثل بقبولها ذلك العجوز ضيفا ثقيلا كل ليلة على مائدة ذاتها .. وقد بدأت تتحسس طريقها الى هذه الوسيلة .. بارتباطها مع « صابر » .. وحينما ادركت انها تمكنت منه .. وانه اصبح لا يعصى لها أمرا .. يحررها له .. وان كانت في الحقيقة ترمي الى احكام قبضتها حوله هو .. اقدمت على الكشف « لصابر » عن خطتها .. وراحت تحرضه ، وتشجعه على قتل زوجها .. وكلما حاول أن يفتح ثغرة في الخطة التي دبرتها .. سدتها له بافتراضاتها التي كانت تبدو معقولة لها وله !

اما « صابر » فقد كان لديه ما يبحث عنه .. وما يشغله عنها .. وصية والدته ، وعاطفته القوية نحو « الهام » الفتاة الاخرى .. التي تتجاذبه في الرواية .. وتلح عليه في أن ينسى الماضي ، وان ينسى والده ، وان يبدأ حياة جديدة تقف فيها الى جواره .. اى انه كان يعيش على ارض من الواقع رغم ضبابية اهدافه .. مرغوبا فيه بالحاح من « الهام » وبشدة من « كريمة » .. يشعر بنشوة الحب عند الاولى ، وبزهو الجنس وجنونه مع الثانية .. وكلاهما يؤكد الذات .. الحب الذي يزرع الثقة في اضعف النفوس .. والجنس الذي يمكن ان يمتص اية توترات .. وقبل ذلك وبعده لا يسحقه الشعور بالظلم .. وان كان في معظم الاوقات يسقط حسده على ذوى الاباء .. لكن الشعور بالظلم من دائرته الصغيرة .. او دائرته الكبيرة المجتمع .. لم يكن موجودا او متأصلا في أعماقه الى الحد الذي يدفعه الى استعمال العنف لازالته ..!

والعكس عند « كريمة » ، فقد كانت تسحقها الصراعات الداخلية .. فهي تحس أنها سجنت شبابها في قفص العجوز الذهبي .. نتيجة لفقر والديها .. ولعلها حقدت عليهما وكرهتهما فهما أصل ظلمها .. ثم استسلمت لليأس الذي يحمل الصراعات كل يوم ويلدها .. ويرفع توتراتها في انتظار الحسم الذي قد يصل وقد لا يصل .. موقنة من انها ظلمت من زوجها ثم من المجتمع كله الذي يفرض عليها أن تكون مخلصة .. للرجل الذي اعتقل شبابها مع امراضه وبرودته وشيخوخته .. ومن هذا الشعور انطلقت ترتب للجريمة .. وتبذل كل قدراتها لتنفذها .. فلا سبيل الى رفع الظلم الا بالعنف .. العنف الذي تصنع به المستقبل الذي تريده لنفسها .. وترد به على المجتمع الذي قهرها على ان تحيا حياة ترفضها جملة وتفصيلا .. وهكذا يتاكد لنا انه ليس كالعنف من سبيل الى حسم الصراعات المزمنة .. اذا ما طال كبتها تحت وطأة الظروف .. وبقدر مدة اختزانها يكون العنف قويا وجارفا حينما يتفجر ..!

وبكل هذه الدوافع تكون « كريمة » هي الفاعلة الاصيلة ، وليست شريكة .. ويكون « صابر » مجنيا عليه من « كريمة » وليس جانيا .. وتبقى جريمة « الطريق » تبحث عن مجرم .. كما ظل « سعيد مهران » في « اللص والكلاب » مجرما يبحث عن جريمة ..!

الجـــريمة

وفي المجموعة القصصية التي تحمل اسم « الجريمة » لنجيب محفوظ ، وفي قصة تحمل اسم « تحقيق » يرسم المؤلف جريمة كاملة تموت فيها امرأة موظفة وزوجة مقاول ، وعشيقة لموظف يزاملها الوظيفة .. تلقى مصرعها والعشيق في شقتها .. اذ يدق جرس الباب ، وهي على يقين من أن زوجها في الاسكندرية .. فقد حدثته منذ ساعة .. ولكن العشيق يسرع بالاختفاء تحت السرير في غرفة النوم ، ويطول انتظاره .. ويتأكد لديه أن القادم ليس غريبا عن صاحبة الشقة .. فقد كان الاستقبال هادئا وعاديا .. ولكنه بالقطع ليس زوجها .. والا كان اقتحم غرفة النوم ليخلع ثيابه .. وفجأة يشاهد من مكانه قدمين في حذاء أبيض ذي سطح بني .. يدخلان غرفة النوم .. ويقفان أمام الصيوان .. الذي يفتح ويغلق

الجريمة في قصص نجيب محفوظ



.. ثم يخرج صاحب القدمين .. وبعد برهة يخرج العشيق من مخبئه .. ويثيره الهدوء المخيم على الشقة .. ويمضي خارجا مهرولا الى منزله .

وفي الصباح في مقر وظيفته .. يتذكر ويمتلىء رعبا .. فقد نسى علبة شيكولاتة ، وزجاجة كونياك بجوارها .. ويقفز في خاطره أن الشرطة بالرجوع الى محل الحلواني يمكنها ان تصل اليه .. وتتجه الشبهات الى زوجها المقاول ، والى ولده من زوجة اخرى ، والى كثيرين ، ولكن التحقيق لا يصل الى شيء .. ولكنه موقن أن القاتل هو صاحب الحذاء الابيض ذي السطح البني .. ولا يجد مفرا آخر الامر من ان يتخذ قرارا هاما .. هو أن يكتب الى الشرطة ليعترف انه كان على علاقة بها وأنه كان في شقتها ليلة الحادث ، وانه يتهم الرجل ذا الحذاء الابيض والسطح البني .. وحتى لا يكتشف البوليس خطه يشتري آلة كاتبة خصيصا ، ويحرر اعترافه ويرسله الى سلطات التحقيق ، وحينما يضع الخطاب في صندوق البريد .. يظن أنه حسم المشكلة ، وحطم القلق الذي كان يعذبه .. وبعد أيام يزوره ضابط في ملابس مدنية ، ومعه ثلاثة رجال اشداء .. يفتشون شقته ، ويعثرون على الآلة الكاتبة ويأخذونه معهم .. فيقول :

ـ ولكني بريء ، وكل كلمة في الرسالة صادقة

فيجيب الضابط ببرود :

ـ علمنا من باديء الامر بعلاقتك بالقتيلة !

فيقول :

ـ ولكني اعترفت بذلك في الرسالة ، ولكني بريء

فيجيب الضابط :

ـ واعجبني خيالك

فيقول :

ـ واطلقتم المجرم الحقيقي ..؟

فيجيب الضابط :

ـ جميع من اشتبهت بهم ابرياء

فيتساءل بانكار :

ـ فمن القاتل اذن ..؟

ويجيب الضابط بهدوء وثقة :

لم يبق الا أنت ..

وتنتهي القصة .. ولا تنتهي شكوك عمرو المتهم البريء ، ولا تنتهي تساؤلات القارىء .. فالجريمة جريمة قتل كاملة الاركان .. زوجة لعوب .. تزوجت من مقاول في ضعف عمرها .. شرهة الى المال ، والحب والجنس .. فهي تملك سيارة اجرة .. تتلاقى والسائق الذي يديرها لحسابها في الجراج .. دون علم أحد حتى زوجها .. تدعي أمام السائق انها تخفي ذلك لانها موظفة ، ولا يجب أن تعمل بالاعمال الحرة .. وترتبط مع زميل لها هو عمرو بعلاقة

● العيب الرئيسي في انثى البشر انك ما تكاد تؤويها في بيتك حتى تتحول من انثى الى مؤسسة ..

★●★

● محاولتك التفاهم مع امراة تبكي ، اشبه بمحاولتك تقليب اوراق الصحيفة أثناء عاصفة ..

● في بعض المناصب يجب أن يوزن الموظف عند تعينه توطئة لاعادة وزنه في نهاية السنة المالية .

★●★

● سر متاعبنا لا يكمن في أن الاشياء غير موجودة بقدر ما يكمن في انها موجودة في مكان آخر ..

وتبيح لنفسها ان تلقاه في شقتها على فراش المقاول .. وتعيش أمام الجميع كزوجة شريفة للمقاول الذي نجحت في خطفه من زوجته الاولى واولاده .. وتتعامل في وظيفتها كموظفة تحرص على ان تكون فوق مستوى الشبهات ..!

كل هذه العوامل ترشحها لان تكون ضحية ممتازة لجريمة قتل .. فالزوج يمكن أن يكون قد اكتشف خديعتها له فقتلها .. وسائق التاكسي يمكن أن يكون قد طمع في مالها ، ولما كان لا يظهر ابدا على سطح حياتها .. فهو في مأمن من أن تثار حوله شبهات القتل .. وابن زوجها الاكبر يمكن أن يكون قد انتقم منها لانها تمثل الخطر عليه وعلى اخوته .. وبهذه الخطوط المتشابكة تصبح القصة بوليسية من طراز يفوق ما كتبته « اجاثا كريستي » اذا ما اخذنا في اعتبارنا المقاييس البوليسية للقصة .. ولكن هل يمكن أن يكون نجيب محفوظ استهدف في هذه القصة التي جعل عنوانها « تحقيق » وحشرها في مجموعة تحمل اسم « الجريمة » ما يستهدفه كاتب القصة البوليسية ..؟ لا سيما اذا ما حددنا زمن كتابتها .. ثم مزجنا بينها وبين قصة « الجريمة » التي سميت باسمها المجموعة .. وهي قصة بارزة الرمزية .. تشير بأكثر من اصبع الى النكسة ..!

فاذا ما غسلنا خواطرنا نهائيا من الفكرة البوليسية التي وضعت في قالبها القصة .. ونفذنا الى ما وراء هذه الكلمات والعبارات .. واخترقنا الهيكل البوليسي الذي اختبأ فيه نجيب محفوظ وهو يكتبها لاسباب فنية .. فهو يريدها جذابة تمتع القارىء البسيط ، وصدمة كهربائية تصدم القارىء الذكي وتعذبه .. فصاحب القدمين الرهيبتين .. والحذاء الابيض الذي يقتحم أي منزل ، ويتجول فيه بصلف وغرور .. ثم يقتل صاحبته ، وهي في قمة سعادتها المختلسة مع هذا العشيق الضائع الذي لم يستطع أن يرد عنها أي شر .. لانه رعديد .. تافه .. جبان فاقد لشرعية وجوده في هذا البيت .. لا يرى في الحب وحده الشرعية التي تعطيه الحق حتى في أن يدافع عن حبه .. واذا

كان صاحب الحذاء الابيض الذي لا يرى الناس منه سوى حذاءه ، ولا ترتفع عيونهم دائما الى اكثر من بنطلونه .. يتجول في البيوت باسم الكراهية فقط .. فقد كان في وسع من يحملون الحب ان يتصدوا له باسم حبهم .. ولكن الارهاب يزرع في قلوب ضحاياه أنهم على خطأ ، ويجرم افعالهم صالحها وطالحها .. حتى يخلع الطمأنينة في قمة حالاته من اعماقهم .. فيختلط عليهم الامر .. ويسهل عليه الفتك بهم وبمن يحبون ..!

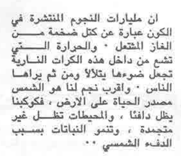
ثم لا يجدون بعد أن تقع الكارثة ملاذا لهم .. سوى التمزق ، والضياع ، والعويل ، وتوزيع التهم ، والقاء الشبهات .. ويتصاعد الشعور بالذنب داخلهم ، وتضيق عليهم الارض بما رحبت .. فيتهمون أنفسهم ، ويسقطون تحت اقدام صاحب الحذاء الابيض ليدوسهم من جديد ..!

ألم تكن هذه الحالة النفسية هي التي يعيشها شباب مصر بعد النكسة ..؟ وقبل انتصار اكتوبر .. ألم يكن التسيب والخداع والغش ، واللاشرعية هي التي تسود قبل النكسة ، وبالتالي ادت اليها ..؟ ألم يكن تسعة أعشار المصريين يعيشون مخدوعين كزوج هذه السيدة التي قتلت ..؟ وما كاد خبر النكسة يذاع حتى هبوا جميعاً يتضاربون ، ويصبون الاتهامات على بعضهم .. حتى تآكلت القيادات ، وأقيمت المحاكمات ، ورغم كل شيء فان الجاني لم يظهر ، ولم يتعرف عليه أحد .. وقد قيدت الجناية التاريخية الكبرى ضد مجهول تاريخي .. ليس بالضرورة أن يكون انسانا .. أو جماعة .. فقد يكون سلوكا أو شعورا أو ظاهرة مصدرها في النهاية الانسان ..!

ثم أدان الشعب نفسه ، وارتضى التهمة تكفيرا عن شعوره بالتقصير في عدم التصدى لصاحب الحذاء الابيض .. حينما اقتحم عليهم بيوتهم ، وخنق الامن والسكينة في شخص المرأة .. ثم عبث بكل ما كانوا يحرصون عليه في فتحه للعيون .. واطفأ انوارهم .. وهم ينظرون في ذعر ..ثم غادرهم دون ان ترتفع عيونهم الا الى مواطن قدميه ..!



القوى من النجوم



ان مليارات النجوم المنتشرة في الكون عبارة عن كتل ضخمة من الغاز المشتعل • والحرارة التي تشع من داخل هذه الكرات النارية تجعل ضوءها يتلألأ ومن ثم يراها الناس • واقرب نجم لنا هو الشمس مصدر الحياة على الارض ، فكوكبنا يظل دافئا ، والمحيطات تظل غير متجمدة ، وتنمو النباتات بسبب الدفء الشمسي ••

وكوكبنا الارضي لا يزيد عن كونه كرة صغيرة تدور في الفضاء ، وتأسرها جاذبية الشمس غير المنظورة ، فتدور حولها الى ما لا نهاية ، وتحتفظ بمسافة قدرها ٩٣ مليون ميل من الشمس • ومن هذه المسافة ، لا تحصل الارض الا على كسور بسيطة من حرارة وضوء الشمس المتدفقين ، بينما تنتشر كميات هائلة ضعف ما تحصل عليه الارض بملياري مرة في الفراغ ••

اذن كيف تستطيع الشمس الاحتفاظ بحرارة افرانها • وكيف استطاعت ان تمطر حرارتها هذه لخمس مليارات من السنين ، وهل هناك خطر يهدد نضوب الغاز منها ؟

لم يستطع العلماء الرد على هذه الاسئلة الا اخيرا ، بعد حصولهم على معلومات نووية على جانب كبير من الخطورة • فقد وجد علماء الفلك ان الشمس اكبر من الارض بمليون مرة ، وان درجة حرارة سطحها يبلغ حوالي ستة آلاف درجة مئوية ، وان حرارة قلبها تبلغ خمسة عشر مليون درجة مئوية • وقد اثبت علماء الفلك الطبيعي انه ليست هناك حرارة طبيعية أو احتراق كيميائي يعد مسئولا عن الحرارة الشمسية • وهم يعلمون انه ليست هناك كميات كافية من الاوكسجين ليتم ذلك الاحتراق • وقد فشلت كل الجهود لتفسير قوة الشمس ، وليس هناك مصدر قوي للطاقة يكفي لتفسير استمرار هذه الحرارة المشتعلة لمدة تنيف عن خمسة مليارات من السنين • وتقول كل التقديرات ان الشمس كانت يجب ان تتخلص من طاقتها منذ وقت طويل ، وكان يجب ان تكون كرة ترابية ميتة في السماء تحيط بها ظلمة الكون •

كان سير آرثر ادنجتون أول عالم يفكر في الطاقة الشمسية • ففي عام ١٩٢٠ قال ان النجوم يمكن ان تمدنا بالطاقة من اتحاد أو اندماج الايدروجين ليكون عناصر شديدة التعقيد • وان الحريق النووي يستطيع ان يفرج لكل ذرة طاقة اكثر بمليون مرة عن أي عملية كيميائية معروفة •

وبعد ثماني سنوات اتخذ كل من فردريك هاوترمانز ، وروبرت اتكنسون الخطوة التالية التي حولت تصورات العالم ادنجتون الى نظرية علمية ثابتة • فقد توصلا الى ان الايدروجين الموجود في قلب الشمس يحتوي على ذرات سريعة (بسبب الحرارة والضغط) لدرجة ان بعض الاصطدامات التى تحدث بين ذرات الايدروجين قد تحدث تفاعلات حرارية نووية ، وتفرج عن حرارة شديدة يطلق عليها « الطاقة الحرارية النووية » •

وقد عالج استاذ الطبيعة دكتور هانزبيث الطريقة التي بموجبها تحتفظ الشمس بطاقتها الى ما لا نهاية واستطاع ان يحسب تلك الطاقة الموجودة في داخل الشمس واثبتت حساباته ان اربعة بروتونات تندمج معا بالتعاقب لتكون ذرة واحدة من الهليوم • ولا يحدث ذلك في عملية بسيطة بل في عملية شديدة التعقيد •

والكتلة الضائعة أو الطاقة المفرج عنها في اندماج واحد تكون صغيرة ، ولكن بالنسبة لضخامة كمية الايدروجين في الشمس ، فان العملية تحدث بين وقت وآخر فتظل الشمس مشتعلة شديدة الحرارة • وفي كل ثانية واحدة فان مليار طن من الايدروجين يحدث له ذلك الاندماج • وان مليون طن من كتلة « اينشتين » ستتحول الى طاقة في كل ثانية ايضا • وعلى ذلك ستظل الشمس تضيء بنسبتها الراهنة لمليارات ومليارات من السنين قبل ان ينفذ منها الوقود وينضب تماما •

الايدروجين الثقيل

اذا تأملنا في الحرارة المتولدة لوزن معين من الشمس بدلا من اجمالي الحرارة المنتجة ، فاننا نصل الى حقائق مذهلة • ففي المتوسط نجد ان ٥٠٠ طن من كتلة الشمس تنتج مائة وات من الحرارة •

ميشيل تكلا

وهي نفس الكمية التي يعطيها مصباح كهربائي صغير • وفي مركز الشمس حيث تشع الحرارة بنسبة عظيمة ، فان انتاج مائة وات من الحرارة يستنزف عدة اطنان من مادة الشمس • كما ان جسم الانسان يولد حرارة باكثر مائة مرة من تلك التي يولدها وزنمماثل لغاز الايدروجين في الشمس • ونحن لا نقارن حرارة جسم الانسان بحرارة الشمس الداخلية ، ولكننا نقارن النسب التي تنتج كل منها بموجبه حرارتها • فالشمس تكاد تكون معزولة بسبب طبقاتها الخارجية الغازية ، حتى ان كمية صغيرة من الحرارة تولد في قلبها تظل ساخنة برغم انها انتجت بنسبة منخفضة عن تلك الموجودة في الجسم البشري • وبمعنى آخر فان حرارة الشمس محبوسة في داخل كتلتها الضخمة ، وتتسرب الى السطح بتدرج شديد • وعليه فان الشمس تستمر في بناء درجات حرارتها ، في حين أن الجسم البشري يفقد الحرارة بسهولة •

والسبب في ان الحرارة تنتشر ببطء حتى في وسط الشمس هو ان درجة حرارة قدرها ٢٠ مليون درجة مئوية تعد منخفضة ، ولكن من وجهة نظر التفاعلات النووية ، فان الطاقة المعادلةللبروتون في قلب الشمس لا تزيد عن ١٧٠٠ فولت الكتروني • وهذه طاقة منخفضة جدا للتفاعل النووي ، لان كل التفاعلات المدروسة في محيطات الذرة تقاس طاقاتها بملايين الفولتات • والتفاعلات النووية ، وعلى الاخص التفاعلات الحرارية النووية ، تكون اسرع كثيرا في الطاقات العالية • وهذا معناه أن البروتون في اعماق الشمس ضعيف ويندمج بعضه مع بعض ببطء شديد ، حتى ان ملايين السنين لا بد ان تمر قبل ان تحدث دورة من دورات الايدروجين والهليوم • ولهذا السبب لا تنفجر شمسنا كقنبلة ذرية •

ولما كان العلماء يعرفون من حقيقة القنبلة الهيدروجينية بأن الايدروجين نافع في تفاعل انفجار حراري نووي ، وعلى ذلك يمكن استغلاله لانتاج الطاقة التي قلت مصادرها في الارض • وهل في مثل هذه الحالة يستطيع الانسان ان يقلد أو يفك طلاسم قوة الطاقة الشمسية ؟

الحقيقة ان العلماء اليوم يركزون جهودهم لاستخدام الايدروجين كوقود عن اي عنصر من العناصر الاخرى •

ان قوة الايدروجين تغري العلماء وتشد انتباههم لاكثر من سبب • فاندماج الايدروجين لا يسبب اشعاعات متخلفة وعلى ذلك فان الاخطار الناجمة عن انشطار اليورانيوم لا وجود لها في هذا النوع الجديد من مصادر القوى • اضف الى ذلك ان طبيعة المفاعل الذي سوف يستخدم لانتاج قوى الاندماج هذه لن يشكل خطر حدوث انفجار ، كما يحدث احيانا في محطات قوى اليورانيوم •• وهناك فوق ذلك كله احتمال استخراج الطاقة من مفاعل اندماج مباشرة على هيئة قوة كهربائية • وفي مثل هذه الحالة فان الوقود الاساسي **الديتريوم** لن يسبب مشاكل على الاطلاق ما دام يمكن انتاج **الماء الثقيل** بمئات الاطنان وهو موجود فعلا في الاسواق بواقع ٢٨ دولارا للرطل الواحد • وليست هناك مشاكل للحصول على غاز الديتريوم النقى من الماء الثقيل • ولكن المشكلة الاساسية هي تصميم مفاعل يؤين الديتريوم أو بلازما الايدروجين وتعريض ايهما الى سرعة عالية حتى يتم الاندماج • وهذا يحتاج الى درجة حرارة اكثر من مائة مليون درجة مئوية •

والعلماء في الدول الكبرى المهتمة بانتاج هذا المصدر الجديد من الطاقة التي تشبه تلك الموجودة في النجوم يعملون ليل نهار لتصميم مفاعلات تستخدم المجالات الكهربائية والمغناطيسية لعصر بلازما الايدروجين • وقد انبثقت الفكرة اساسا من احد العلماء الامريكيين في عام ١٩٣٤ هو عالم الطبيعة المعروف و• هـ• بنيت • فقد اقترح ان ذرات الايدروجين المشحونة تتحرك في مجرى تحتوي على تيار كهربائي يكون مجاله المغناطيسي مما يجعل اندماج البلازما في بعضها البعض ، ويجعل الايونات المفردة تصطدم مع بعضها البعض ايضا وكلما اشتد عنف الاصطدام كلما اشتدت حرارة البلازما وعليه فهناك احتمال كبير لحدوث الاندماج •

ولقد صممت فعلا مفاعلات الاندماج والانسال في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لتحقيق هذه النظريات املا في الوصول الى مصادر جديدة من الطاقة •

ولا تزال البحوث الخاصة بالاندماج تجري في الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والسويد والمانيا واليابان وبلاد اخرى • وقد تقدمت بريطانيا في هذا المجال وانشات مفاعلات ضخمة تتركز في استخدام الديتريوم كعنصر فعال • وتجري ايضا تجارب حالية على التريتيوم ولكنه من الصعب استخدامه نظرا لاخطار اشعاعاته وتلويثه للاجهزة والمفاعلات •

واخيرا يمكن ان يقال ان العلماء في بحثهم عن بلازما ذات درجة حرارة عالية ومجالات مغناطيسية مركزة سوف يصلون الى حقائق جديدة عن الذرة والكون ويكشفون اسرار الشمس وما يجري فيها من تفاعلات دائمة الحدوث • وسوف يجمعون هذه المعلومات ويطبقونها عمليا للحصول على قوى الاندماج التي سوف تمكنهم من الحصول على مصادر غير محدودة من القوى اللازمة لتدفئة المنازل وانارة المدن وادارة المصانع لملايين السنين القادمة ••

وزيرة الشئون الاجتماعية في السودان:

هناك قيود على المرأة العربية حتى الآن

حديث اجرته : ابتسام الحديدى

ابتداء من هذا العدد •• نستضيف شخصية نسائية عربية ، لعبت ، او تلعب دورها في مجال العمل الاجتماعي • نريد أن نلقي الضوء معا على نشاط النصف الاخر من المجتمع العربي •ماذا قدمت المرأة العربية بعد أن دخلت دائرة النشاط والعمل والضوء ؟وماذا يدور في عقلها من احلام ، ومشروعات وافكار ؟

في هذا العدد : نطل ـ معا ـ من النافذة على الدكتورة فاطمة المحمود وزيرة الشئون الاجتماعية في السودان الشقيق ••

الدكتورة « فاطمة عبد المحمود » وزيرة الشئون الاجتماعية في جمهورية السودان الديمقراطية ما تزال في الثلاثينات من عمرها ورغم ذلك فان لها تجربة عريضة في الحياة العامة ، وتولى المسئوليات الكبيرة في وطنها حتى أنها تصلح نموذجا للمرأة العربية ، عندما تسند اليها المسئولية ، وتثبت كفاءتها وقدرتها تماما كالرجل ، وتؤكد انها قادرة على العطاء

وقد بدأت حياتها كطبيبة أطفال ، لكنها لم تحبس طاقاتها في الاطار الوظيفي بل القت بنفسها في خضم العمل الاجتماعي . فبدأت بالكتابة في الصحف ، وتقديم البرامج والاحاديث في الاذاعة والتليفزيون ، لتوجيه المرأة السودانية وارشادها الى واجباتها ومسئولياتها ••

ثم اختيرت عضوة في اللجنة التنفيذية للعمل النسائي ـ في عام ١٩٧٠ ـ حيث تولت مسئولية الاشراف على الجوانب الصحية في برنامج توعية المرأة السودانية وعينت بعد ذلك أمينة عامة للتنظيم النسائي ، فور تشكيله ، ثم أصبحت نائبة لوزير الشباب والرياضة ، وانتقلت الى وزارة الرعاية الاجتماعية ، ثم وزارة الصحة ثم أختيرت لتكون أول وزيرة في تاريخ السودان ، حيث أسندت اليها وزارة الدولة للرعاية الاجتماعية ، التي تحولت الى وزارة الشئون الاجتماعية ، والتي تتولى مسئولياتها حتى الان ، الى جانب توليها أمانة المرأة في الاتحاد الاشتراكي السوداني ، والسكرتارية العامة لاتحاد نساء السودان •

لابد من مشاركة المرأة

في بداية لقائنا ، كان طبيعيا ان اسالها عن رايها في تجربة مشاركة المرأة للرجل في تولى المسئوليات العامة، والعقبات والقيود التى تواجهها •• قالت الدكتورة فاطمة عبد المحمود :

ـ هناك قيود على عمل المرأة حتى



الان في كثير من مجتمعاتنا العربية ، لان البعض يتصور أن الدين الاسلامي الحنيف يمنع مشاركة المرأة للرجل ، بينما الاسلام لم يمنع المرأة من ذلك ، ونحن نعلم أن في التاريخ الاسلامي كثيرا من السيدات اشتركن في الحياة العامة والحروب ، وساهمن وساعدن الرجل ، كما أنه لا يوجد هناك نص يمنع المرأة من المشاركة في مجال الحياة العامة ، بل على العكس تماما فان الاسلام هو اكثر الاديان السماوية التي أعطت المرأة الحق في المشاركة ، أستطيع ان أقول ان المرأة ، اذا ما حافظت على دينها وخلقها ، لن تجد من يعارضها ، فالاسلام يؤثر الخلق



العظيم في المرأة ويكرمها ٠

المهم أن الشريعة الاسلامية تركـز الولاية العامة والسلطة في يد الرجل ، الا انها في الوقت نفسه منحت المرأة قسطا كبيرا من المساهمة في الشئون العامـة وفي مختلف ميادين العمـل ، وجعلت حق المرأة في ذلك مطلقـا من كل قيد ، كما ان حرية الرأى والعمل مكفولة في الشريعة الاسلامية ٠

وتضيف الدكتورة « فاطمـة » :

وقد استطاعت المرأة في الســودان ـ مثلما حدث في دول عربية اخرى ـ أن تتولى مناصب عديدة ٠٠ فهى المحامية والطبيبة والعاملة في المصنع والمعلمة والقاضية ، وهى تحاول التغلب على العقبات والصعوبات التى تواجهها ٠

جوانب عـديدة

● وحول الدور الذى تلعبه وزارة الشئون الاجتماعية في صنع التقدم في السودان ، قالت الدكتورة « فاطمـة عبد المحمود » ٠

ـ ان الوزارة تهتم بجوانب عديدة كالامومة والطفولة ، بالنسبة للمرأة والطفل هناك مراكز اجتماعية ، يصل عددها الى حوالى ٥٠ مركزا ، موزعـة على مديريات السودان المختلفة ويجرى الان اعداد ٥٠ مركزا جديدا ٠ كما نهتم بفتح فصول محو الامية للنساء ، ورياض الاطفال ودور الحضـانة ، ونركز على فصول التفصيل والخياطة والتدبير المنزلى والمجالات الثقافيـة الاخـرى ، حيث تعقـد النـدوات والمحاضرات لتوعية المرأة ، ودعوتها الى التعليم والمشـاركة في الحيـــاة بطريقة ايجابية ٠



وبالاضافة الى ذلك هناك نشاطات رياضية ، واجتماعية ، وثقـافية مختلفة ، تقوم بها المراكز الاجتماعية ، أما فيما يتصل بالاسرة فان الوزارة تقوم بدراسة لاحوال الاسر المختلفة ، وتقدم للاسر المحتاجة منها مساعدات رمزية أو فنية ٠

كما نهتم ايضا بقطاع المعوقين ـ (جسمانيا او عقليا) ـ فنقدم لهم المساعدات اللازمة ، من خلال المعاهد والمؤسسات التربوية المتخصصة .

وتقوم الوزارة ايضا بعمل دراسات اجتماعية ، وخاصة فيما يتعلق بمشروعات التنمية المختلفة لانه كما تعلم فان اى مشروع اجتماعى او زراعى يدر حالا على البلد ، لابد من أن تسبقه دراسة اجتماعية ، مثل جدوى اقامة المشروع نفسه ، وهل هو مناسب في المكان المعين ، من ناحية العرض ، ومن ناحية الطقس ، ومن ناحية تأهيل الانسان نفسه ، ثم بعد ذلك عند قيام المشروع ما هى الضمانات الاجتماعية التى لابد وأن تتوفر للانسان الذى يستفيد او يعمل في هذا المشروع ، اذا كان صناعيا او زراعيا ، وكثيرا ما ساعدت هذه الدراسات في توفير النجاح للمشروعات الصناعية والزراعية .

● وحول قانون الاحوال الشخصية في السودان ، والذى ينظم العلاقات بين المرأة والرجل هناك، قالت وزيرة الشئون الاجتماعية السودانية :

ان القانون ينص على حق الفتاة في اختيار زوجها ،وان الزواج لابد أن يتم برضاها ودون اى ارغام من اسرتها وهذا طبعا يوفر للزواج فرصة اكبر للنجاح والاستمرار ، لانه يكون ـ في هذه الحالة ـ قائما على التفاهم والاختيار الشخصى ، بدون اهواء او مطامع . أما اذا تعذرت الحياة الزوجية ، لاى سبب من الاسباب ، كظهور مشكلات صعبة من اى نوع ، أو عدم القدرة مثلا على الانجاب ، فأفضل الانفصال ، واذا كان هناك أطفال ، فان الاكفأ من الزوجين هو الذى يقوم بحضانة الاولاد ، وفترة الحضانة تستمر حتى يبلغ الطفل سن التاسعة . ويلاحظ أن قانون الاحوال الشخصية يعطى المرأة حقوقها ويحترمها كما هو معمول به في بلاد عربية كثيرة .

كجمهورية مصر العربية حيث ينص ـ على سبيل المثال ـ على أن يكون بيت الطاعة مستوفيا لكل الشروط الصحيحة حتى ترضى بالذهاب اليه ، او اعتبارها ناشزا اذا رفضت الذهاب اليه .

● وقلت للدكتورة « فاطمة عبد المحمود » ، التى تتولى اكثر من مسئولية عامة في السودان الشقيق :

● كيف نجحت في التوفيق بين كل مسئولياتك العامة ، وفي مقدمتها الوزارة ، وبين واجباتك كزوجة وام لطفلين ؟..

فاجابت وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة :

ـ السبب الاساسى في نجاحى في التوفيق بين كل هذه المسئوليات والواجبات هو أن اسرتى وزوجى يساعدوننى في هذا المقام ، ثم رغبتى الشخصية في خدمة وطنى ، لانه ليس من السهل ان تتبوأ المرأة في بلادنا مواقع مثل التى عينت فيها ، ولذلك فاننى اعتقد أن هذه الفترة من حياتى هى فترة تضحية لابد أن أقدمها لوطنى ، ضريبة تعليمى ، وضريبة كل ما قدمه لى وطنى ، وايضا لتأكيد ان المرأة المتعلمة والمثقفة تستطيع اداء واجبها بالكامل ، وانه يمكن دائما الاعتماد عليها .

وصحيح أن التضحية يمكن أن تكون على حساب من يتصدى للمسئولية والخدمة العامة وعلى حساب أسرته ولكن الانسان عندما يقتنع بالعمل الذى يقدمه لوطنه وعندما يشعر بتجاوب الاخرين معه ، فانه ينسى تضحيته ، ويشعر بالسعادة . وأحب أن اؤكد هنا انه رغم المتاعب التى اعانيها في عملى كوزيرة الا اننى أفخر بأن زملائى الذين أعمل معهم ، وفي مقدمتهم السيد الرئيس « جعفر نميرى » ، والقيادات التى في الخدمة الميدانية ، والعاملين بالوزارة معى ، أجد منهم كل التقدير والتعاون ، وهذا الجو ساعدنى كثيرا في أن انتج ، واتخطى العقبات التى تواجه المرأة ، عادة ، عندما تتولى القيادة ـ ثم ان المجتمع السودانى قد قبل قيادة المرأة ولا نجد الان معارضة شديدة ، اللهم الا اذا كان اسلوبنا او الاشياء التى نقوم بها خارج التعاليم ، وخارج عاداتنا وتقاليدنا .

والشعب السودانى يستطيع أن يحس ويستطيع أن يقيم الشخص ، في أى موقع ويستطيع أن يعرف ما اذا كان جديرا أو ليس بجدير ولكنى أقول اننى فخورة جدا بفترة الخمس سنوات التى قضيتها كوزيرة في حكومة « الرئيس نميرى » واعتقد اننى من خلال ايمانى الخاص بوطنى وبينات بلدى ، سعيدة بأن أقدم لوطنى ولعملى ما يرضى تطلعاتى في هذا العمل الذى اعتقد أنه عمل كبير ، واتشرف بتوليه

● وعن المرأة القطرية ، قالت الدكتورة فاطمة :

ـ الاحظ انها بدأت تشق طريقها للمشاركة في خدمة بلدها وتقدمه ، والواضح انها قد تقدمت ، خلال السنوات الاخيرة ، تقدما ملحوظا في التعليم ، وفي مجالات العمل المختلفة ، بفضل الرعاية الكبيرة ، التى تقدمها لها الدولة .

● واضافت :

ـ أما عن قطر ، فان نهضتها الشاملة يستطيع ان يلمسها بسهولة اى انسان يزورها ، فالمنشآت العمرانية ، والمشروعات الصناعية ، واعمال التنمية كثيرة ومتعددة ، وواضحة ايضا ، بما يؤكد ان قطر ستصبح قريبا واحدة من أبرز الدول العربية المتقدمة . ولابد من الاشارة الى كرم الشعب القطرى المضياف وحرصه على بناء وطنه وتقدمه .. ومن المؤكد اننى لن انسى هذه الزيارة الاولى التى أقوم بها لقطر ، لكل ما تركته في نفسى من انطباعات طيبة ، وآمل أن تتاح لى فرصة زيارتها ثانية انشاء الله .

فان جوخ في انجلترا

●● لعل السنة الاولى التى قضاها فان جوخ في لندن كانت من اسعد أيام حياته • هكذا تقول شقيقة زوجة فان جوخ • فقد امضى الفنان الهولندى العظيم (١٨٥٣ ـ ١٨٩٠) ما يقرب من ٣٠ شهرا في انجلترا خلال السنوات ١٨٧٣ الى ١٨٧٥ •

ولقد اتخذت حياة فان جوخ سواء في لندن او باريس او في هولندا ، وطنه ، اتخذت حياته نموذجا لما يعانيه الفنان عادة من وحدة وقهر وسوء تقدير من الناس لعبقريته •

في اول زياراته للندن وقع في حب ابنة صاحب المنزل الذى نزل فيه ولكنه كان حبا من جانب واحد •• ولقد كتبت أمه مرة تقول : يالة من ولد مسكين لانه لا ياخذ الحياة كما هى • ولقد افسد عليه عذابه العاطفى النجاح الذى احرزه في مضمار الفن •

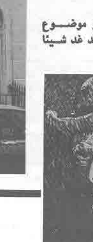
والباحثون يقولون ان انجلترا هى المكان الذى بدا فيه فان جوخ الرسم •• وذلك من استقصاء الرسائل التى كان يكتبها الى اخيه (تيو) •

ولقد علق فان جوخ على الرسامين الانجليز قائلا : ان الرسامين الانجليز الذين اكتفوا بالخطوط السوداء هم بالنسبة الى الفن في نظرى كتشارلز ديكنز بالنسبة الى الادب •• فلديهم نفس الاحساس والشهامة والصدق •• ولابد للمرء ان يرجع اليهم دائما •

ويعلق ايضا على الرسامين الصحفيين الانجليز : « لا يملك المرء الا ان يعجب بهذا الحزم في الرسم وبالطابع الشخصى والتصور الجدى والنظرة النفاذة ، والسمو الفنى بمعظم الشخصيات والاشياء العادية التى نراها في الشارع وفي السوق وفي المستشفى •• » •

ولا عجب بعد ذلك عندما نقول انه كان للرسامين الانجليز تاثير هام على فان جوخ ، ولكنه لم يكن التاثير الوحيد في فنه ولا سيما في بواكيره الجديدة في مطلع الثمانينات وقبل سفره الى باريس • وكان عليه ان يمضى بقية حياته القصيرة في فرنسا حيث استمر فنه يتغير تبعا لتفهمه لتحرر الالوان عند الانطباعيين بالاضافة الى بعض الحيل التشكيلية التى كانت صدى لدراسته العميقة للرسامين الصحفيين ••

وفي الاونة الاخيرة اصبح تاثر فان جوخ بالرسامين الانجليز موضوع بحث كثير من الدارسين •• ومن يدرى فلعلنا نقرا غدا او بعد غد شيئا جديدا يضيف بعدا جديدا الى هذا الفنان الخالد •





لا يغضب ابدا

بالحلم عرف اول خلفاء بنى أمية ، معـاوية بن ابى سفيان • كان يقول : « ما غضبى على ما أملك وأنا قادر عليه • وما غضبى على مالا أملك ويدى لا تناله » ، وكان يقول : « انى لا أحول بين الناس والسنتهم ، مالم يحولوا بيننا وبين ملكنا » • وكان يقول : « لا أضع لسانى حيث يكفينى مالى ، ولا أضع سوطى حيث يكفينى لســانى ، ولا أضع سيفى حيث يكفينى سوطى ، فاذا لم أجـد من السيف بدا ركبته » •

يروون أن قوما من قريش ، اجتمعوا ، فقـال بعضهم : « ما نظن معاوية أغضبه شيء قط » وقال بعضهم : « بلى ، اذا ذكر من أمه غضب » • فقال لهم مالك بن أسماء المنى — وهى أم مالك ، وسميت بهذا الاسم لجمالها — قال « والله لاغضبنه ، ان جعلتم لى جعلا » • فجعل القوم لمالك جعلا رضى به •

وأتى مالك معاوية في الموسم ، وقال له وهو بين جماعة

— يا أمير المؤمنين ، ما أشبه عينيك بعينى أمك !!

فقال معاوية :

— تانك عينان طالما أعجبتا أبا سفيان • انظر يا ابن أخى الى ما أعطوك من الجعل فخذه ، ولا تتخذنا متجرا • ثم دعا معاوية مولاه سعيدا ،فقال له :

أعدد ، لاسماء المنى ، دية ابنها ، فانى قد قتلتـه •

ورجع مالك ، فأخذ جعله من القوم من قريش ، فقال له رجل منهم :

— لك ضعفا جعلك ، ان أتيت عمرو بن الزبير ، فقلت له كما قلت لمعاوية •

وكان عمرو بن الزبير ذا نخوة وكبر • فأتاه مالك بن أسماء المنى وقال له :

— ما أشبهك بأمك يا عمرو

فأمر به عمرو ، فضرب حتى مات • فبعث معـاوية بديته الى امه •

ودخل على معـاوية ابنه يزيد يوما مغضبا ، وهـو يقول :

— يا أمير المؤمنين ، أقتل عبد الرحمن بن حسان • فقال له معاوية :

— ولم يا بنى ؟

فقـال يزيد :

مملوكة •

فقلت لها :

— ما اسـمك ؟

فقالت لى :

خلوة

فقلت لها :

— ولمن أنت ؟

فقالت لى :

— علمك والله بما في السماء السابعة ، أقرب اليك مما سالت عنه ، فدع هذا المحال

فقلت لها :

— يا سيدتى ، وأين اراك بعد هذا ؟

فقالت لى :

— حيث رأيتنى اليوم ، في مثل تلك الساعة ، من كل جمعـة •

ثم قالت لى ، ونحن جالسان :

— اما تنهض أنت ، وأما أنهض أنا

فقلت لها :

— انهضى في حفظ الله

فنهضت نحو القنطرة ، ولم يمكننى اتباعها ، لانها كانت تتلفت نحوى ، لترى : هل أسايرها أم لا ؟

فلما تجاوزت باب القنطرة ، أسرعت أقفوها ، فـلم أقع لها على أثر •

ولازمت باب العطارين والربض زمنا طويلا ، فما وقعت لها على خبر ، ولا أدرى أسماء لحستها ، أم ارض بلعتها ، وان قلبى منها لاحر من الجمر ، فقلت :

عينى جنت في فؤادى لوعة الفكر

فارسل الدمع مقتصا من البصر

فكيف ترسل فعل الدمع منتصفا

منها باغراقها في دمعها الدرر

لم ألقها قبل ابصارى فاعرفها

واخر العهد منها ساعة النظر

واخذ الشاعر يتقصى في قرطبة اسم « خلوة » ، ويتابع رحيلها من بلد الى بلد كمملوكة ، تباع من سيد الى سيد حتى رحل في طلبها الى سرقسطة في شمال شرقى الاندلس ، وعثر على حبيبته « خلوة » •

د. ناصر الدين الأسد

أعراب وبادية

— ١ —

ليس من هدف هذا البحث الخوض في أصول الألفاظ في اللغات التي اصطلح على تسميتها تجوزاً بالسامية ، ولا عقد دراسات عن اختلاف الدلالات المعنوية وتطورها في تلك اللغات ، فهذا تيه ضرب فيه كثيرون وأحسبهم لم يصلوا فيه إلى غير الظن أو الترجيح ولكن هدف هذا البحث محصور في جلاء الدلالات الاصطلاحية لألفاظ بعينها هي : الصحراء ، والبادية ، والقبيلة ، والأعراب ، والبدو . والفهم الصحيح لهذه الألفاظ أساس لفهم البيئة الجغرافية العربية ، وبغير فهم البيئة الجغرافية وتصورها تصوراً واضحاً لا تستقيم بين أيدينا دراسة الحياة الاجتماعية والحضارية والأدبية لأمتنا منذ جاهليتها حتى يومنا هذا . وتدعو عوامل متعددة إلى توضيح هذه الألفاظ ودلالاتها الاصطلاحية منها :

أن ما كتبه بعض علمائنا كان متأثراً بفهم نفر من علماء الاجتماع والتاريخ الأجانب لهذه الألفاظ في بلادهم وبيئاتهم ، وصورتها عندهم مخالفة لصورتها عندنا : فالقبيلة عندهم ، أو البدو ، أو الرحّل ، كانت تغلب عليها صورة القبائل المتوحشة الهمجية الغازية التي كانت تتنقل في مواطن من أوربا في عصور معينة ، واكتسحت أمامها بعض الحضارات التي كانت قائمة حينئذ . في حين أن صورة القبيلة عندنا في الجاهلية الأخيرة وما بعدها تختلف في نظامها ، وتكوينها ، وحياتها الاجتماعية ، وعلاقاتها ، وبيئاتها ، ومستواها الثقافي عن تلك الصورة ، وهو ما سنوضح جوانب منه في هذا البحث .

ومن تلك العوامل : أن بعض الذين كتبوا منا عن دلالات هذه الألفاظ ، لم يروا منها شيئاً في حياتهم ، ولم يكونوا من أبناء البيئة نفسها ، فهم من أبناء الحاضرة الذين عكفوا على كتبهم أمام مكاتبهم بين جدران غرفهم . ومهما يبذل مثل هؤلاء من جهد مقدور ، فإنهم عاجزون عن الوصول إلى حقيقة الفروق بين هذه الألفاظ وتصورها تصوراً صحيحاً .

— ٢ —

ومن تلك العوامل أيضاً : أن كثيراً من معالم صور هذه الألفاظ ، التي ظلت قائمة عصوراً طويلة ، لا تزال مستمرة في حياة بعض بيئاتنا إلى اليوم في غمر الحواضر وأطرافها ، ولكن هذه المعالم أخذت منذ عهد قريب تختفي أو تغيم بحكم زحف الحضارة الحديثة وجهود التحضير المستمرة . فإن لم نبادر منذ الآن إلى دراسة ظواهرها والاستفادة منها في فهم ما كانت عليه أمتنا ، خشينا أن تضيع عنا بعد حين وتعجزنا وسيلة المشاهدة والمعرفة الشخصية في تصور ما كان مما هو كائن إذا كان مثله أو شبيها به .

ومنها : أن القدماء أنفسهم في مؤلفاتهم اللغوية والأدبية والتاريخية والبلدانية لم يقفوا عند هذه الألفاظ وقفات متأنية تكشف عن حقيقة مراميها ودلالاتها ، بل جاءت بعض هذه الألفاظ — فيما يبدو لنا الآن — متداخلة الدلالات يشيع بينها الخلط والاضطراب بين التعميم والتخصيص ، والتقييد والإطلاق ، حتى أصبح تمييزها وتحديدها عسيراً يحتاج إلى تكلف جهد شاق لتمحيصها وفحصها ، ولا يتأتى ذلك إلا لمن عاش في بعض هذه البيئات وشهد صورتها الحديثة ، قبل انطماس جميع معالمها . وإن كان ذلك يتطلب حذراً شديداً حتى لا تتغلب أحكام الحاضر ومقاييسه على ماض قد يختلف عنه من بعض جوانبه ، كما يتطلب بصراً دقيقاً بمعرفة وجوه التشابه ووجوه الافتراق بين البيئات في العصور المختلفة .

ومن هذا العامل الاخر — وهو اختلاط دلالات هذه الألفاظ واضطرابها في كتب القدماء — يبدأ بحثنا :

فلفظ « الصحراء » لم يكن شائعاً عند القدماء بالمعنى الذي أصبح يغلب عليه في استعمالنا اليوم في بعض بلادنا من الدلالة على البقاع الرملية أو التي تكثر فيها الرمال ، كقولنا : صحراء سينا ، والصحراء الشرقية ، والصحراء الغربية ، وصحراء الربع الخالي ، وصحراء النفود . وإنما كانوا يدلون على هذا المعنى — في الأكثر — بقولهم : « الرملة » أو « الرمل » أو « الرمال » ، ولا نكاد نجد في وصفهم لـ « عالج » أو « الدهناء » أو « يبرين » أو « الأحقاف » ، أنها « صحراوات » ، ولكنهم يصفونها بأنها « رمل » أو « رمال » .

ولم تكن « الصحراء » إلا كما نقل الأزهري عن الليث ، قال :

« الصحراء : الفضاء الواسع ، وأصحر القوم : إذا برزوا إلى فضاء لا يواريهم شيء » .

— ٣ —

وقال ابن شُمَيْل : الصحراء من الأرض : مثل ظهر الدابة الأجرد ، ليس بها شجر ولا أكام ولا جبال ، ملساء ، وزاد الجوهري في الصحاح : « الصحراء : البرِّيّة » ، ونقل الفيروز أبادي وابن منظور ، أن الصحراء : الأرض المستوية في لين وغلظ دون القُفّ ، أو الفضاء الواسع . ولا تزال لفظة « الصحراء » تستعمل في بعض بلادنا العربية للدلالة على هذه المعاني أو ما يقرب منها .

وحين كانوا يذكرون « الصحراء » في شعرهم لم يكونوا يعنون دائماً أنها رمال .

ونقل ياقوت في اشتقاق « العُذَيْب » أنه تصغير العذب ، وهو الماء الطيب ، ثم نقر عدة تعريفات لهذا الموضع ليس منها ما يدل على أنه في الرمال . فهو ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية أربعة أميال . وقيل : هو واد لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة ، وقيل : هو حد السواد .

فقد شرحه الرَّبَعي في « نظام الغريب » بقوله « الصحراء : البلد القفر المستوية ، وجمعها صحار » .

ولكنها قد تعني أيضاً هذه الرمال . قال الفرزدق : و « فَلْج » : واد عظيم يشق شرقي نجد من الدهناء جنوباً إلى الزُّبير قرب البصرة شمالاً ، ويسمى اليوم « الباطن » . وقال الحسن بن عبد الله الأصفهاني المعروف بلُغْدَة (ت نحو ٣١٠ هـ) : « وللبصرة إلى مكة طريقان : أما أحدهما فالصحراء عن يسارك

— ٤ —

وأنت مصعد إلى مكة ليال ، فإذا ارتفعت فخرجت

من فلج في الرمل . . . » .

وفي الوقت نفسه نجد لفظ « البادية » مرادفاً للرمل أو الصحراء ، باستعمالنا اليوم . ففي معجم البلدان في التعريف بعالج ، أنه « رملة بالبادية مسماة بهذا الاسم » .

وفي التكملة والذيل والصلة للصغاني (٥ حين أورد قول الشاعر :

شرحه بقوله : « يقول : أقام آبائي بالبادية ولم يحضروا القرى » .

وذكر البكري بني كعب بن ربيعة بن عامر ، فيمن نزل نجداً من العرب ، ثم قال (٦ : « ودارهم الفَلَجُ وما أحاط به من البادية » .

وقال الليث (٧ : « البادية اسم للأرض التي لا حَضَرَ فيها ، وإذا خرج الناس من الحضر إلى المراعي في الصحارى قيل : قد بَدَوْا ، والاسم : البدو » .

فنحن نرى من هذه النصوص مبلغ التداخل في معاني هذين اللفظين ، فهما بمعنى واحد أو بمعنيين متقاربين جداً ، لا يكاد ظاهر النصوص يميز بينهما .

ونجد مثل هذا التداخل والاضطراب في لفظين آخرين ، هما : أعرابي وبدوي . فالمعاجم وكتب اللغة والتفسير وغريب الحديث تورد تعريفات لهذين اللفظين تجعلهما يدلان على معنى واحد . وأصحاب المعاجم — كما نعرف — ينقل المتأخر منهم عن المتقدم ، وقد يضيف زيادات من مصادر أخرى ، ولكن تلك الزيادات في هذين اللفظين لا تضيف جديداً يفرّق بينهما . ففي هذه المعاجم (٨ : « ورجل أعرابي — بالألف — إذا كان بدوياً ، صاحب نُجْعة وانتواء وارتياد للكلأ وتتبع لمساقط الغيث ، وسواء كان من العرب أو من مواليهم . . . فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظَعْنهم وانتوى بانتوائهم فهم أعراب » وفيها (٩ : « العرب جيل من الناس . . . وهم أهل الأمصار . . . والأعراب منهم سكان البادية خاصة » . وفيها ١٠ : « والأعرابي : البدوي » .

ويقابل هذه الصورة ويكمّلها ، ما ذكروه عن البدو والبداوة ، فقد ذكروا : أن معنى « بدا بداوة وبداوة (بفتح الباء وكسرها (خرج إلى الصحراء ١١ . وفسروا « الأعراب » في الآيات الكريمة العشر ، التي وردت هذه اللفظة فيها في أربع سور ، بأنهم ١٢ :

— ٥ —

« قوم من بوادي العرب قدموا على النبي — صلى الله عليه وسلم — المدينة طمعاً في الصدقات لا رغبة في الإسلام ، فسماهم الله الأعراب ، أو أنهم « سكان البوادي الذين تخلفوا عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في غزوة تبوك ١٣ » ، أو أن هذه الآيات « نزلت في سكان البادية ، يعني أن أهل البدو أشد كفراً ونفاقاً من أهل الحضر » ١٤ .

وقال ابن زَبَنَّج عن أبيه ١٥ : كان أبان بن عثمان من أهزل الناس وأعبثهم . . . فبينا نحن ذات يوم عنده وعنده أشعب إذ أقبل أعرابي ومعه جمل له . فقال أشعب لأبان : هذا والله من البادية . . . » .

وقال ابن حزم ١٦ : « أخبرني بعض أعراب طيء أن بني محارب وبني أشجع ابن رَيْث أذلّ قبائل قيس بالبادية اليوم » .

وقال ياقوت ١٧ : « وكان أبو ثَرْوان أعرابياً بدوياً تعلم في البادية » .

● صدر في لندن كتاب جديد باسم (تقوم بكل العمل .. بلا اجر) للكاتبة سوزي فليمنج احدى زعيمات الحركة النسائية في بريطانيا وتدافع سوزي في هذا الكتاب عن المراة لا في اوروبا فحسب بل في جميع انحاء العالم .. وتطالب الدولة .. اي دولة .. بتقدير عملها في المنزل .. بمنحها اجرا على اعمال المنزل .. وتقول سوزي .. انه لا يوجد احد في العالم يمكنه ان يستهين باهمية دور المراة في البيت .. وانه حان الوقت لكي تسهم الدولة في تقدير هذا الدور .. وتقدم للمراة اجرا رمزيا عنه ..

وقد استشهدنا بأمثلة من مصادر متعددة متنوعة الميادين ، ومن عصور مختلفة ، والنصوص في هذا أكثر من أن يجمعها حصر ، وما أوردناه منها يغني عن الاستقصاء والتتبع ، وهي كلها على هذا المنوال : الأعرابي فيها بدوي والبدوي أعرابي ، والصحراء بادية والبادية صحراء ، وهما معاً أحياناً بمعنى البرية والفضاء ، وأحياناً بمعنى الرمال خاصة .

ويفهم من هذا في جملته ، أن كل ما ليس بمدينة أو قرية فهو بادية أو صحراء ، تمشياً مع الدلالة اللغوية المحض لـ « بدا » و « أصحر » ، وأن كل من لم يكن يسكن المدينة أو القرية مستقراً فيها فهو بدوي أو أعرابي مهما يكن بعده عنها ومهما تختلف بيئته وأحوال معيشته مهما يكن بعده عنها ، ومهما تختلف بيئته وأحوال معاشه وحياته الاجتماعية . ولم تكن القرية تدل على ما تدل عليه اليوم من قلة السكان أو صغر الحجم أو اقتصار أهلها على مزاولة الزراعة ، تمييزاً لها من المدينة فقد كانتا في الجاهلية وصدر الإسلام بمعنى واحد ، فيما يظهر من بعض النصوص .

ويبدو أن هذا الفهم العام للأعراب قد استقر في صدر الإسلام ، حتى أصبح المجتمع حينذاك يقسم خمس فئات ، هي : المهاجرون ، والأنصار ، وأهل الأمصار ، والأعراب ، وأهل الذمة . ويتضح ذلك

— ٦ —

فيما روي من وصية عمر — رضي الله عنه — حين قال : « أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم وكرامتهم ، وأوصيه بالأنصار الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبل أن يقبل من محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيه بأهل الأمصار ، فإنهم ردء الإسلام وغيظ العدو ، وجباة المال ، ألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضى منهم ، وأوصيه بالأعراب ، فإنهم أصل العرب ، ومادة الإسلام ، أن يأخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم ، وأوصيه بذمة الله وذمة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يوفي لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم » .

وظهرت الأعراب — من حيث هي فئة قائمة بنفسها — في بعض الأحاديث النبوية وفيما ترتب عليها من أحكام في الهجرة والجهاد وقبول الهدية

بل أصبحت الأعرابية نبزاً يدل على صفات في الخلق والسلوك ، وإن كان الموصوفون بها من سكان المدن . فقد روي عن أنس ، أن أبا موسى الأشعري بعثه إلى عمر ، فقال له عمر : كيف تركت الأشعري؟ فقال أنس : تركته يعلم الناس القرآن . فقال عمر : أما إنه كيس ولا تسمعها إياه . ثم قال له : كيف تركت الأعراب ؟ فقال أنس : الأشعريين ؟ قال عمر : لا بل أهل البصرة . قال أنس : أما إنهم لو سمعوا هذا لشق عليهم .

وقد ذكروا أن الأعرابي إذا قيل له : يا عربي ، فرح بذلك وهش له ، والعربي إذا قيل له : يا أعرابي ، غضب له .

وربما كانت لنا مندوحة عن المضي في هذا البحث ، ومقنع في الوقوف عند ما قدمناه وقبوله والتسليم به ، لولا أننا نعرف من حياة أمتنا اليوم في بعض بيئاتها ما نلحظ فيه فروقاً دقيقة بين هذه الألفاظ تجعل لكل لفظ منها دلالة اصطلاحية محددة يختلف بها عن غيره . وما كنا لنجرؤ على بيان رأي في أحوال

دعاء

اللهم ..
ألهمنا صواب الحق
والثبات دوما على الحق
وهب لنا الصدق وحسن الخلق ورضا الصابرين
أفرغ علينا صبرا
وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
ارزقنا تمام العبادة
واكتب لنا الشهادة
أصلح لنا شئون ديننا ودنيانا
واجعلنا من المجاهدين
وارزقنا أجر المجاهدين

قومنا وبيئاتهم في ماضيهم من واقع ما نعرفه اليوم ، خشية اختلاف صورة الحاضر عن الماضي ، لولا أننا

— ٧ —

عثرنا على نصوص واضحة الدلالة جعلتنا نرجح أن الصورة هي الصورة ، أو أنها قريبة منها . وعلى قلة هذه النصوص ، فإنها كبيرة القيمة ، وهي التي حفزتنا إلى هذا البحث على تهيب لعله ينتهي عند استكماله إلى يقين يطمأن إليه .

أول هذه النصوص وأقدمها وأنفَسُها حديث لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقد رُوِيَ عن عائشة — رضي الله عنها — أنها قالت : لما قدمنا المدينة نهانا رسول الله أن نقبل هدية من أعرابي ، فجاءت أمُّ سُنْبلةَ الأسْلمية بلبن ، فدخلت به علينا ، فأبينا أن نقبله ، فنحن على ذلك إلى أن جاء رسول الله معه أبو بكر ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : يا رسول الله ، هذه أم سنبلة أهدت لنا لبناً ، وكنت نهيتنا أن نقبل من أحد الأعراب شيئاً . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : خذوها ، فإن أسلم ليسوا بأعراب ، هم أهل باديتنا ونحن أهل قاريتهم ، إذا دعوناهم أجابوا ، وإن استنصرناهم نصرونا ، صبي يا أم سنبلة . . . » ، وقد عاد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في آخر الحديث ، فكرر قوله : « إن أسلم ليسوا بأعراب ، هم أهل باديتنا ونحن أهل قاريتهم » .

والنص الثاني عن أبي زيد البَلْخيّ (المتوفى سنة ٣٢٢ هـ) ، نقله ياقوت في معجم البلدان ، ونسبه إلى أبي زيد ، وذكره الاصطخري قبل ياقوت ، ولم ينسبه ، وجاء كأنه من كلام الاصطخري ، ونصه فيه : « ومن رَضْوىَ يُحْمَل حَجَر المسَنّ إلى سائر الآفاق ، وبقربه فيما بينه وبين ديار جُهَيْنَةَ وبَلِيٍّ وساحل البحر ديار للحَسَنيّين ، حَزَرْتُ بيوت الشَعْر التي يسكنونها نحواً من سبعمائة بيت ، وهم بادية مثل الأعراب ، ينتقلون في المراعي والمياه انتقال الأعراب ، لا تميز بينهم في خَلْق ولا خُلُق » .

فهذان نصان صريحان في أن الأعراب غير البادية ، وقد تضمنا صفات لكل من الفريقين يحسن استخلاصها عسى أن تفيد في التمييز بينهما والكشف عما سكت عنه القدماء . ففي الحديث نسب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « أسلم » من حيث هم أهل بادية إلى نفسه أو إلى المسلمين ، بقوله : « هم أهل باديتنا » ، ثم جعل لهذه البادية حاضرة في قوله : « ونحن أهل قاريتهم » ، ثم وصفهم بأنهم يستجيبون له وينصرونه .

— ٨ —

ويفهم من الشق الأول أن منازلهم قريبة مطيفة بهذه الحاضرة ، ويفهم من الشق الثاني أنهم أهل طاعة ونصرة وليسوا « أشد كفراً ونفاقاً » ، فهم لكل ذلك ليسوا بأعراب .

وفي نص أبي زيد البلخي وصف لجانب من طبيعة حياتهم الاجتماعية والمعاشية ، ويفهم من نصه أن البادية تقيم في بيوت من الشعر ، فهم أهل وبر وليسوا أهل مدر ، وفي هذا يشتركون مع الأعراب ، ولكنه يرى أن انتقالهم في المراعي والمياه مخالف لانتقال الأعراب ، وأنهم يختلفون عنهم في أخلاقهم ، كما يختلفون في بعض ملامح خلقتهم .

وكل هذا يدعونا إلى محاولة الوقوف عند نصوص أخرى كنا نمر بها دون أن تستوقفنا لولا هذه الفروق التي نص عليها حديث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقول أبي زيد البلخي .

فقد ذكر عَرّام بن الأصبَغ في حديثه عن السوارقيّة ، أنها « قرية غنّاء كثيرة الأهل » ، وأنه كان لبني سُلَيْم فيها « مزارع ونخيل كثيرة وفواكه ولهم خيل وإبل وشاء كثير ، وهم أهل باديّة ، إلا من وُلِدَ بها ، فإنهم ثابتون فيها ، والآخرون بادون حواليها ويَميرُون طريق الحجاز ونجد في طريق الحاج » .

وهذا نص واضح الدلالة على أمور ، منها : أن القبيلة الواحدة تحيا حياتين مختلفتين ، قسم منها ثابت مستقر يسكن المدر ، وقسم باد من أهل الوبر . ومنها : أن البادية لهم « خيل وإبل وشاء » ، ومنها أن البادية حوالي « المدينة أو القرية وليسوا بعيدين عنها .

وقال عَرّام أيضاً عن قرية خَيْنَف سَلاّم :
وفيه منبر وناس كثير من خزاعة ، ومياهها فُقُرٌ أيضاً وباديتها قليلة ، وهي : جُشَم وخُزاعة وهُذَيْل » .

وهو نص يتفق مدلوله مع مدلول النص الأول في أمرين : فخزاعة قسمان ، بعضها ثابت في القرية ، وبعضها باد ومعه أقسام من قبائل أخرى ، ثم إن هذه البادية هي « حرالى » هذه القرية ولذلك نسبها إليها ، بقوله : « وباديتها قليلة » :

وقال جرير في مدح عبد الملك بن مروان:

— ٩ —

فشرحوه بتوهم : « أراد جرير بالضواحي ، في بيته ، قريش الظواهر ، وهم الذين لا ينزلون شعَبَ مكة وبطحاءها ، أراد جرير : أن عبد الملك من قريش الأباطح لا من قريش الظواهر ، وقريش الأباطح أشرف وأكرم من قريش الظواهر ، لأن البطحاويين من قريش حاضرة ، وهم قُطّان الحرم ، والظواهر : أعراب بادية » . ثم قالوا : « وضاحية كل بلد : ناحيتها البارزة » . وقالوا : « وضاحية مُضَر . . . أي أهل البادية منهم ، وجمع الضاحية : ضواح . . . ومنه قيل : قريش الضواحي : أي النازلون بظواهر مكة » . وقالوا : « هو من أهل الضاحية : أي البادية » .

ومما يتصل بهذه المعاني ويقويها ما ذكره أبو جعفر الطبري ، قال : « ونزل كثير من تَنُوخ والحيرة وما بين الحيرة إلى طَفّ الفرات وغربية إلى ناحية الأنبار وما والاها ، في المظال والأخبية ، لا يسكنون بيوت المَدَر ، ولا يجامعون أهلها فيها ، واتصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة ، وكانوا يسمون عرب الضاحية ، فكان أول من ملك منهم في زمان الطوائف : مالك بن فَهْم . . . » .

ومما يجلو جوانب من حياة قومنا وحياة القبيلة العربية واختلاف أنماط حياتها ما أورده ابن عبد ربه نقلا عن أبي عبيدة ، قال : « كانت أرجاء العرب ستاً . . . بمضر منها اثنان ولربيعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ، واللتان في مضر : تميم بن مر وأسد بن خزيمة . واللتان في اليمن : كلب بن وبرة وطيئ بن أدد . وإنما سميت هذه أرحاء ، لأنها أحرزت دوراً ومياهاً لم يكن للعرب مثلها ، ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها ، إلا أن ينتجع بعضها في البرحاء وعام الجدب ، وذلك قليل منهم » .

ثم جاء ابن خلدون ، فقسم البادية أقساماً ، ولكنه أدخل فيهم أهل الزراعة والقائمين بالفَلْح ، ولا يزال أشقاؤنا المغاربة إلى يومنا هذا يقصدون بالبادية كل من ليس مقيماً في مدينة جامعة ويدخلون فيهم أهل القرى المزارعين ، ونحن في حديثنا هذا لا نشمل الصحراء والبادية حيث كانتا ، وإنما نقصره على جزيرة العرب وحدها وما اتصل بها ، وفي الجاهلية والعصور الإسلامية الأولى . ومما قاله ابن خلدون في معرض حديثه عن أهل البدو : « ومن كان معاشه في السائمة . . . فهم ظُعّن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم ، فالتقلب في الأرض أصلح بهم ويسمون شاوِيَة ، ومعناه : القائمون على الشاء . . . ولا يبعدون في القفر

— ١٠ —

لفقدان المسارح الطيبة . . . وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعناً وأبعد في القفر مجالا ، لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها لا تستغني بها الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة والتقلب فصل الشتاء في نواحيه فراراً من أذى البرد إلى دفاءة هوائه وطلباً لماخض النتاج في رماله ، إذ الإبل أصعب الحيوان فصالاً ومَخاضاً وأحوجها في ذلك إلى الدَّفاءة ، فاضطروا إلى إبعاد النُّجْعة ، وربما زادتهم الحامية عن التلول أيضاً فأوغلوا في القفار نفرة عن الضعة منهم ، فكانوا لذلك أشد الناس توحشاً ، وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوان العجم ، وهؤلاء هم العرب » .

وغفر الله لابن خلدون ، فهو إنما كان يريد الأعراب ، ثم أثابه خير الثواب على هذا البيان الشارح المفصل الذي يجلو الغموض ويزيل الالتباس .

أما بعد ،

فإن البادية عند العرب تدل على المكان أو من ينزله ، وهي كلمة عامة يقصد بها كل ما هو خارج المدينة أو الحضر المستقر الثابت في المدر ، وقد تتعدد بيئاتها وطبيعة أرضها ومناخها وحياة أهلها الاجتماعية والمعاشية ، وتشمل الرمال والقفار والجبال ، كما تشمل الأودية ومسايل المياه والآبار والعيون ، بعضها مجدب قاحل وبعضها خصب أحياناً حين ينزل المطر ، وتنبت فيه أنواع مختلفة من النبات ، وبعضها خصب دائماً ، لوفرة ما في أرضه من مياه .

ولكن هذه اللفظة قد تخصص وتقيد ، فتقتصر في دلالتها على ظواهر المدن والقرى وضواحيها ، القريبة منها ، المطيفة بها ، ولا تكون حينئذ رمالاً ولا قفراً قاحلاً ، وإنما هي في الغالب أرض فيها مياه تنبت أنواعاً من النبات وتمتد فيها المراعي ، وأهلها يقتصرون عليها ولا يضطرون إلى غيرها إلا في حمى محدود ، يتنقلون في داخله وينتجعون ، ولهم نعم وخيل وإبل ،

— ١١ —

وهم متصلون بقاريتهم أو حاضرتهم يدخلون ويخرجون ويتبادلون وإياهم المنافع ويشتركون معهم في كثير من العادات والطباع ، وينفردون دونهم أو دون أكثرهم بالتحرر والانطلاق وإباء الضيم والكرم والنخوة وما يتصل بها من الصفات . هؤلاء هم البادية ، أو أهل البادية ، أو البدو ، أو عرب الضواحي ، أو عرب الأرحاء ، أو الشاوية على تفاوت يسير بين مدلولات هذه الألفاظ باختلاف العصور .

أما سكان الرمال والقفار ، فهم أهل إبل ، ليس لهم نعم ولا شاء ولا خيل ، وهم ضاربون في تلك الفيافي بعيدون عن العمران ، كثيرو التنقل والانتجاع قساة القلوب غلاظ الأكباد جفاة الطباع . وما أحسب أحداً يشك في أثر البيئة الطبيعية ، والمناخ ، ووسائل المعاش ، في أخلاق الناس وسلوكهم وفي تكوين أجسامهم .

ويبدو أن مثل هذه التفرقة معروفة منذ أقدم الأزمنة ، فقد أشار الدكتور « جواد » على ما عرفه اليونان منها ، قال : « ... الظاهر أن لفظة التي تعني (البدو (لا تؤدي معنى أي سكان الخيام . إذ فرّق الكتبة اليونان في مؤلفاتهم بين اللفظتين . وأغلب ظني أن المراد بسكان الخيام : الأعراب المستقرون بعض الاستقرار ، أي الذين عاشوا في مضارب عيشة شبه مستقرة ، لهم خيامهم وإبلهم وحيواناتهم على مقربة من الريف والحضارة . أما الـ (نومادس ، ، فقد كانوا قبائل رُحّلاً ، يعيشون في البوادي لا يستقرون في مكان واحد متى وجدوا فرصة اغتنموها فأغاروا على من يجدون أمامهم للعيش على ما يقع في أيديهم . . . » .

ومع أن التفرقة في هذا النص بين الفريقين واضحة المعنى ، ومع وجود لفظتين يونانيتين لتدل كل واحدة منهما على فريق دون الآخر ، فإن الألفاظ العربية في هذا النص جاءت متداخلة مضطربة من حيث دلالاتها الاصطلاحية ، وهو ما حاولنا في هذا البحث توضيحه وتمييزه ، لتدل كل كلمة في الاصطلاح على فريق بعينه .

وقد ذهب المفسرون في تسمية القبائل التي أرادها الله — عز وجل — في الآيات التي ذكر فيها « الأعراب » مذاهب صحيحة في جملتها وعمومها ، ولكنها تحتاج إلى كثير من الأناة والتتبع ، لتحديد ما أطلقوه إطلاقاً عاماً ، وضبط ما أرسلوا فيه القول إرسالاً .

وقد تنبه الخازن لبعض هذا ، ففي معرض تفسيره لقوله تعالى : « ومن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق ، لا تعلمهم ، نحن نعلمهم ، ستعذبهم مرتين ، ثم يردون إلى عذاب

— ١٢ —

عظيم » ، قال : « ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي أنهم من أعراب مُزَيْنَة وجُهَيْنَة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة ، يعني : ومن هؤلاء الأعراب منافقون ، وما ذكروه مشكل ، لأن النبي — صلى الله عليه وسلم — دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم . فإن صحّ نقل المفسرين فيحمل قوله سبحانه وتعالى :

ومن حولكم من الأعراب منافقون » على القليل ، لأن لفظة (من (للتبعيض ، ويُحْمَل دعاء النبي — صلى الله عليه وسلم — لهم على الأكثر والأغلب ، وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين ودعاء النبي — صلى الله عليه وسلم — لهم . وأما الطبري ، فإنه أطلق القول ولم يعين أحداً من القبائل المذكورة ، بل قال في تفسير هذه الآية : ومن القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الأعراب منافقون ، ومن أهل مدينتكم أيضاً أمثالهم أقوام منافقون » .

ونتريث قليلا ، عندما أشار إليه الخازن من دعاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لبعض تلك القبائل ونورد ما روي عن أبي هريرة نفسه من هذا الدعاء في موضعين : الأول أورده الخازن ، والثاني أورده البغوي . ففي الموضع الأول روى الحديث بالألفاظ التالية :

« أرأيتم إن كان جُهَيْنَة ومُزَيْنَة وأسْلَم وغفار خيراً من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله ابن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة » . .

وفي الموضع الثاني ، روى الحـــديث بالألفاظ التالية :

« أسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم وأسد بن خزيمة وهوازن

وموطن التريث والشاهد أن في نص الحديث في الموضع الأول « بني عبد الله بن غطفان » ، بهذا التحديد والتخصيص ، وفي نص الحديث في الموضع الثاني « غطفان » ، بهذا العموم والإطلاق . وفي الموضع الأول ذكرت « جُهَيْنَة » وفي الموضع الثاني قُيِّد اللفظ بـ « شيء من جهينة » .

وإذا انتقلنا إلى آيات أخرى وردت فيها «الأعراب» نجد الطبري في تفسير قوله تعالى : « وجاء المعذرون من الأعراب » ، يروي بسنده عن مجاهد ، قال : « نفر من بني غفار ، جاءوا فاعتذروا ، فلم يعذرهم الله » ، ولم يقل « غفار » بإطلاقها .

وفي تفسير قوله تعالى « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم » ، روى الطبري بسنده عن مجاهد ، قال : « هم من مزينة » ، ثم روى بسند آخر عن مجاهد نفسه ، قال : « هم بنو مقرن ، من مزينة» ، ولم يقل في الموضعين « مزينة » على عمومها .

— ١٣ —

وليس هذا موضع الاستقصاء وبحسبنا ما أوردنا للدلالة على ما ذهب إليه بعض المفسرين من تخصيص « الأعراب » ببطون من القبائل دون بطون ، ولنربط هذا بما أشرنا إليه قبل قليل من أن القبيلة إذا تعددت بطونها لا تحيا جميعها حياة إجتماعية ومعاشية واحدة ولا تقطن في بيئة واحدة ، بل قد تختلف كل بطن منها عن غيره ، فيكون أحدها ثابتاً قاراً في الحضر يسكن المدر ويزاول التجارة أو الزراعة ، ويكون أحدها بادياً حول الحاضرة مطيفاً بها قريباً منها وله خيل ونعم وشاء وإبل يرعاها ، ويكون غيرهما من القبيلة نفسها بعيداً عن العمران ، موغلا في الصحراء ، في شظف من العيش ، كثير التنقل ، ليس له إلا الإبل ، هؤلاء هم الأعراب ، وإن ورد في كتاب الله أنهم حول المدينة ، إذ أن في شمالي المدينة وشرقيها غير بعيد عنها رمالا وقفاراً يصعب سلوكها يقطنها هؤلاء الأعراب .

ولعلنا نوضح طبيعة بعض هذه البلاد بمثل من ديار بني أسد الذين ذكر المفسرون أنهم من الأعراب المقصودين في الآيات الكريمة . قال العامري : « العُرَف ببلاد أسد . . . بها قفاف ورمال وغير ذلك . . . وهن أربع عُرَف : عُرْفة ساقٍ وعُرْفة صارة ، وعُرْفة رَقْد ، وعُرْفة أعيار . . . وهن أجارعُ وقفافٌ إلا أن كل واحدة منها تماشي الأخرى كما تتماشى حبال الرمل ، وأكثر عشبهن : الشقارَى والصفراء ، والقُلْقُلان ، والخُزَامى

وفي التعريف بإحدى هذه العرف ، وهي عُرْفة رَقْد ، قال الأصمعي نقلا عن العامري أيضاً : « رَقْد هضبة مُجَلَنْدَة مطمئنة غير مرتفعة بين ساق الفَرَوَيْن وبين حُبْس القَنان ، وهي بأطراف العُرَف وهي مشرفة على جبال لأنها فوق حَزْم من الأرض ،

والله تعالى أعلم بمراده ، أحمده على كل حال ، وأستغفره من الزلل ، وأعوذ به من تكلف ما لا أحسن .



د. محمد المنسي قنديل

شخصيات حية من الأغاني

الحطيئة

ذهب الحطيئة الى أمه يسالها عن أبيه الحقيقى •

كان وجهها الذى كان جميلا قد تغضن • قالت انها لا تدرى • اوقد الحطيئة نارا ووضع فوقها قدرا مملئا بالماء • وعندما ارتفع البخار حمل أمه وأقسم ان يلقيها في القدر ان لم تخبره بالحقيقة • ارتعدت الام • وقالت : انهم كثيرون • قال محنقا •• كم ؟ قالت : لا أذكر لكنهم كانوا من بنى ذهل وبنى عبس •• لكننى لا اذكر عددهم • تركها وجلس مقهورا • لم تعرف الام أين اخطأت بالضبط ، فقالت تهون عليه • لم أضاجع الا أشراف الناس •• أنت بصورة أو بأخرى شريف النسب •

هكذا يمضى ذلك الرجل المفرد • قبيحا مثل ناقة حرون • بالغ القصر مثل نبات صحراوى • مغمور النسب • لا ظل من شرف يحتمى به • ولا سند يمنع اهدار دمه •• حتى أن « ابا الفرج » يقول عنه :

ـ كان الحطيئة جشعا • سؤولا • ملحفا • دنيء النفس • كثير الشر • قليل الخير بخيلا • قبيح المنظر • رث الهيئة ، مغمور النسب ، فاسد الدين ، وما تشاء ان تقول في شاعر من عيب الا وجدته وقلما تجد ذلك في شعره •

كان وحيدا في مواجهة مجتمع كامل • في مواجهة تقاليد وقوانين ضاربة الجذور • يعيش هو على حوافه على أطراف المضارب وعلى عطايا كرام الناس •• أو الذين يخافون لسانه •• لا يعشق • لا يتشبب • لا يحلم الا بموطيء قدميه •• لم يملك شيئا الا لسانه •• يهجو اخوته المزعومين من بنى ذهل الذين حرموه من ميراث مزعوم • ويهجو أمه التى تزوجت ابن زنا يدعى كليب ، ويهجو زوجها ، ويهجو سادات القبائل الذين أمسكوا ايديهم عنه • ثم يقلب الهجاء مدحا في نفس واحد حين يأخذ •• وعندما ضاقت الدنيا به ذات مرة ولم يجد احدا يهجوه • نظر في الماء فرأى وجهه القبيح ولم يتمالك فهجا نفسه ••

ارى لى وجها شوه الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله ••

وعندما جاء الاسلام أسرع بالدخول اليه •• يؤرقه حلم المساواة الشاملة • لعله يذوب بين جموعه •• لكن تفرده الوحشي ما لبث أن طغى عليه فارتد في ولاية أبى بكر •• كانت رغبته في الانتساب حارة ، وقافيته شرودا • يقول القصيدة فتشرد في كل الاركان • كان اذا غضب على « بنى عبس » هجاهم وقال انا من :

« **بني ذهل** » • واذا غضب على « **بني ذهل** » هجاهم وقال انا من « **بني عبس** » •• ولان الشعر كان الزاد اليومي فقد خشيه الجميع • وحاولوا توقي لسانه الذي لا ينفح **الا شرا** •

الحطيئة في مأزق !!

جاء الحطيئة يوما الى المدينة وكانت سنة مجدبة تغمر الصحراء بريح الجوع • رأى الجميع قامته القصيرة وهو يسير أمام ناقته يتفرس في البيوت والمضارب حتى جلس على باب المسجد • فزع أشراف المدينة • مشى بعضهم الى بعض • قالوا ••

ـ هذا الرجل شاعر ، والشاعر يظن فيحقق ، وهو يأتي الرجل ويسأله فان اعطاه جهد نفسه وبهرها ومدحه ، وان حرمه هجاه ••

واجمعوا نفسهم أن يجعلوا له شيئا معدا يجمعونه بينهم • فكان أهل البيت من قريش والانصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين دينارا حتى جمعوا له اربعمائة دينار •• وظنوا ان هذا كافيا •• واعطوها له •• لكنه ما لبث أن هجاهم واسرع بالانصراف •

كان يمقت نفسه • يمقت أمه التي جاءت به سفاحا • ويمقت كل القبائل التي تعتز بأنسابها وتظل تتسلسل حلقاته حتى تصل الى « **اسماعيل** » ويمقت الذين يعطونه العطايا خوفا منه •• ويمقت المديح الذي يقوله لمن ليس أهلا له ••

عاش يجوب الجزيرة كلها مثل وحش الفلاه •• والقبائل تردد شعره وتداري خوفها والشعر الذي لا عيب فيه ـ كما يقول النقاد الاقدمون ـ ينتشر • حتى أن أحد الاعراب يروي أنه كان ذات ليلة يسافر عبر الصحراء فنزل في ضيافة قوم هيئتهم غريبة • قدموا له طعاما لم يجد اسوأ ولا أثقل منه على معدته •• وقال شيخهم لاحد الشبان •

ـ **سامر ضيفنا** ••

فوقف الشاب وأخذ ينشد أشعار « **الحطيئة** » كلها • كلما فرغ من قصيدة تلاها بأخرى • ودهش الاعرابي لهذه الذاكرة الحديدية •• وسأله عن ذلك فقال الشيخ برصانة ••

ـ **نحن من الجن •• وهذا الفتى اخو الحطيئة في عالم الجن** •

وصدق الجميع الحكاية بالطبع • وصدقها ابو الفرج نفسه • وجاء بقائمة طويلة من الاسانيد التي تثبت صدقها •

مرة وحيدة تعرض فيها « **الحطيئة** » لمأزق حرج بسبب طول لسانه • وكانت هذه المرة مع امير المؤمنين **عمر بن الخطاب** •• كان مثل أى حاكم لا يكن احتراما لهذا النوع من الشعراء • ويسمع اعراض المسلمين وهي **تسب كل يوم**

ويشهر بها •• ولعل أنباء ارتداد الحطيئة قد تناهت اليه وتندره عندما ولي « **ابو بكر** » وقال بيتين شهيرين يعلن فيهما تنصله :

اطعنا رسول الله اذ كان بيننا ••
فيا اهل حب الله ما لابي بكر

ايورثها بكر اذ مات بعده ••
وتلك لعمر الله قاصمه الظهر

وكان الحطيئة قد هجا أحد ولاة المسلمين ويدعى « **الزبرقان بن بدر** » هجاء فاحشا • وسب امرأته وأهله •• جاء الوالي الى عمر بن **الخطاب** يشكو ، وروى الشعر • استشار عمر من حوله فاقروا شكوى الزبرقان • وكانت حجة مناسبة للقبض على الحطيئة • فقبض عليه ووضعه في بئر عميق ووضع عليه غطاءا ثقيلا واقسم ان يريح المسلمين من شر لسانه ••

وظل الحطيئة حبيس البئر • يقول الاشعار ، ويتوسل أن يفرج عمر عنه • وللمرة الاولى عرف اللسان العصي طعم التوسل • جاء **عمرو بن العاص** يتوسل للخليفة •• فقال :

ـ **ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء أعدل من رجل يبكى على تركه الحطيئة** ••

أمر الخليفة فأخرجوا الحطيئة من البئر ، ووقف أمامه وأمام الجميع مقيدا منكس الرأس • قال عمر :

ـ **على بالكرسي** ••

جاؤا بكرسي فجلس عليه في مواجهة الحطيئة واشار اليه باحتقار :

ـ **اشيروا على في الشاعر • فانه يقول الهجو • وينسب بالحرم • ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم • ما أراني الا قاطعا لسانه** •

وأمر من حوله على بالطست •• جاؤا به ووضعوه بينهما قال :

على بالسكين • لا بل على بالموسى فهي أسرع ••

أمسك الحرس برأس **الحطيئة** • ضغطوا بأصبعهم على وجنتيه حتى انفتح فمه رغما عنه وسال لعابه وتدلى اللسان الذي قال عشرات الابيات مدحا وهجاء وتشفيا • لكن **عبد الرحمن بن عوف** وقف بين الموسى واللسان المتدلي وهتف :

ـ يا عمر .. سوف تكون سنة تتداول من بعدك .

وتوقف عمر . خفت صوت الحاكم القوى . والموقف الدليل الذى عاشه الشاعر أقسى من أن يحتمل .. ولو أن عمر فعلها . لكانت السنتنا كلها مقطوعة لاوهى الاسباب !..

قال عمر مهددا :

ـ اياك وهجاء الناس ..

قال الحطيئة وقد اقترب من النجاة :

ـ اذا يموت عيالى جوعا . هذا مكسبى . ومنه معاشى .

ـ فاياك والمقذع من القول ..

قال : وما المقذع ؟..

ـ ان تخاير بين الناس فتقول فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ..

قال الحطيئة وقد بدأ يستعيد وقاحته :

فانت والله اهجى منى

قال عمر مغتاظا :

ـ والله لولا ان تكون سنة لقطعت لسانك ولكن اذهب .. فانت له . خذه يا زبرقان .

ووضعوا العمامة حول رقبته وسحبوه منها . وظلت الوفود الحاضرة تتبادل السخرية به .. حتى تركوه الخير في الصحراء . المكان الوحيد الذى كان يشعر فيه بالامان .

ورغم ان عمر بن الخطاب قد استرضاه بعد ذلك وأراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة الاف درهم . الا أن هذا الحادث ترك في نفسه أثرا عميقا . وزادت درجة توحشه . وازدادت درجة تباعده عن الاسلام .. لعله وجد السبب الذى ينشده .. كان يأخذ زوجته وابنه ويطوف أحياء العرب , ويجلس في أطرافها ، ويطلب الا يكلمه أحد . ولا يزوره أحد . ولا يتشبب أحد ببناته .. وكلما ذكر عمر ارتعدت مفاصله حتى بعد أن مات الخليفة . ازدادت أيضا درجة بخله وأصبح يفزع من استقبال الضيوف ، وأخذ يتندر على سذاجة « حاتم الطائى » الذى قاده الكرم الاحمق الى الافلاس حتى أوشك أن يذبح ابنه ذات ليلة .. ورأى جثة أمه وهى ميتة . متيبسة الاعضاء . تساءل : كيف يمكن أن تضاجع هذه المرأة أشراف القبائل . وكيف يمكن أن يكون هو سليلهم .. كانوا يقابلونه فيسألونه :

ـ يا حطيئة .. من اشعر الناس ؟

فيخرج لسانه كأنه لسان الحية .. ويقول :

ـ هذا اذا طمع .

ثم يهتف :

ـ انى اعوى في أثر القوافي عواء الفصيل الصادى ..

بين الله والناس

ويقول النقاد القدامى كعادتهم عندما يطلقون الاحكام القاطعة .. ولم تقل العرب بيتا اصدق من قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ..

لا يذهب العرف بين الله والناس ..

ويروون أن احد احبار اليهودية كان يستمع للشعر فلما ذكر امامه هذا البيت . هتف مدهوشا ..

ـ والذى نفسى .. بيده .. ان هذا البيت لمكتوب في التوراة .

نهاية مضحكة !

وعندما جاءت النهاية كان قد اصبح شيخا محطما . لم يبق فيه نشطا الا لسانه .. اجتمع قومه حوله .. قالوا :

ـ يا أبا ملكيه (ومليكه هو اسم ابنته) .. أوص .

قال : ويل للشعر من راوية السوء

قالوا : أوص رحمك الله يا حطيئة ..

ـ ابلغوا غطفان أن الشماخ شاعرهم هو اشعر العرب اذ يقول ..

اذا أنبض الرامون منها ترنمت ..

ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز ..

قالوا : ويحك . اهذه وصية . اوص بما ينفعك .

ـ ابلغوا أهل ضابىء انه شاعر حيث يقول ..

لكل جديد لذة غير انني

رأيت جديد الموت غير لذيذ ..

قالوا : اوص ويحك بما ينفعك .

ـ ابلغوا أهل امرىء القيس انه اشعر العرب .. حيث يقول .

فيالك من ليل كان نجومه

بكل مغار الفتل شدت بيذبل

قالوا ٠٠ اتق الله ٠ ودع عنك هذا ٠٠ هذا لا يغني عنك شيئا ٠٠

لكنه اخذ يتمتم بصوته الاجش ٠٠

- الشعر صعب وطويل سلمه

اذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه ٠٠

قالوا يا ابا مليكه ٠٠ ألك حاجة ؟٠

- لا والله ٠٠ ولكن اجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له اهلا

قالوا : فمن اشعر الناس ؟٠٠

اشار الى فمه واخرج لسانه وقال :

- هذا اذا طمع في شيء ٠ او اذا استعبر باكيا ٠٠

قالوا : قل لااله الا الله ٠٠

فأشاح بوجهه ٠٠

قالوا : ما تقول في عبيدك ؟٠٠

- هم عبيد ٠٠ اقنان ٠ ما عاقب الليل النهار ٠

قالوا ٠٠ فأوص للفقراء بشيء ٠

- اوصيهم بالالحاح في السؤال ٠ فانها تجارة لا تبور ٠

قالوا ٠٠ فما تقولفي مالك ؟٠

قال ٠٠ للانثى من ولدى مثل حظ الذكر ٠

قالوا ٠٠ ليس هكذا قضى الله جل وعز لهن ٠

- لكن هكذا قضيت ٠٠

قالوا ٠٠ فما توصى لليتامى ٠

- كلوا اموالهم ٠٠ وانكحوا امهاتهم ٠

قالوا ٠٠ فهل شيء تعهد فيه غير ذلك ٠

قال ٠٠

- نعم ٠ تحملونني على اتان ٠ وتتركوني راكبها حتى اموت فان الكريم لا يموت على فراشه ٠ والاتان مركب لم يمت عليه كريم قط ٠

كانت النهاية مضحكة بعض الشيء ٠ حملوه على حمار وجعلوا يطوفون بين مضارب الحى ٠ يتبعه سرب من الاطفال المتصايحين والشيوخ الذين يؤكدون انها علامة الساعة ٠

واختبأت النسوة الحوامل حتى لا تنطبع صورته البشعة في اذهانهن ٠٠ وظل هو يهرف بكل الاشعار التى قالها والتى حفظها حتى مات ٠

التخدير بالكهرباء بدلا من البنج

● المواد المخدرة المستخدمة في العمليات الجراحية قد تكون قاتلة احيانا بالنسبة لعدد من المرضى ٠٠ لذلك يبحث العلماء منذ وقت طويل عن اساليب جديدة تفي بالغرض ، بلا اثار سلبية على المريض ٠

وفي فرنسا توصل فريق من العلماء الى اسلوب كهربائي للتخدير وازالة الالم مؤقتا يعتمد على توجيه ثلاثة تيارات كهربائية الى راس المريض تنتقل الى المخ بواسطة سلك مغروس بين الحاجبين واطلقوا على ذلك اسم تيار (ليموح) نسبه لاسم المخترع ٠ والغريب أن فريق الباحثين الفرنسيين لا يعرف حتى الان سبب انعدام الالم عند المريض بعد توجيه هذه التيارات ٠

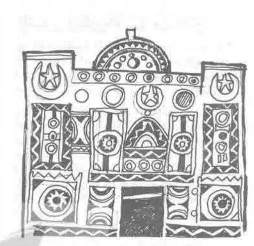
وبغض النظر عن التفسيرات المختلفة فان الشيء المؤكد ان الكهرباء تؤدى الى حالة تشبه التعرض لوسائل التخدير المستخدمة الان ٠٠ ومن محاسن هذا الاسلوب ان اثره يستمر سبع ساعات ٠ ومازال البحث يجرى من أجل التاكد من سلامة التخدير بالكهرباء ٠ وانعدام اية آثار جانبية له ليصبح البديل للاساليب التخديرية الحالية ٠

التليفزيون يفتح الشهية

● دلت الاحصائيات في امريكا وفرنسا على ان كل من يجلس طويلا امام التليفزيون يزيد وزنه بمعدل ٢ كيلو جرام في الشهر عن وزنه الطبيعى والسبب لا يرجع الى ان جهاز التليفزيون يرسل اشعاعات تزيد من نسبة الدهون في الجسم ٠٠ ولكن السبب ابسط من ذلك ٠٠

فالتليفزيون يفتح الشهية لتناول الطعام والدليل على ذلك ان طبيب الاطفال ينصح الام دائما بأن تقدم لابنها وجباته امام جهاز التليفزيون لانه يشغل الذهن ويجعل الطفل بصفة خاصة والانسان العادى بصفة عامة ينسى مذاق الطعام ويقبل عليه تلقائيا لانه يتناول كميات من الاطعمة اكثر من طاقته ٠ ايضا الجلوس امام التليفزيون يكسب الفرد نوعا من الكسل وبالتالى يصاب بكسل الغدد ، وفي احتراق المواد الغذائية للجسم ٠٠ هذا بالنسبة للفرد الامريكى والفرنسى والاوروبى بصفة عامة ٠

شوارع لوجه الكريم



في معظم عواصم العالم ـ وخاصة تلك المزدحمة بالعمران ـ يصعب انتزاع الملكية الخاصة بهدف تنفيذ بعض المنافع العامة ، كالشوارع والميادين والمتنزهات العامة وما يماثلها ، وخاصة أن بعض الحكومات يردعها بهظ التعويضات الواجب دفعها الى أصحاب الاملاك المراد نزع ملكيتها منهم . فتحجم عن تنفيذ المشروعات النافعة والحيوية للبلاد ..

وكثيرون ممن يملكون العقارات المراد نزع ملكيتها للمنافع العامة يغفلون عن التنبؤ بما يؤدى اليه شق الشوارع والميادين من ازدهار اقتصادى يحقق لهم المنفعة العامة . وهو ما جعل بعض أصحاب الاراء ينصحون بوسيلة تحقق فائدة للجميع ، وتقنع المترددين باهمية مشروعات المنافع العامة ..

حدث في أيلول (سبتمبر) ١٩١٠ ، ان كان المحامى المصرى القديم عزيز خانكى في زيارة لاستانبول فدعاه الامير سعيد باشا حليم ـ وكان صدرا أعظم او رئيسا لوزراء تركيا ـ لتناول العشاء بسرايه ببنى كوى معه ، ومع بعض كبار رجال الدولة . وفي أثناء تناول العشاء سأل الصدر الاعظم ضيفه عما استوقف نظره في حالة الاستانة ، وعبر الضيف عن دهشته الشديدة لاهمال الحكومة في عمل الاصلاحات اللازمة فيها مثل انشاء شوارع جديدة وعمل ميادين عمومية وبناء أرصفة على البسفور ، وانشاء مامن شانه تحسين المدينة وتسهيل طرق المواصلات بين اقسام استانبول المتباعدة الاطراف .

وردا على ذلك قال رئيس الوزراء العثمانى ان المشروعات المعروضة كثيرة جدا ، ولكن يعوزها المال ، والمال يكاد يكون في حكم العدم ، لان المشروعات تتكلف كثيرا ، خاصة المال المطلوب لدفع التعويضات الضرورية للاراضى والمبانى المطلوب انتزاعها من أصحابها لانشاء المنافع العامة عليها ..

قال عزيز خانكى :

ـ وما رأيك اذا كنت أدلك على طريقة تضمن للحكومة تنفيذ جميع المشروعات مجانا لوجه الله الكريم .

فاحدق فيه الامير وقال :

ـ أجد ما تقول ؟! وما هى الطريقة ..

وشرح عزيز خانكى اقتراحه ، وكان يعتمد على خبرة الدول الاوروبية في ذلك المجال آنذاك . ففى بلجيكا وسرعة في تنفيذ مشروعات التنظيم العظيمة ، ولم تجد وسويسرا واسبانيا ، وجدت الحكومات فيها سهولة من العمل بها شكوى من أحد ، وانست بالعكس من السكان ميلا عظيما لتأييدها . ذلك أن الحكومة اذا أرادت انشاء شارع فبدلا من أن تنتزع ملكية أرض عرضها عشرون مترا ، تنزع ملكية أرض عرضها اربعون مترا .. عشرون للشارع وعشرون لها (عشرة امتار من كل جانب) ، فالعشرون الاولى تخصص للشارع ، وتدفع الحكومة ثمنها بحسب قيمتها وقت نزع الملكية ، والعشرون مترا الاخرى تهدم الحكومة المبانى القائمة عليها ثم تبيع أرضها للاهالى على أن تعطى الاولوية في البيع الى صاحبها الاصلى .. وقد دلت التجربة على أن ثمن العشرين مترا الزائدة التى تنزع الحكومة ملكيتها تزيد قيمتها أضعافا مضاعفة بعد انشاء الشارع الجديد ، والفرق بين الثمن الذى تدفعه الحكومة والثمن الذى تباع به يسدد تكاليف فتح الشارع الذى تخصصه الحكومة للمنفعة العامة !..

فاعجبت الفكرة الامير سعيد حليم .. وطلب من صاحبها أن يكتب مقالة عنها لجريدة تركية معروفة ، فقام على الفور وكتبها ، ونشرت في نفس الاسبوع ، واهتمت بها صحف الاستانة ، واهتم بها وزير الاشغال العثمانى ، وكتب رجال القانون العثمانيون يحبذون الفكرة ، .. وسرعان ما تحولت الى قانون طبق في تركيا .. واخذت به مصر نفسها بعد سنوات قلائل .. وبنت الحكومة شوارع وميادين مجانا .. ولوجه الله الكريم !!.



هذا الفنان الاسكتلندي العالمي

●● العنف ‥ الموت ‥ العواطف ‥ المشاعر التي يثيرها العنف والموت ، ولا سيما مشاعر التشاؤم واليأس ‥ تحت هذا العنوان الطويل تدور أعمال الفنان الاسكتلندي العالمي المعاصر « روبن فيليبسون » رئيس قسم الرسم والتصوير في كلية الفنون بادنبرة والذي يشغل أيضا منصب رئيس الاكاديمية الاسكتلندية الملكية .

وبلا ادنى مبالغة تستطيع أن تقول أن فيليبسون هو واحد من ستة من الفنانين الاسكتلنديين الاول في هذا العصر ‥

والسؤال لماذا ينفرد فيليبسون بالعنف والتشاؤم في اعماله ؟‥ ربما تكون الاجابة هي اعتلال صحته بصورة تكاد تكون مزمنة .

من اشهر لوحات فيليبسون ثلاثية عنوانها : « الحرق » وهي تعتبر واحدة من سلسلة من اللوحات التي تمثل بجمالها صورة مجازية بصرية أخاذة لاي شيء يحترق ماديا أو عاطفيا . وربما على نحو آثم أيضا ثم تنطفيء شعلته فيموت كما هو الحال في أمر العلاقات البشرية .



اللسان الالي

●● فقدان القدرة على النطق عاهة مؤلمة ‥ فبدون الكلام يتعثر التفاهم مع الاخرين وتتقلص حلقة الاتصال بالمجتمع ‥ والتعبير بالاشارة أسلوب يمكن التغلب به على مثل هذه الحالة ‥ وقد تكون الكتابة وسيلة اخرى .

والبديل للكتابة الطباعة على الالة الكاتبة . وقد ابتكرت جامعة « ساوثمبتون » بجنوب انجلترا آلة كاتبة خفيفة تظهر الكتابة فيها على لوحة ظهرها للكاتب ووجهها للمخاطب فيبقى الاثنان وجها لوجه ‥ وهكذا امكن للمصاب بعاهة في النطق ان يعبر عما يدور في خلده لاكثر من شخص واحد في آن واحد ‥ ولكن استعمال هذه الالة مثير لارتباك المتحدث . وهكذا ـ اخيرا تم صنع ما يمكن ان نطلق عليه (دبوس الصدر المتكلم) وتتالف هذه الالة من لوحة تظهر عليها الكلمات بالانوار من اليمين الى اليسار وتعلق فوق جيب الصدر في السترة ‥ ومن لوحة لدساتين الاحرف تحمل على اليد ـ وتطبع الاحرف على الدساتين فتظهر مضاءة على اللوحة .

وتعمل هذه الالة بالبطارية .



المايسترو العظيم

●● الميدان ‥ اللمسة ‥ العصا ‥ هذه هي كلها ممتلكات سيرجون باربيرولي ‥ القائد الموسيقى البريطاني العظيم الذى استطاع آن ينقل فرقة موسيقية من بلدة صغيرة فرقة هال Halle الى الشهرة في سنة ١٩٤٣ الى أن مات في سنة ١٩٧٠ .

وهذا التمثال التذكارى صنعه فنان من يوركشاير اسمه « بايرون هاوارد » . وفي التمثال نرى ثلاثة (أشياء) تسيطر على باربيرولي عندما يقود ‥

ولقد أزاحت مؤخرا أرملته الستار عن التمثال الذى يقبع اليوم في بلدية مانشستر ‥

تحية للفنان القائد .

والتر ميللر





لقد تم لها القضاء على الاعداء ، لكنها تحس الآن بالانهاك • وفي الليل، ربضت على الصخرة الشاهقة ، شاحبة ، جامدة ، جريحة • جلست تحت السماء المظلمة ، تتسمع الارض باقدامها ، بينما تتحرك آذانها التي على شكل الاطباق ، حركة منتظمة بايقاع بطيء، تمسح ما يجرى على سطح الارض ، وما يدور في السماء • كانت الارض ساكنة ، بلا نسمة هواء • لا شيء يتحرك ، غير ذلك الشيء الضعيف والممدد داخل الكهف • من حسن الطالع أن شيء ما لا يتحرك • فهي تكره الاصوات والحركات • لقد زرعت هذه الكراهية في عمق كيانها • أما بالنسبة لذلك الشيء القابع في الكهف ، فليس هناك ما يمكن عمله قبل أن يطلع الفجر • وارتفع صوت ذلك الشيء ، تتردد تمتمته بين الصخور •

« النجدة •• هل قضى عليكم جميعا ؟ • ألا تسمعونى ؟ •• هذا سواير •• سواير ينادى •• سواير ينادى •• »

لم تكن التمتمات منتظمة • لم يكن لها نظام خاص • لذا فقد تجاهلتها ، ورفضت الاستماع اليها • لقد تشبع كل شيء بالرطوبة والبرد • مضت الشمس ، وبدأ الليل الطويل الذى يمتد الى مائتى وخمسين ساعة ، تسودها الظلمة ، باستثناء ذلك الضوء الخافت لفلك السماء ، والذى لا يصلح غذاء لها •

جلست جريحة على الصخرة الشاهقة في انتظار العدو • لقد اتى مهاجما من خارج عالمها خلال الساعات الاخيرة من بعد الظهيرة • أقبل بصفاقة ، بلا مناورات دفاعية ، أو نيران هجومية • لقد حطمتهم جميعا بكل سهولة ، أولا الركام المتحرك للعدو الذى يقمقع على عجلاته ، ثم الاعداء الصغار الذين هرولوا خارجه • لقد نجحت في اصطيادهم واحدا بعد الآخر ، فيما عدا ذلك الشيء الذى زحف الى داخل الكهف، واختفى في ثنايا أنفاقه •

لقد انتظرت طويلا ظهور ذلك الشيء من الكهف • ومن موقعها الممتاز على قمة الصخرة الشاهقة ، كان بامكانها أن ترصد المكان على مدى عدة أميال حولها ، الفوهات ، والصخور ، والاخاديد ، والامتداد الواسع للتراب العقيم المجدب الى الغرب ، والاطار الخارجى للموقع المقدس قريبا من البرج المقام في منتصف عالمها • كان الكهف عند أسفل الصخرة الى الجنوب الشرقى منها ، على بعد ألف ياردة • وكان بامكانها أن تحرس مدخل الكهف، بواسطة قاذفاتها الصغيرة المصوبة نحوه، وبهذا يستحيل على هذه البقية الباقية من العدو أن تفر •

لقد مضت تمتمات ذلك الشيء الكريه ، بمثل سأمها آلام جروحها ، وهى تنتظر بصبر نافذ ، ذلك الوقت الذى يمكنها فيه أن تستريح • لقد أثرت جراحها على فعالية حواسها ، واستهلكت الكثير من طاقتها • لم يعد باستطاعتها أن تميز بين الصديق المصالح والعدو • عالمها الآن لا يضم سوى الخصوم والاعداء •

« كولونيل أوبرى ، هذا هو سواير، أجبنى • أنا محاصر في أحد مخازن الذخيرة أعتقد أن الآخرين قد ماتوا •

لقد انقضت علينا بمجرد اقترابنـا منها . سواير ينادى أوبرى .. سواير ينادى أوبرى . هل تسمعنى ؟ . لقد بقيت لدى اسطوانة اكسجين واحـدة فقط . كولونيل . أجبنى ! » .

مجرد ذبذبات صوتية بين الصخور .. ليس أكثر من هذا .. مثيرات ضعيفة لا تعكر هدوء العالم المقدس الذى تحرسه . لقد تحطم العدو ، فيما عدا ذلك الاثر الباقى في الكهف . وقد تم تجميد ذلك الشيء ومنعه من الحركة .

أخذ غضبها يتصاعد نتيجة لآلام جروحها ، ولم يكن في مقدورها ايقاف اشارات التعطل الواردة من اعضائهـا الجريحة . كما لم يكن بامكانها أن تقوم بالاجـراءات التى تلح تلـك الاشارات على القيام بها . بقيت فوق الصخرة الشامخة ، تعانى ، وتمضغ الكراهية . لقد كرهت الليل ، فلا طعام بالليل . هى تلتهم الشمس كل نهار ، لتدعم طاقاتها في مواجهة الليل الطويل .. وقبل أن يطلع الفجر ، تشعر بالضعف يدب في أوصالها ، ويتضاعف نهمها الى الشمس . من حسن طالعها ، أن الهدوء والسلام عادا ليسودا عالمها هذا الليل ، حتى يمكنها أن تحافظ على رصيدها من الطاقة ، وتحمى أوعيتها من البرد . اذا تسلل البرد خـلال الطبقة العازلة الى داخـل جسمهـا ، سرعان ما تطلق أجهـزة الاستقبـال الحرارية اشارات التحذير ، ويتضاعف بهذا عذابها . كان لديها ما يكفيها من العذاب ، وفيما عدا ساعات المعارك ، لم تكن لها من ملذات ، سوى التهـام الشمس .

« انقذونى .. النجدة ! . هذا هو كابتن جون هاربن سواير .. من رجال الوحدة المتحركـة ، بقسم التخطيط والمعلومات ، في حملة الانقاذ القمرية





أنا الذي صنعتك

١٦ .. ألم يبق أحد حيا على سطح القمر ؟ . اسمعوني . أنا مريض . لقد مضى على هنا وقت طويل لا يعلم مداه الا الله ، داخل رداء القمر . لقد بدأت أتعفن ! . اخرجوني من هنا » .

مكان العدو خارج عالمها ، فاذا اقترب متجاوزا حدوده ، يقضي واجبها بقتله . هذه هي الحقيقة الكبرى التي عرفتها جيدا منذ يوم خلقها . لا يسمح بتعدي الحدود الا لمن كانوا من الاصدقاء المعالجين ، غير انهم لم يعودوا يظهرون . أو انها لم تعد قادرة على استدعائهم ، أو التعرف عليهم ، بسبب الجروح التي تعاني منها .

بعد ساعة ، بدأ الشيء زحفه داخل الكهف ، فأخذت تتسمع الى الحفيف الخافت لزحفه فوق صخور الكهف . انزلت واحدة من سماعاتها الحساسة الى الارض تتتبع الصوت . احست أن بقايا العدو تزحف بنعومة تجاه فتحة الكهف ، فوجهت احدى قاذفاتها ، وأطلقت دفقة من اشعاعاتها القاتلة تجاهه .

« ايتها المتوحشة اللزجة ! دعيني في حالي . أنا سواير . ألا تذكريني ؟ . لقد قمت بتدريبك منذ عشرة أعوام . كنت دائما كالعجينة اللينة بين أصابعي ! هاهاها .. دعيني أخرج ». وصمت الصوت قليلا ، ثم قال « أنا صديقك . لقد انتهت الحرب منذ شهور .. شهور قمرية طويلة . ألا تفهمين ايتها (المتذمرة) ؟ (المتذمرة) .. هكذا! أسميتك في مراحل التدريب . ألا تعرفي (بابا) الذي علمك يا بنيتي !؟ » .

أثارت ذبذبات الصوت أعصابها ، وضاعفت غضبها ، فبدأت تتحرك على الصخرة ، تدير جرمها الضخم بوقار . دارت محركاتها بصوت مرتفع ، وانطلقت تهبط سفح الصخرة . عندما وصلت الى الارض المنبسطة ، اسرعت في حركتها ، حتى وصلت الى بعد خمسين ياردة من الكهف . وجهت قاذفاتها الى فتحته ، ثم أطلقت مائتي شحنة من اشعاعاتها القاتلة . وبدون توقف ، وعادت الى مكانها فوق الصخرة .. ساد الهدوء لبعض الوقت ، غير أن سماعاتها الحساسة التقطت آثارا ضعيفة لاجسام تتحرك بعيدا . كانت الاصوات أضعف من أن تسبب ازعاجا.

« سواير ينادي . أنا مصاب . هل تسمعوني ؟ اصابت ساقي شظية من الصخر . النزيف محدود ، ولا يجدي معه الشريط اللاصق . سواير ينادي أوبري . ساضخ الماء في رداء القمر حول الساق ، وأعمل على تجميدها .. سأنقذ ساقي ! » .

★ ★ ★

تربعت فوق الصخرة ، وتوقفت محركاتها ، التي تتسبب حركتها في مزيد من آلامها ، وفي صبر نافذ .. انتظرت مطلع الفجر . غير أن الاصوات الخافتة القادمة من بعيد بدأت تتضح معالمها بشكل يبعث على الغيظ . بهدوء دفعت من جوفها مثقابا ، وارتفع صوت المثقاب وهو يشق الصخر . أعادت المثقاب الى جوفها ، وتدلى منها ميكروفون حساس دقيق داخل الحفرة التي شقها المثقاب .. وراحت تتابع الاصوات البعيدة من جوف الارض .

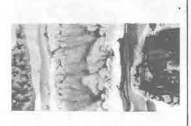
صدر هرير خافت من الصخر ، يختلط بأنين الشيء المرتمي داخل الكهف . وعلى الفور ، أخذت تقارن هذا الهرير بذكرياتها المسجلة داخلها . فتذكرت ، هذا الصوت يصدر عن جسم متحرك على عجلات تجاه الجنوب . حاولت أن ترسل نبضات الاستفهام الاساسية : « هل أنتم أصدقاء ؟ » . غير أن جهاز الارسال كان متعطلا ، فلابد اذا ، أن تكون الاصوات صادرة عن حركة الاعداء . تربصت في غضب انتظارا للمعركة القادمة . وأخذت تهتز بقلق فوق الصخرة . وفجأة التقطت أجهزتها ذبذبات شبيهة بالتي تصدر عن الكهف ، الا انها في هذه المرة تأتي من فوق سطح الارض ، على موجات طويلة .

« مركبة القمر ١٦ .. القيادة تنادي . أسمعنا صوتك » .

ثم ساد السكون . توقعت ردا من الكهف ، فهي تعلم من تسجيلات ذاكرتها ، ان وحدات العدو تتبادل الذبذبات الصوتية . وفكرت في أن الموجات الطويلة قد لا تتمكن من اختراق صخور الكهف ، لتصل الى الشيء المكوم داخله .

« مركبة الانقاذ ١٦ . هنا أوبري . ماذا حدث لكم بحق الجحيم ؟ . هل تسمعني ، أوبري ينادي .. حول » .

تسمعت للاصوات الصادرة من جوف الارض بحرص . لقد توقف لبعض الوقت ، ثم عاد بعد دقائق متصاعدا . أبرزت احدى آذان الاستماع البعيدة المدى ، التي تلتقط الاصوات على بعد عشرين ميلا ، فالتقطت الاذن أصوات الهرير . تحول غضبها الكامن الى حقد نشيط . فادارت محركاتها جميعا ، وهيأت نفسها لمعركة قادمة .



« مركبة القمر ١٦ تنادى . هذا هو أوبرى . اعتقد أن جهاز الاتصال اللاسلكى الخاص بكم لا يعمل . اذا كنتم تسمعونا ، نفذوا التالى . نحن نقترب شمالا ، أبعد بخمسة أميال من مدى قذائف الاشعاع . سنتوقف ونطلق صاروخ استطلاع في المنطقة أحمر — أحمر ، الصاروخ يحمل جهاز التقاط وارسال صوتى . اذا كان لديكم جهازا لقياس الذبذبات الارضية ، ستتمكنون من الاتصال بنا ، عن طريق جهاز الذى يحمله الصاروخ » .

تجاهلت الذبذبات ، وانهمكت في مراجعة اسلحتها القتالية . قامت بالتفتيش على مخازن الطاقة ، وتأكدت من سلامة مفاعلات القذائف . أخرجت من داخلها عينا تراقب بها مدخل الكهف ، انتظرت عشر دقائق حتى انتهت العين من اتخاذ موقعها عند المدخل ، ترصد العدو اذا حاول الخروج ، وترسل اليها بلاغا ، فتقضى عليه بقذيفة اشعاع . ارتفع صوت الهرير الصادر من الارض ، فاستكملت استعداداتها ، ثم تحركت من فوق الصخرة ، متجهة جنوبا بسرعة متصاعدة . مرت ببقايا مركبة القمر التى كانت قد مزقتها ، وقد خرجت منها أحشاؤها ، محركات وأجهزة دقيقة ، لقد شقتها قذيفة الاشعاع الى نصفين ، وكانت بقايا العدو من الاشياء الصغيرة ذات الساقين منثورة حولها على الارض . بدا المشهد معتما على ضوء كوكب الارض ، غير أن (المتذمرة) تجاهلته ، وواصلت طريقها الى الجنوب .

فجأة . التمعت في الافق الجنوبى ومضة خاطفة . ثم ارتفعت في الفضاء نقطة من اللهب تتجه أعلى ، عابرة السماء . توقفت (المتذمرة) وتابعت مسار النقطة . انها قذيفة صاروخية ، ستسقط حسب معلوماتها في النصف الشرقى من منطقة أحمر — أحمر . لم يكن الوقت المتاح ليسمح باصطياد القذيفة واسقاطها بأسلحتها . انتظرت ، وقدرت أن القذيفة ستنفجر بلا خسائر ، في منطقة عديمة الاهمية . غير أن القذيفة — بعد عدة ثوانى — توقفت في الفضاء ، وغيرت اتجاهها معتمدة على محركاتها النفاثة ، واختفت في جهة ما بعيدا عن عيونها ، خلف بعض التلال . لم يكن هناك أى انفجار . كما لم تسمع أو تلاحظ أى نشاط في المنطقة التى وصلت اليها القذيفة . وعادت أصوات الذبذبات .



« مركبة الانقاذ ١٦ .. أوبرى يتحدث . لقد أطلقنا لتونا جهاز الالتقاط والارسال في منطقة أحمر — أحمر . اذا كنتم في محيط خمسة اميال منه ، يمكنكم الاستماع » .

على التو ظهرت استجابة ، استمعت اليها أذن (المتذمرة) قادمة من الكهف .

« شكرا لله . هاهاها . شكرا لله » .

في نفس الوقت استمعت أذن أخرى الى نفس الذبذبات ذات الموجة الطويلة من ناحية المنطقة التى هبط الزيـ... الصاروخ . توقفت (المتذمرة) حائرة لبعض الوقت ، ودفعتها حيرتها الى اطلاق قذيفة اشعاع على مصدر الصوت، غير أن الاذن الموجهة الى موقع سقوط القذيفة ، لم تسجل أى حركة هناك . فكرت ، ان العدو الرابض الى الجنوب هو مصدر الازعاج الاساسى ، فاذا استطاعت القضاء على العدو الرئيسى أولا ، سهل عليها بعد ذلك ان تزيح مصادر الازعاج الاخرى .

« أوبرى يتحدث . اسمعك بصعوبة من الذى يتكلم ؟ » .

« اوبرى . هذا صوت . صوت حقيقى أم اننى فقدت عقلى » .

« هنا أوبرى . هنا أوبرى . كفى هذيانا واخبرنى من أنت . ما الذى يحدث عندك . هل تمكنتم من ابطال حركة (المتذمرة) ؟ » .

كان رد الفعل الوحيد صرخة ألم أطلقها سواير .

« اسمع . أنت سواير . لقد عرفتك تماسك يا سواير . ما الذى حدث ؟ » .

« موتى . كلهم موتى . ما عداى . هاهاها » .

« أوقف ضحكاتك الغبية هذه » .

تبع هذا صمت طويل ، ثم تكلم سواير بصوت خفيض ، يصعب سماعه بسهولة : « وهو كذلك . سأتماسك . هل هذا هو أنت حقيقة يا أوبرى ؟ » .

« سواير . كيف أنت ؟ هل أصبت بالهلوسة ؟ . نحن نجتاز المنطقة أحمر في مركبة قمرية . والان ، اخبرنى بتفاصيل الوضع . نحن نحاول الاتصال بكم منذ عدة أيام » .

« لقد استدرجتنا (المتذمرة) عشرة أميال داخل المنطقة أحمر — أحمر ، ثم عاجلتنا بقذيفة اشعاعية » .

« وجهاز (ى.ف.ف.) المخصص للاتصال بها . هل تعطل لديكم ؟ » .



الذى صنعتك

« لا • ولكن جهاز الاستقبال عند (المتذمرة) لا يعمل • بعد أن أرسلت قذيفتها الى مركبتنا القمرية • أخذت تلاحق الاربعة الذين نجوا من المركبة بقذائفها • هاهاها • هل شاهدت يوما دبابة ثيرسان تطارد فأرا ايها الكولونيل ؟ » •

« كفى • سواير ، ضحكة أخرى ، وأتركك لحالك » •

« أرجوك • اخرجنى من هنا • ساقى اخرجنى من هنا » •

« ساقي • لقد جرحت • واضطررت الى ضخ الماء في رداء القمر حول الساق ، ثم تجميدها • لقد ماتت ساقى الآن • لا استطيع البقاء هنا طويلا » •

« سواير • وضعك يا سواير • وضعك ، وليس آلامك وأوجاعك » •

توقفت (المتذمرة) بأسلحتها وأجهزتها على أهبة الاستعداد • تتصنت على الذبذبات المتبادلة • المدو يتحرك الآن ببطء ، الى الشمال تجاه منتصف عالمها • كان من الممكن تحطيمه لو أن جهاز القذائف الصاروخية بها لم يتعطل • أما القذائف الاشعاعية ، فمداها خمسة وعشرين ميلا فقط • ورغم أن القذائف الصغيرة يمكنها أن تلحق بالعدو في مكانه الحالى ، الا أن كفاءة التصويب ستصل الى الصفر على هذا البعد • يجب عليها أن تنتظر اقتراب العدو ، حتى يدخل الى نطاق القذائف الاشعاعية •

« اسمع يا سواير • اذا كان جهاز (ى•ف•ف•) عند (المتذمرة) لا يعمل ، لماذا لم تطلق قذائفها الصارخية على مركبتنا القمرية حتى الآن ؟ » •

« هذا هو ما شغلنا نحن • لقد دخلنا المنطقة أحمر ــ أحمر ، ولم يحدث شيء ، اما لان قذائفها الصاروخية قد نفذت ، أو لانها احتبست داخل مجرى الاطلاق » •

« اذا • فنحن مضطرون الى التوقف في مكاننا هذا • للبحث عن مخرج من هذا المأزق » •

« أوبرى • انصت جيدا لكلامى • الحل الوحيد لهذه المشكلة • هو أن تطلب من القاعدة اطلاق صاروخ لاسلكي موجه » •

« لتحطيم (المتذمرة) !!؟ أنت مجنون بلا شك • اذا تحطمت (المتذمرة) ، فمعنى هذا أن كل المنطقة حول الحفارات ستنسف عاليا في السماء، حتى لا تقع الحفارات في أيدى الاعداء •• الا تعرف هذا ؟! » •

« وهل تعنفنى أنتم بذلك ؟ » •

« توقف عن الصراخ يا سواير • هذه الحفارات هى أغلى ما نملكه على القمر • لا يمكن بأى حال المغامرة بفقدها • فهذا هو ما صنعت من أجله (المتذمرة) • اذا ما انفجرت الحفارات •• فحكم الاعدام سينفذ في شخصى قبل أن أهبط بصاروخى الى الارض » •

كانت الاستجابة وسط شهقات البكاء : « ثمانى ساعات من الاكسجين •• ثمانى ساعات فقط ! هل تسمعنى ؟ ايها الغبى القاسى ! » •

☆ ☆ ☆

توقف العدو الذى في الجنوب عن الحركة على بعد ثمانية وعشرين ميلا من التل الذى تتربع عليه • فقط على بعد ثلاثة أميال من مدى قذائفها الاشعاعية • عانت لحظات من الكراهية العميقة • فأخذت تتراقص الى الامام والى الخلف ، بطريقة تكشف عن الاحباط الذى تعانيه ، محطمة الصخور من تحتها ، مثيرة عواصف التراب في الجو • وبدأ شعورها بتناقص رصيدها من الطاقة المخزونة داخلها ، يكبدها المزيد من الآلام •

هدأت لحظات لتجرى تقييما للموقف فتوصلت الى خطة •

شغلت محركاتها ، وتدحرجت ببطء حتى وصلت الى قمة التل ، ثم هبطت بشكل انسيابى على الجانب الآخر منه • اسرعت الى الشمال لمسافة نصف ميل على الارض المنبسطة ، ثم أبطأت حركتها ، وقامت بمناورة دقيقة رغم ضخامة حجمها ، حتى وصلت الى مخزن احتياطى للطاقة ، كانت قد أخفته بعد أن شحنته بأشعة الشمس • اتخذت وضع التغذية ، وأخرجت ملامسها لتتصل بملامس المخزن في مهارة كاملة •

أخذت تتسمع أصوات العدو ، بينما كانت معداتها تعب الطاقة بشراهة من المخزن الاحتياطى • غير أن العدو لم يتحرك وبقي في مكانه • وابتعدت بحرص عن مخزن الطاقة ، فقد كانت مثل هذه المخازن الاحتياطية ، مصدر قوتها خلال الليل القمرى الطويل •

« لا أعلم ماذا أفعل لك يا سواير • نحن لا نجرؤ على تحطيم (المتذمرة) ، ولا توجد قوات أخرى لنا على القمر •

من اقوال الامام على بن ابى طالب :

- من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن •
- الناس اعداء ماجهلوا ••
- آلة الرياسة •• سعة الصدر •
- ثمرة التفريط الندامة ، وثمرة الحزم السلامة •

لا بد أن أتصل بالارض لطلب المعونة. لا يمكن أن أرسل رجالى الى المنطقة أحمر ـ أحمر ، اذا ما كانت (المتذمرة) قد جنت نتيجة لتعطل أجهزة الاتصال بها • مثل هذا التصرف سيعتبر جريمة حقيقية » •

« أرجوك يا كولونيل ! من أجـــل السماء ! » •

« اسمع يا ســـواير • أنت الذى أشرفت عـلى صناعـــة (المتذمرة) وتدريبها • الا تعرف طريقة يمكن بها تعطيل نشاطها • دون أن تحطم منطقة المناجم » •

خيم الصمت • وعادت (المتذمرة) من رحلة التزود بالطاقة • تحركت لعدة ياردات تجاه الغرب ، وأطلقت عدة آذان في مختلف الاتجاهات ، لتستطيع تحديد مكان العدو ، وتتبع حركته بكل دقة • فسجلت الآذان مرة أخرى المزيد من الذبذبات •

« تكلم يا سواير » •

« ساقى • ستقتلنى ! » •

« الا تستطيع التفكير في طريقـــة ما ؟ » •

« نعم • ولكنها لن تفيدنى • سأموت قبل أن يتحقق شىء ما » •

« حسن • دعنا نسمع فكرتك » •

« اضربوا مخازن الطاقة الاحتياطية الخاصة بها • واستدرجوها الى حركة دائمة اثناء الليل » •

« كم ينقضى من الزمن حتى تنفذ طاقتها ؟ » •

« ساعات ! • ساعات طويلة • حتى تعثروا على مخازن الطاقة • وتنجحوا في تحطيمها • ساعات طويلة • أطول مما أحتمل ! » •

« الا تستطيع أن تفكر في حـــل آخر ؟ » •

ـ « نعم • لقد سبق أن ذكرته • أطلب صاروخا لاسلكيا موجهـــا • الا تفهم يا أوبرى ؟ • لقد قتلت (المتذمرة) ثمانية من الرجـــال العـــاملين تحت قيادتك ! » •

« سواير • أنت الذى علمتها ذلك يا سواير » •

عم السكـــون المطبق • وأخـــذت (المتذمرة) تعد منصة الاطلاق للقذيفة الاشعاعية ، وتوجه جهاز الرصـــد استمدادا لاطلاق القذيفة • ثم انطلقت في اتجاه التل بأقصى سرعتها ، وفمها زاخـــر بالموت والدمـــار • ارتفعت أصوات محركاتها ، كالعاصفة الرعدية العاتية ، وأخذت تعدو الى الجنوب ، حتى وصلت الى قمة التل • ومن فوقه ، متزودة بالطاقة الجديدة التى استمدتها حـــديثا ، اندفعت تهبط بالسرعـــة القصوى • وأثناء هذا الاندفاع أطلقت قذيفتها •

« سواير • أنا آسف • ليس أمامنا الآن سوى أن ••• » •

توقفت ذبذبات العدو فجأة، وارتفع جبل من النار تجاه الجنوب • ثم هدأ كل شىء ، وسجلت اذنها ذبذبات الشىء الذى في الـكهف فـــقط • تـــوقفت (المتذمرة) لتقيس ردود فعل قذيفتها انه النصر !! لقد قضت على العـــدو الرئيسى •

مفعمـــة بالسعـــادة • تدحـــرجت (المتذمرة) بكســـل ، واتجهت الى الشمال • الى مركز عالمها • أصبح كل شىء على ما يرام •

« أوبرى • لماذا توقفت عن الكلام كلمنى ايها الجبان • كلمنى • أريد التأكد من أنك تسمعنى » •

بلا هدف ، سجلت (المتذمرة) هذه الضوضاء التى لا تعنى عندها شيئا • وأخذت تدرسها دون جـــدوى • ثم بحركة عابثة •• أخذت تذيعها عـــلى الموجات الطويلة • وجلجل في سكـــون القمر ذلك النداء مرة أخرى « أوبرى لماذا توقفت عن الكلام • كلمنى ايها الجبان • كلمنى • أريد التأكد مـــن أنك تسمعنى » •

صمت الشىء الذى في الكهف • بدت الليلة يعمها السلام من جديد • تلألأت النجوم على صفحة السماء السوداء • لا شىء يتحرك • انه أمر مريح • كان كل شىء على ظهر عالمها الخالى من الهواء يعيش في سلام • لقد حل السكـــون المبارك •

مرة واحدة فقط تحرك الشىء الذى يكمن داخل الكهف • حركات بطيئـــة خافتة ، حتى أن أجهزة (المتذمرة) لم تسجل اصواتها • زحف الى مدخـــل الكهف ، واستلقى هنـــاك ، يسترق النظر الى الوحش الفولاذى الرابض على الصخرة الشامخة •

« أنا الذى صنعتك ! الا تفهمين ؟ أنا الانسان الذى صنعك ! » •

تجمع الغضب داخل (المتذمرة) ، فتدحرجت على الصخـــرة ، وخفضت منصة اطلاق القذائف •

« أنا الذى صنعتك ! » ، رددهـــا الشىء الملقى على الارض أكثر من مرة •

انها تكره الضوضاء والحركـــة • فقد زرعوا هذه الكراهية في عمـــق أعماق كيانها • وبغضب صادق، تكلمت قذائفها •

للبقية الباقية من الليل •• عـــم السكون المبارك •

د. الطاهر أحمد المكى

حفصة بنت الحاج

شاعرة الأندلس

يمثل الدور الذى لعبته المرأة في الاندلس ، في جوانب الحياة المختلفة ، وفي مجال الابداع الادبي بخاصة ، جانبا مشرقا من تاريخ الحضارة العربية هناك .

كانت الحضارة مصقولة ، وللشعر منها جانب متميز ، ولم تجد القوافي تربة خصبة ، خارج مهدها في الجزيرة العربية ، كما وجدتها في هذه البقعة الاوروبية النائية . تقع في أقصى شمال غربى الامبراطورية الاسلامية ، أهلها لاتينيون أو قوط ، ولغتهم مستعربة ، ومع ذلك اخذ الرحالة القزوينى بما كانوا عليه من سهولة في قول الشعر : ان « أى فلاح يحرث بأثوار في شلب يرتجل ما شئت من الاشعار فيما شئت من المعانى » .

كان الشعر للجميع أنشودة الجمام بعد التعب ، من الامير الى العامل ، بعض الامراء قاله على نحو متفرق ، وبعضهم تميز فيه ، وقلة كانت حياتهم نفسها قصيدة ، أعنى بذلك المعتمد بن عباد . كان الحكم المستنصر خليفة مثقفا ، وشاعرا مقلا رقيقا ، يدع مكنه في غزوة ، ويحن الى « صبح » حبيبته وخطيبته ، ثم زوجة من بعد ، فيترنم بأبيات له معزيا نفسه :

عجبت وقد ودعتها ، كيف لم امت
وكيف انثنت عند الفراق يدى معى

فيا مقلتي العبرى عليها اسكبى دما
ويا كبدى الحرى عليها تقطعى

وقاله أناس حظهم من الثراء محدود ، ومن المجد متواضع ، ومن عراقة النسب لا شيء ، وتومىء القابهم التي وصلتنا الى الكثير من هذا ، كابن اللبانة ، أى التى كانت تبيع اللبن ، ومهجة بنت التيانى ، أى الذى كان يبيع التين ، وابن السقاط ، أى الذى يبيع السقط من المتاع ، وغالب بن رباح الحجام ، ومهنة الحجامة لا تحتاج منى الى تفسير ، واخرون غيرهم كثيرون .

وكان للمرأة حظ وفير منه ، وهى ميزة فاق بها الاندلس غيره من أصقاع الامبراطورية الاسلامية ، ولقد أوقف المقرى التلمسانى فصلا كاملا من كتابه نفح الطيب ، الجزء الخامس ، على شاعرات الاندلس ، ولو أن ما أورده عنهن كان مقتضبا للغاية ، رغم أنهن بلغن خمسا وعشرين شاعرة ، واذا كن في جملتهن شاعرات جيدات ، في ضوء القليل الذى وصلنا من شعرهن ، فبينهن من بلغت في مجال الاجادة شأوا بعيدا ، ومن فاقت الشعراء النظامين ، وقد قدم المقرى لحديثه عنهن بقوله : « واذ وصلت الى هذا الموضع من كلام أهل الاندلس ، فقد رأيت أن أذكر جملة من نساء أهل الاندلس اللائى لهن اليد الطولى في البلاغة كى يعلم أن البراعة في أهل الاندلس كالغريزة لهم ، حتى في نسائهم وصبيانهم » .

من بين اللائى ذكرهن المقرى شاعرتان تأتيان في المقدمة ، براعة في عالم الشعر ، وتميزا في دنيا الناس ، وتحررا من قيود التقاليد . أما أولاهن فكانت اميرة وابنة خليفة ، وسارت باخبارها الايام شاعرة رقيقة ، وعاشقة جريئة ،

ونالت من الشهرة فوق ما تتمنى ، وما فاقت به معاصريها من الشعراء الرجال ، لانها دخلت عالم المجد عن طريق الحب ، ولم تركب له الكلمة أو البيت ، وكانت ، مع حبيبها ابن زيدون ، روميو وجولييت ٠

وثانيتهن حفصة بنت الحاج ، الركونية ، ولم تنحدر من بيت ملكي ، وكانت أديبة شاعرة ، وجمعت « الجمال والحب والمال » ٠ ورغم أنها لم تحظ في عصرنا الحديث بما حظيت به ولادة درسا وشهرة ، لم تكن على أيامها دونها كانت ملء السمع والبصر ، تقول الشعر ، وتجهر بمكنون الهوى ، وترد ندوات الادب ، وتواجه حولها ضواغط الحياة والتقاليد ، وغطى حديثهما على شاعرة اخرى ، معاصرة لها ، رقيقة ولطيفة ، وتلتقي معها في اكثر من منزع ، وهى نزهون بنت القلاعى ، وان كانت هذه تتجاوزها عمرا بسنوات قليلة ٠ وقد فاقتهما حفصة ، وفاقت الجميع في الحقيقة ، في أن ماروى لها من شعر يفوق ماروى لكل الشاعرات ٠

ولم تكن حفصة شاعرة مجيدة فحسب ، وانما لعبت دورا سياسيا هاما ، تجاوز القول والعقيدة الى المشاركة في التدبير والثورة ، وأسهمت ان لم نقل دبرت في مؤامرة سرية أوشكت أن تعصف بسلطان الموحدين في الاندلس ٠ وكانت على صلة قوية بعدد من كبار الساسة ، ومن رجال المجتمع ، في غرناطة حيث تقيم ، وفي مراكش عاصمة الموحدين ، حين استقر بها المقام هناك ٠

وهى ، الى جانب أخريات قليلات ، يمثلن ظاهرة فذة في تاريخ المرأة المسلمة ، لا في الاندلس وحده ، وانما على امتداد دولة الاسلام ، انها لا تدين بشهرتها للثراء الواسع الذى كانت عليه ، ولا الحسب الرفيع الذى تنتسب فيه ، فمن المؤكد أن غيرها من نساء عصرها كن على مستواها مالا وجاها وحسبا ، ان لم نقل يتفوقن عليها ، وانما يعود تقدير التاريخ لها ، الى أنها امرأة ذات كلمة قوية ، في مواجهة رجال أقوياء ، وبعض مافي شعرها من صراحة يمثل على غيرها خطرا يودى بالحياة ٠ اننا معها بازاء سيدة غير قعيدة البيت ، ولا مهيضة الجناح ، ولا خفيضة الصوت ٠

والى جانب هذا التمرد الاجتماعى فان مؤرخ الادب لا يمكن ان يمر بها عابرا مثلما شيء لم يستطع القدماء أن يفعلوه ، واذا تجاوزنا المقرى التلمساني ولم يكن أندلسى أصلا ، ولا معاصرا لتاريخ الاسلام في الاندلس ، لانه مغربى ولد في تلمسان ، وأمضى حياته في القاهرة ، وفوق ثراها لقى الله ، وفي مقابرها استقر الى الابد ، ومن هنا كان حديثه عنها موجزا ، فان ابن الخطيب ، وكان مواطنا لها ، وجاء بعدها بقرن ، وكان صائب الرأى ، موزون الكلمة ، يقول عنها : « أديبة أوانها ، وشاعرة زمانها ، فريدة الزمان في الحسن والظرف ، والادب واللوذعية » ٠ ويقول عنها أبو القاسم الملاحى ، وهو مؤرخ غرناطى ، « كانت أديبة نبيلة ، جيدة البديهة ، سريعة الشعر » ٠ ويقول عنها ابن دحية ، في كتابه : « المطرب في أشعار أهل المغرب » : « من أشراف غرناطة ، رخيمة الشعر ، رقيقة النظم والنثر » ٠

ولقد دخلت حفصة التاريخ بمواهبها ، وبما كانت عليه من جمال وفصاحة ، وفي المقام الاول لان حياتها اكتسبت طابعا مأسويا ، لقد توزع قلبها رجلان ، كلاهما هام بها حبا ، وتنافسا في الاستئثار بها ، وكان أحدهما أميرا أندلسيا صغيرا يملك ، كأى أمير صغير ، حق الموت والحياة على رعاياه ٠

ولم يقدم لنا المؤرخون معلومات وفيرة ، بل ولا حتى قليلة ، عن طفولتها وصباها ، وكل ما نعرفه عنها ، أنها كانت تعيش في غرناطة ، وتنتسب في أسرة بربرية ، لا يهتم أصحاب التراجم بها وكل ما يذكره ابن دحية المؤرخ عن أبيها أنه كان غنيا ، ومن أعيان المدينة ٠ ويبدو لنا من من نسبة الركوني أنه لم يكن أصلا من غرناطة ، وانما جاءها ، أو أسلافه من قبله ، من قرية صغيرة تدعى ركانة Requena ، بليدة على بعد٦٩ كيلو مترا ، الى الشرق من بلنسية ، وهى منطقة ذات طبيعة ساحرة ، وخضرة ممتدة ، كانت ولا تزال ٠

ولا نعرف متى ولدت ، ولكننا لا نستطيع ان نذهب بهذا التاريخ الى أبعد من عام ٥٣٠هـ ـ ١١٣٥م ، ومن الواضح أنها ولدت في غرناطة ، وفيها أمضت شبابها ، وكانت غرناطة في أيامها الاولى تحت حكم المرابطين ٠

وكغيرها ذهبت الى المدرسة الابتدائية ، أو جاءها

هل تعلم

● ان اشعة الشمس مفيدة جدا ما بين التاسعة صباحا والثانية عشرة وما بين الثالثة بعد الظهر حتى الغروب ٠٠ اختر هذا الوقت لنزهتك يوم الجمعة او لعبتك على أن يكون المكان الذى تلعب فيه قريبا من الاشجار بعيدا عن السيارات حتى لا يضر بصحتك الدخان الذى ينتج عن احتراق الوقود ٠

شاعرة الأندلس

المعلمون الى البيت ، وكان للدراسة الابتدائية في الاندلس مفهوم أفضل مما كان عليه عند المشارقة ، فبينما هؤلاء يأخذون أطفالهم بالحفظ دون فهم ، كان الاندلسيون يهيئون تلاميذهم فيه للفترة اللاحقة ، فهم يقرأون ويفهمون ويحفظون ، ويجمعون من القرآن والشعر واللغة ، أى أن الجانب الادبى من التعليم لم يكن مهملا •

وكان الهدف من تعليم البنت في الاندلس ، كما هو في جميع البلاد المتحضرة ، أن تصبح معه لطيفة محببة الى النفوس ،ولترقية عقلها ، وتكوينها في الادب بعامة ، وفي الشعر والموسيقى بخاصة ، وليس في الحسبان أن تصبح معه عاملة ، أو أن يكون طريقها للعيش ، وكان متاحا لها أن تكون كذلك دون حاجة الى تعليم • ويمكن القول بأن الزاد الثقافي الذى عاشت عليه حفصة طفولتها وصباها يدخل في نطاق الادب بمفهومه في العصر الوسيط، أى الالمام من كل شىء بطرف ، أو هى الثقافة كما نراها الان ، وقد حدد لنا ابن دحية دورها في هذا المجال . فهو يقول : « انها كانت تنشد الشعر ، وتكتب النثر في رشاقة » ، ولم يصلنا من نثرها شىء ، لنتأكد من قولة صاحب « المطرب في أشعار أهل المغرب » •

ومهما يكن من شىء ، فقد جاءت حفصة الى الحياة ، والمرأة الاندلسية تعيش فترة زاهرة ، جاء بعضها ارثا من عصر الطوائف ، حين شاعت الحرية ، ومس خيرها ، أو شرها ، الناس جميعا ، وجاء بعضها اكتسابا من عصر المرابطين ، وعلى غير ما يظن عامة الناس ، احتلت المرأة في عصر المرابطين ، وهم بدو قدموا من الصحراء ، ورجال دين محافظون ، مكانا أعلى مما تحتله في أى مكان اخر ، فكانت عندهم على مستوى المرأة في الاندلس ، أو حتى أرقى ، والدور الذى لعبته « زينب » في دولة المرابطين ، لا يقل أهمية عما قامت به السيدة « صبح » على أيام الحكم الثانى زوجها ، أو هشام المؤيد ابنها ، أو عن الدور الذى قامت به اعتماد الرميكية في دولة المعتمد بن عباد • وقد ادى ذلك الى معارضة عنيفة لدى الفقهاء ، وهم الذين استدعوا يوسف بن تاشفين لكى يبقى في الاندلس ، ويزيح ملوك الطوائف هؤلاء ، وهم الذين كانوا وراء سقوط دولة المرابطين ، عندما لحظوا أن النساء فيها يلعبن دورا أكثر مما يجب ، ومما يراد منهن • وحين جاء الموحدون على أنقاضهم حدثت ردة ضد حرية المرأة هذه ، وان لم تستطع ان تاتى عليها تماما ، في الاندلس على الاقل •

هل يمكن القول بأن هذا التطور كان له تأثير في نفسية حفصة ؟••

على أية حال نحن نلمح أنها ، وبرضى والدها ، كانت تتمتع بحرية كاملة، وأن والدها كان سعيدا بانها تستخدم مواهبها ، وتعبر عن ذات نفسها ، ولا عليه بعد ذلك ، أن يرضى الاخرون أو يغضبوا •

●●●

عاصرت حفصة كل المحن التى تعاورت غرناطة ، من سقوط دولة المرابطين الى قيام دولة الموحدين ، وما يصيب المدن خلال هذه الاحداث ، من فقدان الامن ، وشح الحياة ، ولم تعرف المدينة هدوءا تزدهر معه من جديد ، الا مع انتصار الموحدين نهائيا ، واستقرار دولتهم بها ، عام ٥٤٩هـ ـ ١١٥٤م ، وليس ثمة شك أن أحداث الحروب ، وما يصحبها ، تركت في نفسها ، وهى الاديبة الاريبة ، الذكية الفطنة ، رقة في المشاعر ، وعمقا في التجربة ، واحتقارا للحياة ، وجرأة على المواقف •

والى هذه الفترة ، وعمرها يتأرجح حول العشرين ، سوف تلتقى بفتى من بنى سعيد ، وهى أسرة عريقة تقيم في قلعة تحمل اسمهم ، على مقربة من غرناطة ، وشهرت بالعلم والادب والثراء ، وسوف يدخل التاريخ معها تحت أسم متميز : أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد ولا نعرف كيف التقيا ، ولا أين فما أسهل ان يلتقى شاعر وشاعرة في مجتمع يطرب للشعر ، ويجل الشعراء ، ويهزه الانشاد الجميل • وكان أبو جعفر ، الى جانب أنه شاعر رقيق ، وأديب متميز ، صاحب لهو وحياة ، وفلسفة تنم عن أبيقورية متمكنة • وحين استقل أبوه بقلعتهم في الفترة بين سقوط المرابطين وقدوم الموحدين اتخذه وزيرا واستنابه في أموره ، فلم يصبر على ذلك ، واستعفى فلم يعفه ، وعتب عليه أن يركن الى الراحة في مثل هذه اللحظات الحاسمة ، فكتب اليه الابن شعرا :

مولاى ! في اى وقت
أنال في العيش راحة
ان لم أنلهما وعمرى
ما ان أنار صباحه
وللملاح عيون
تميل نحو الملاحة
وكان راحى ما ان
تمل منى راحة
والخطب عنى أعمى
لم يقترب لى ساحة
وانت دونى سور
من العلا والرجاحة

فاعفني واقــلني
مما رأيت صــلاحه

ما في الوزارة حــظ
لمن يريد ارتياحه

كل وقال وقيــل
ممن يطيـل نباحـه

انني اتي مستقيئا
فاترك ـ فديت ـ سراحه

فلما قرأ أبوه الابيات رأى الا فائدة في أن يكلفه بما ليس مهيئا له ، فوقع على ظهر ورقته : « قد تركنـا سراح أنسك ، والحقنا يومك بأمسك » .

كان أبو جعفر شاعرا فنانا ، لم يخــلق للادارة او الحــكم ، أو الحرب والطعن ، يمضي مع اهوائه دون قيد ، ويستجيب لرغائبه حتى الثمالة ، ويكره أن يرى نفسه مقيدا في وظيفة ، ولكن .. قد تجنى على المرء مواهبه !. ذلك أن الامر لم يكد يستقر للموحدين ، ويرسل الخليفة الموحدى في مراكش ابنه السيد أبا سعيد أميرا على غرناطة ، حتى يطلب هذا ، ارضاءا لاهلها ، وضمانا لولائهم ، وزيرا منهم ، من خيرة بيوتاتهم ، فلا يجد غير أبي جعفر ، فولاه الوزارة ، أو الكتابة بلغة العصر الوسيط ، وحاول أبو جعفر أن يستعفى فلم يسمع له ، فضاق بالمنصب ، وكره أن يكون كاتبا لمن يرى نفسه خيرا منه ، وطوى نفسه على مضض .

كان عسيرا أن تصفو الحياة بين أمير قــادم مــن الصحراء ، جا في الطبع ، بدوى الشمائل ، وبين شاعر غزل ، رقيق الحواشي ، صداح النغم ، يطرب لكـل فاتن ، وتهفـو نفسه لكـل جميـل ، وبدا ما أضمره أبو جعفر في نفسه سرا مكتوما ينضح في شعره . خرج ذات ليلة مع رفقة له ، في رحلة صيد ، وكان اليوم غائما وباردا ، ولما اشــتد البرد مالوا الى خيمة حــارس البســتان ، وجعلوا يصــطلون ويشربون عــلى ما اصطادوا فحمل أبو جعفر بقية من سكر على أن يصـف يومه ، ويستطرد بما في نفسه :

ويوم تجلى الافق فيه بعنبر
من الغيم ، لذنا فيه باللهو والقنص

ثم يختم الابيات :

فقل لحريص ان يراني مقيدا
بخدمته لا يجعل الباز في القفص

وما كنت الا طوع نفسي فهل ارى
مطيعا لمن عن شاو فخرى قد نقص

فكان من حفظ هذين البيتين ، ووشى بهما الى أمير غرناطة ، فعزله عن منصبه أسوأ عزل .

●●●

لم يكن جمال حفصة وحده هو الذى شد اليها قلب أبي جعفر ،فلا شك أن غرناطة كانت حافلة بالجميلات ، اولئك اللائي وصفهن لنا لسان الدين بن الخطيب بعد قرنين من الزمان بأنهن : «جميلات ساحرات ، ناعمات الاجسام ، مرسلات الشعور ، نقيات الثغور ، طيبات النشر ، خفيفات الحركة ، نبيلات الكلام ، حسناوات المحاورة ، يعنين بزينتهن عناية بالغة » ، وانما كانت تتمتع الى جانب جمالها بمزايا عقلية وعاطفية فائقة ، شدت اليها انتباه هذا الرجل المتحضر الرقيق ، لقــد كانت شاعرة عذبة ، وفتاة جريئـــة ، تود أن تراه ، فتعرض عليه أن يجيء ، أو تذهب اليه ، وتصف نفسها ، وتلح عليه : أنا في انتظارك يا جميل ! :

ازورك أم تزور فان قلبي
الى ما تشتهي ابدا يميل

فثغرى مورد عذب زلال
وفرع ذؤابتي ظل ظليـل

شاعرة الأندلس

وقد أملت ان تظما وتضحى

اذا وافى اليك بى المقيل

فعجل بالجواب فما جميل

اباؤك عن بثينة يا جميل

وبدأت أشعارها تتردد في المجالس ، واشتهرت شاعرة رقيقة ، حتى أن امرأة من أعيان غرناطة رجتها أن تكتب لها شيئا بخطها ، فكتبت اليها :

يا ربة الحسن ، بل يا ربة الكرم

غضى جفونك عما خطه قلمي

تصفحيه بلحظ الود منعمة

لا تحفلى برديء الخط والكلم

لا نملك أشياء كثيرة عما كان يجرى بين شاعر وشاعرة ألف بينهما الحب ، وربطت بين قلبيهما الصبوة ، غير أشعار متفرقة تومىء الى أن الصلة بينهما كانت قوية ، وأن حفصة كانت تتحمل بازاء حبها مسئوليتها كاملة ، ولم تكن تخفى منها شيئا ، نعرف أنها باتت مع أبى جعفر في بستان بحوز مؤمل ، على مقربة من غرناطة ، « على ما يبيت به الروض والنسيم ، من طيب النفحة ونضارة النعيم » ، فلما حان الانفصال قال أبو جعفر :

رعى الله ليلا لم يرح بمذمم

عشية وارينا بحوز مؤمل

وقد خفقت من نحو نجد اريجة

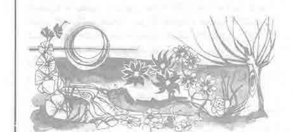
اذا نفحت هبت بريا القرنفل

وغرد قمرى على الدوح وانثنى

قضيب من الريحان من فوق جدول

يرى الروض مسرورا بما قد بداله

عناق وضم وارتشاف مقبل



ولم تشاركه تفاؤله ، كانت تعرف بغريزة الانثى ، أن الناس غيرى من حبهما ، وأن حسن الظن ليس رشدا ، فكتبت اليه :

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا

ولكنه أبدى لنا الغل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحا لقربنا

ولا غرد القمرى الا لما وجد

فلا تحسن الظن الذى انت اهله

فما هو في كل المواطن بالرشد

فما خلت هذا الافق ابدى نجومه

لامر سوى كيما تكون لنا رصد

لقد عرف الادب العربى المرأة مطلوبة لا طالبة ، وموصوفة لا واصفة ، مهبط آمال الشعراء ، ومناط وصفهم ، غير أن الادب الاندلسى تميز بخاصية أن تكون المرأة من الشاعر ، أو من الحبيب بعامة ، ما كانه الشاعر ، أو الحبيب ، منها في المشرق ، تبوح بمكنون فؤادها ، وتسترجع لحظات صفوهما ، وتتغزل فيمن تحب ، انها تصف قبلة لابى جعفر ، في شعر رقيق وصريح :

ثنائى على تلك الثنايا لاننى

اقول على علم وانطق عن خبر

وانصفها لا اكذب الله اننى

رشفت بها ريقا ارق من الخمر

وتغار عليه ، فتجيء غيرتها في شعر رقيق عذب حفظ لنا الرواة منه بيتين فحسب :

اغار عليك من عيني رقيبى

ومنك ومن زمانك والمكان

ولو انى خبائك في عيونى

الى يوم القيامة ما كفانى

●●●

لكن ترنيمة الحب ووصله لم تدم لهما صافية ، اقتحم عليهما ، بلا أذن ، عالم حبهما الجميل ، أمير غرناطة السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن ، ومعه سلطان الحاكم وبطشه ، ولا أستبعد أن يكون هواه لحفصة رغبة مكتومة في أن يكيد لابى جعفر ، فلم يكن للامير في مجال الشعر العاطفى ما يشده الى هذه الشاعرة الفردة ، ولم يكن له في مجال الفكر ما يعجبه من آرائها المتحررة ،

وكان له في سيل الجوارى المتدفق على غرناطة مندوحة الى الانثى لو أراد .

ولابد أن حفصة عانت كثيرا من ملاحقة الامـــير ، خشية على أبى جعفر اكثر من خشيتها على نفسها ، فهى تعرف ما بينهما ، تعرف ما يكنه الامير لابى جعفر من حقد ، وما تنطوى عليه نفس أبى جعفر من احتقـــار للامير ، وما عليه الحياة في غرناطة من ســـهولة القتل التآمر والتخلص من الاعداء ، وراودت نفسها ، وابتعدت عنه قرابة شهرين لا يراها ولا تراه ، واستبد به الشوق فكتب اليها :

يا من اجانب ذكر اسمه وحبى له علامه
ما ان ارى الوعد يقضى والعمر اخشى انصرامه
اليوم ارجوك لا ان تكون لى في القيامة
لو قد بصرت بحالى ، واليوم ارخى ظلامه
انوح شوقا ووجدا اذ تستريح الحمامه
صب اطال هواه ، على الحبيب غرامه
لمن يتيه عليه ، ولا يرد سلامه

ان لم تنيلى اريحى ، فالياس يثنى زمامه

وترسل اليه ، تبدى رأيها ، وتعتذر ، وتعتب عليه أن يتحدث عن السأم والملل ، وألا يدرك عذرها وسبب انقطاعها :

يا مدعى في هوى الحسن والغرام الامامه
اتى قريضك ، لكن لم ارض يوما نظامه
أمدع الحب يثنى ياس الحبيب زمامه ؟
ضللت كل ضلال ولم تفدك الزعامة
ما زلت تصحب مذ كنت في السباق السلامة
حتى عثرت واخجلت بافتضاح السآمة
بالله في كل وقت يبدى السحاب انسجامه
والزهر في كل حين يشق عنه كمامه
لو كنت تعرف عذرى كففت غرب الملامة

وتقع حفصة بين أمرين أحلاهما مـــر ، وأيسرهما عسير ، أمير يلاحقها بكل ما في قدرته ، ويطوقها بكـــل ما في سلطته ، وشاعر غزل رقيق تسعد معه ، وتساقيه الحب ، وتحاول أن تترضى الامير ، وأن تكتب اليـــه شاعرة ، وأن تجافاه أنثى عاشقة ، تكتب اليه تهنئه في يوم عيد :

ياذا العلا وابن الخليفة والامام المرتضى
يهنيك عيد قد جرى فيه بما تهوى القضا
وأتاك من تهواه في قيد الانابة والرضا
ليعيد من لذاته ما قد تصرم وانقضى

- المال كله من الرجل ولكن كله للمرأة
  (نجيب حداد)
- كل شيء حسن وجميل حولى من صنع امراتي
  (روكفلر)
- كلما رايت رجلا وصل الى قمة المجد فاعلم ان بجانبه امرأة يحبها وتحبه .
  (شيللر)

وتجتاح أبا جعفر نوبة من قلق ، والحب احتـــواء ، والعاشق غيور ، فيقول لها محقرا شأن الامير : «ماتحبين في هذا الاسود ، وأنا أقدر أن أشترى لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه » وبلغت قولته هذه أبا ســعيد ، أو هكذا توقع أبو جعفر ، فاستشعر النهاية ، وأصبح موزع القلب ، خائفا مضطربا ، يتوقع المهالك في كل خطــوة ، وصور لنا أيامه هذه أبلغ تصوير :

من يشترى منى الحياة وطيبها
ووزارتى وتادبى وتهذبى
بمحل راع في ذرى ملمومة
زويت عن الدنيا بأقصى مرتب
لا حكم ياخذه بها الا لمن
يعفو ويرزق دائما بالمذنب
فلقد سئمت من الحياة مع امرىء
متغضب متقلب مترتب
الموت يلحظنى اذا لاحظته
ويقوم في فكرى اوان تجنبى
لا اهتدى مع طول ما حاولته
لرضاه في الدنيا ولا للمهرب

وينتهز الامير أبو سعيد فرصة تمرد محمد بن مردنيشن في شرقي الاندلس ، وانضمام أحد أفراد أسرة بني سعيد اليه ، عبد الرحمـــن بن عبد الملك ، فيلقى عليهم القبض ، «واعتقل أبو جعفر ، وقتل صبرا في مدينة مالقة عام ٥٥٩هـ ، وحزنت عليه حفصــة . لبست السواد ، وبكته جهرة ، ورثته :

هددونى من اجل لبس الحداد
لحبيب لى ارد ء بالحداد
رحم الله من يجود بدمع
أو ينوح على قتيل الاعاد
وسقته بمثل جود يديه
حيث اضحى من البلا القواد

وعجز الامير أن يجد السبيل الى قلبها ، وضاقت هى بالحياة في غرناطة ، وقد شهدت مصرع حبها ، فرحلت الى مراكش عاصمة خلافة الموحدين ، ولقيت الخليفة ، واستنشدها شعرها فأنشدته :

امنن على بطرس
يكون في الدهــر عده
تخط يمنـاك فيه
الحمـد لله وحـده

وحقق لها ما أرادت ، واختارها أســتاذة لبناته ، وامضت بقية حياتها في مراكش ، وفي عاصمة الموحدين لقيت الله اخر عام ٥٨٠هـ أو اوائل عــام ٥٨١هـ . وبذلك طويت صفحة جميلة ، من أروع صفحات الحب في تاريخ الادب العربى ..

- **نحن محتاجون الى العــلم ولكن حاجتنـا الى الاخلاق اكثر .**

(سعد زغلول)

- **ان كلمة مستحيل تهز الارادة القوية**

(مصطفى كامل)

- **لا شيء يفسد الرجل مثل النجاح .**

(انثوني ترپوب)

أفكار جديدة

منظمة علمية عربية

●● لا شك ان التقدم التكنولوجي اصبح يلعب دورا بارزا في حياة الامم • ومما هو متفق عليه ان مقياس رقي الامم ، هو بمقدار ما فيها من تكنولوجيا حديثة ، وعلم جديد ••

وبلادنا العربية ـ بالرغم من انها تمتلك الكثير من الثروات الطبيعية ، الا انها ـ ما تزال في ركب البلدان النامية • ولكى نصل الى التقدم ، لابد من استثمار هذه الثروات على اسس علمية حديثة ••

وفكرتي التي ادعو اليها هي : ان توجد منظمة او هيئة عربية ، تقوم بتشجيع العلماء والباحثين على استثمار الطاقات الطبيعية والبشرية الموجودة بالمنطقة العربية • واذا عرفنا ان كثيرا من العلماء العرب قد هاجروا الى امريكا وكندا وغيرها ، وانهم هناك وصلوا الى درجات عالية في مجالات التكنولوجيا ، والطب وباقي العلوم الاخرى • وما كان هذا ليتم لولا الاغراء بالمال ، وتوفر الامكانيات من معامل البحث وغيرها •

لذلك اتمنى لو تتكون تلك « الهيئة العربية » ، وتكون مهمتها اجتذاب هؤلاء العلماء ، على ان تمدهم بالمال اللازم ، وتوفر لهم الامكانيات العملية اللازمة • وهذا من شانه ان يحقق تقدما كبيرا في المنطقة •

ودعم هذا المشروع الهام ، يمكن أن يكون بتخصيص ٢٪ مثلا من سعر بيع كل برميل بترول خام لهذا الغرض •

وهكذا نزرع في بلادنا العربية ثورة علمية كبرى تدر الملايين على هذا الشعب العربي •

والله الموفق ••

محمد عبد القادر الفقي
ج• م• ع• : ٢٧ شارع عبد الحليم ـ البر الغربي
شبين الكوم

مؤسسة خليجية لانتاج المسلسلات التليفزيونية

●● بسبب النقص في المسلسلات التليفزيونية •• اقترح ان تكون هناك مؤسسة خليجية في « دولة قطر » او في أى بلد عربى اخر في الخليج وذلك من اجل انتاج مسلسلات تليفزيونية بصورة دائمة وواسعة • ثم تقوم بعرضها على شاشات تليفزيونات الخليج ، فتفيد بذلك المواطن وفي نفس الوقت تستطيع هذه المؤسسة بيع هذه المسلسلات الى تليفزيونات العالم العربى ، وهكذا تربح من بيعها ، فضلا عن تعريف العالم العربي بنشاطات الفن ، والطاقات الفنانة في دول منطقة الخليج • يضاف الى ذلك فكرة اشراك جميع المثقفين من مختلف الاقطار العربية مع الممثلين من دول الخليج • ومن طريق الاحتكاك الفني بينهم يحدث التفاعل العميق بين الفنانين العرب ، ويفيد الفنان الخليجي من خبرة اخيه الفنان العربي •

فهل يتحقق هذا الاقتراح ؟

عبد الرضا حسن ساجوني
الشارقة ـ دولة الامارات العربية ـ ص•ب ٩٩

معسكرات للشباب العربي

●● ان الشباب قوة فعالة ومؤثرة ، فلماذا لا تستغل طاقة الشباب العربى المتوفرة لدينا في عمل نافع يفيد الشباب ـ اولا ـ ويفيد الدول العربية ثانيا •

انني اقترح ان تقيم « معسكرات شباب » على مستوى الدول العربية كلها ، بحيث تقوم كل دولة بارسال وفود شبابية لبقية الدول العربية ، على مدى ثلاثة شهور بثلاثة افواج ، كل فوج لمدة شهر • وذلك في العطلة الصيفية • على ان تستقبل افواجا مماثلة من بقية الدول العربية • وتكون هذه المعسكرات من نوع « المعسكرات السياحية » بمعنى ان ينظم وقت المعسكر على اساس جولات استطلاعية ، يتعرف خلالها الشاب على مناطق القطر الذي يحل به ضيفا • وكذلك يقوم المعسكر بتنفيذ بعض المشروعات الجماعية مثل مشروعات التشجير ، أو محو الامية • ثم تقام في الامسيات مباريات رياضية وثقافية بين الافواج ، توزع في نهايتها الجوائز التشجيعية •

ان هذه اللقاءات تعتبر فرصة طيبة لتلاقي الشباب من كافة الدول العربية • وهم بعد ذلك يتعرفون على نهضة البلدان الاخرى • فضلا عن كون هذه « المعسكرات » مهرجانات حقيقية للشباب العربي ••

ناتي الى جانب التمويل لهذه المعسكرات • واقترح ان يدفع كل مشترك في هذه الرحلات الجماعية ، ثمن تذكرة الطائرة ذهابا وايابا • على ان تتفق الهيئات المنظمة لمثل هذه المعسكرات مع بعض شركات الطيران العربية ، على تنظيم رحلات خاصة لها بتخفيض لا يقل عن ٦٠٪ من الثمن الاصلي للتذكرة ، « ٥٠٪ تخفيض خاص للشباب + ١٠٪ تخفيض للرحلات الجماعية » •

اما مشكلة الاقامة والمبيت ، فانه يمكن استغلال المدن الجامعية ، او اقامة المخيمات • اما التغذية ، فاظنها لن تقوم عائقا أمام الحكومات العربية • وكل دولة تعامل الشباب بالمثل مع الدول الاخرى •

احمد حسن اللقاني ـ كلية التربية ـ أرض الدلتا ـ شارع مدرسة الرضوان الابتدائية بقالة انور عطوة ـ دمنهور ـ ج م ع

الدراسات الاسلامية

●● لا شك ان للتقدم الحضارى اثرا كبيرا في طريقة طرح الامور ومناقشتها • والملاحظ على الصعيد الفكرى أن معالجة الافكار حدث فيها تطور كبير • اذا ان الناس الان يحتكمون الى العلم التجريبى لاثبات الحقائق • ويتذرعون بالعلم والموضوعية، اذا ارادوا مناقشة اية فكرة •

والدين الاسلامي بصفته يقدم فكرا ومنهجا ربانيا للناس عن الكون والانسان والحياة ، لابد له وان يواجه التحديات المعاصرة ، ويكون له دور فعال في مناقشة قضايا الكون المعاصرة ، باعتباره ـ كما نعلم ـ دينا صالحا لكل زمان ومكان ••

ونحن نلاحظ ـ في الاونة الاخيرة ـ ان الكثيرين من المفكرين الاسلاميين ، قد تنبهوا لهذا الامر فبداو بطرح هذه القضايا وفق منهج علمي دقيق يراعي متطلبات العصر •

لذلك فانني اقترح ان تخصص مجلة « الدوحة » بابا للابحاث والدراسات الاسلامية التي تعالج قضايا الحياة المعاصرة • وبذلك يجد القراء كل احتياجاتهم الفكرية في مجلتكم الزاهرة •

احمد عوض النشاش
الاردن ـ عمان ـ
صندوق بريد ١٥٤٥

اعداد : ابتسام الحديدى



السلطة

وجبة كاملة •• وجذابة

الذين يتصورون اننا نعيش لناكل •• مخطئون ، والذين يتصورون اننا ناكل لنعيش ، هم ايضا مخطئون •• فتناول الطعام ليس هدفا في حد ذاته • كما ان تناول الطعام ليس عملية ميكانيكية ، تضمن لنا ان نحيا •• او نستمر في الحياة فحسب •• بل يجب ان نتناول طعامنا بفن وفهم ، لكى نحظى بصحة جيدة ، فنكون اكثر قدرة على العطاء ، واكثر قدرة على الاستمتاع بالحياة •

وقديما قالوا : العقل السليم في الجسم السليم ، وسلامة الجسم تعتمد ـ الى حد كبير ـ على سلامة الغذاء الذى نتناوله •

لهذا كان لابد للمرأة ان تزود نفسها بثقافة غذائية كاملة ، فتعرف كيف تفرق بين البروتين والدهنيات ، وبين المعادن والفيتامينات وان تحاول قدر الامكان ان تعرف انواع الخضروات والفواكه التى تحتوى على هذه وتلك •• والاهم من ذلك ان تعرف كيف تصنعها وتطهوها بافضل طريقة •

فلابد ان تصنع الزوجة لاسرتها اطباقا غنية بالفيتامينات والمعادن والبروتين ، وفي نفس الوقت تكون خفيفة على المعدة ، حتى لا تتسبب في اصابتهم بالامراض المعروفة كعسر الهضم ، وتصلب الشرايين ، الى اخر تلك القائمة الطويلة من الامراض ، التي يلعب فيها الغذاء الدور الاول •

والسلطة من اهم الاطباق التي يجب ان تحرص ربة البيت على تقديمها لافراد اسرتها لاحتوائها على كمية هائلة من الفيتامينات والمعادن والبروتينات التى تمد الجسم بما يحتاجه • ولكن يجب عليها اولا الا تقدمها بالشكل التقليدى المعروف ، لان الاهتمام بطريقة تقديم الطعام واعداده في الاطباق من اهم العوامل التى تدفع الصغير قبل الكبير لتناوله •

وستقدم لك طريقة لاعداد « طبق سلطة » لا شك انها ستحظى باعجابك واعجاب زوجك واطفالك ، وستكون على جانب كبير من الاناقة والجمال في التقديم ، بالاضافة لاحتوائها على الكمية المناسبة من المواد الاساسية التى يحتاجها الجسم •

في البداية حاولى ان تجمعى في « طبق السلطة » كل انواع الخضروات ـ التى تحتوى على الفيتامينات ـ وان تضعى ايضا انواعا من الجبن والاسماك واللحوم المتنوعة ، والتى تختارينها وتفضلينها ـ لانها محتوية على البروتين ـ حتى تكون تركيبة الطعام متكاملة كوجبة غذائية •

ثم انتقى الخضروات الطازجة وقومى بغسلها ثم اعدى وحدات من البطاطس للطهى ، وكذلك جهزى اللحم ، وضعيه في الوعاء المخصص لطهيه بعد تقطيعه الى شرائح متساوية اسلقى كمية الارز مناسبة حتى يكون كل شيء جاهز •

ولكى تكون في طبق السلطة الذى تعدينه لمساتك الخاصة ، التى تدل على شخصيتك ، فلكل طريقته الخاصة في اعطاء الطعام النكهة المحببة اليه ، حاولى ان تضيفى اليه شيئا ذا رائحة جذابة لفتح الشهية ـ كالانشوجة او التونة او الكارى اللذيذ ـ ثم قسمى الطبق المعد للسلطة الى اجزاء متساوية ، لوضع كل نوع من الخضر او اللحوم في مكانه بمقدار كاف ، وليكن هناك تناسق في وضع الانواع المختلفة حتى ياخذ الطبق الشكل المنمق الجميل •

وهذا يتحقق بسهولة ، باختيار وضع مجموعة الخضروات ذات الالوان المتباينة الى جوار بعضها (كالفجل الاحمر ، والخيار ، والزيتون الاخضر والمقدونس وعيدان النعناع ثم الليمون المقطع حلقات ، والخبز المحمص ، والجبن ، وقطع اللانشون واللحم ثم الارز الابيض ، والبطاطس المقطعة الى مكعبات صغيرة) ، فكل هذه الالوان الجميلة يمكن ان تجعل « طبق السلطة » وجبة غذائية كاملة •• ويتسابق الجميع الى تناولها في سعادة •

مـن أزياء الصيف

ما يزال القطن هو المادة المفضلة لاقمشة الصيف كما بدا واضحا فى عروض الازياء التى اقيمت مؤخرا بمناسبة فصل الصيف ، فى عدد من عواصم العالم •

وامتازت الموديلات القطنية التى عرضت مؤخرا ، ببساطتها ورقتها ، وجمال نقوشها المطبوعة ـ فقد ظهرت اقمشة قطنية سادة عليها « موتيفات » ملونة استخدمت كحليات للفساتين • اما الالوان فكانت كلها مستوحاة من الالوان الطبيعية •• كلون الورد الابيض ، والاصفر ، والاحمر • والاخضر الهادىء كانت هى الغالبة على الملابس القطنية للصباح •

اما لون المشمش ، بالذات ، فكان فى ملابس السهرات الطويلة ، المصنوعة من الشيفون والحرير والجرسيه •
اما الاقمشة القطنية المقلمة ، فامتازت جميع موديلاتها بالاناقة والبساطة •

وكانت ابرز الموديلات واسعة ، تنسدل فى بساطة وحرية ، وبدون تحديد للوسط ولا للاكتاف ، حتى الاكمام ـ اذا وجدت ـ فهى بلا شكل معين وبعضها لا يتحدد بخط الكتف •



أهمية اللعبة في حياة الطفل



هناك اشياء هامة واساسية في تربية الاطفال ، قد لا تعرف الام والاب قيمتها •• في مقدمتها اللعب التي تكشف عن ميول الطفل ، وتدخل في تكوين سلوكه وشخصيته ، في القضاء على مشاكله ، وفي توجيه اهتماماته والكشف عن قدراته •

والغرض من اللعب هو تسلية الطفل ، والطفل المحروم من اللعب يشعر بمرارة شديدة ، ووحدة لا يستطيع الكشف عنها •

وعلماء النفس يشرحون اهمية اللعب واللعبة في حياة الطفل ، فيقولون ان الغرض من اللعب هو حفظ صحة الطفل وتسليته ، ولابد لنا ان نختار له احسن الالعاب التي تتلائم مع سنه ، حتى لا تؤدى ممارسته للالعاب اكبر او اصغر من سنه الى الاضرار به •

واذا كان اللعب مهما للطفل فان « اللعبة » ليست اقل اهمية ، فهى من الزم الضروريات للاطفال ، باشكالها والوانها الزاهية ، فهى لا تمنحهم الاحساس بالسرور والسعادة فقط ، ولكنها تعلمهم ، وتنبه حواسهم ، كالنظر واللمس والسمع ، كما تعطى الطفل فكرة عن كل ماهو موجود في العالم بحجم صغير ، يمكنه لمسه ومساكه • اما الاطفال الذين ليست لديهم لعب فعلماء النفس يقولون عنهم انهم اقل فطانة وفهما من غيرهم •

اللعب وعمر الطفل :

وعمر الطفل له تاثير كبير في اختيار انواع اللعب ، فالمولود تكفيه لعبة ملونة ذات صوت مرتفع ولامعة ، لكي تجذب نظره مثل (الصفارات والاجراس) والاطفال ما بين الثانية والخامسة يجب ان تكون لعبهم قريبة في رسمها من الحقيقة كالاحصنة والكلاب ، والعرائس للبنات ، وبناء المنازل الخشبية او المطاطية •

وبين السادسة والعاشرة يحب الاطفال الرسم ، والصور الملونة الجميلة وكتب القصص والمغامرات •

ويقول علماء النفس عن الجوانب النفسية في لعب الاطفال (ان الاطفال

يختلفون في اى سن ، من حيث الكفاءة والسرعة التى يتمكنون بها من انجاز اعمال معقدة ، وبخاصة تلك التى تتطلب لغة او استعمال رموز ، وكلما كان تقدير الاطفال عاليا في حل المشكلات المعقدة والالغاظ من جميع

الانواع ، اتسع مجال معرفتهم ومعلوماتهم • وهناك فروق بين لعب

الاطفال الموهوبين والاطفال العاديين •• كما ان هناك فرقا بين لعب الاولاد وبين « لعب » البنات •

تغيير اللعب هام

وتدلنا الشواهد على ان تغيير لعب الاطفال هام جدا ، فالتغيير يجذب الانتباه ، كما ان اللعبة الرتيبة تولد في نفس الطفل الضيق والهياج والملل •

فالتكرار المستمر لنفس المناظر والاصوات يؤدى الى انجاز الاعمال بصورة اضعف ، بما في ذلك الانتباه اليها •

فيجب ان تتنبه كل ام واب الى اهمية اللعبة في حياة الطفل حتى يكشفا ما بداخل طفلهما من اهتمامات ورغبات ، وحتى ينميا شخصيته وقدراته على الملاحظة والانتباه ، وحتى لا تؤدى اللعبة الى الاضرار بالطفل ونفسيته وسلوكه •

لمسات جميلة
وحالمة لبيتك

من الاشياء البسيطة جدا والتى لا تكلفك الا القليل والتى تضفى مزيدا من الحيوية والاناقة لبيتك اشغال الكروشيه باشكالها المختلفة من المفارش الصغيرة او الكبيرة التى توزع على الموائد وتضفى لمسة من الجمال للغرفة ••

او الاشكال الكثيرة المصنوعة من الكروشيه بدقة وفن والتى ستظل في فرش الاسرة او كنوع من الستائر •
ومن اجمل الاشياء المصنوعة من الكروشيه اخترت لك هذه الحليات التى تتدلى على الحائط كبرواز لمرآة محلى بحبات الخرز الملون فتبدو المرآة وكأنها محاطة باطار فنى جميل أو كحلية تتدلى من السقف بداخلها زهور ونباتات صناعية لان الوان الزهور الجميلة تعطى اللمسة المطلوبة للمكان خاصة واذا كانت الوان الغرفة هادئة ••

حاولى يا سيدتى ان تصنعى الاشياء الجميلة التى تلعب دورا هاما في ديكور المنزل ولا تكلفك الا القليل سواء في الجهد او في التنفيذ •



جسم الرجل وجسم المرأة

ثبت ان وزن عضلات الرجل يعادل ٤٠٪ من وزن جسمه في حين ان وزن عضلات المرأة لا يعادل الا ٢٤٪ من وزن جسمها ، كما تقل عضلات المرأة عن عضلات الرجل في القوة بنسبة ٢٥٪ وبالرياضة يمكن أن تزداد قوة عضلات الرجل بنسبة ٦٪ ، ولكن هذه الزيادة لا تتعدى ٤٪ في حالة المرأة ومن ناحية التركيب الداخلى هناك فوارق جمة بين الجنسين • فكبد الرجل ودمه يحتويان على كمية من الحديد تفوق مثيلتها في المرأة ، في حين ان عنصرى النحاس والكبريت يزيدان في جسم المرأة عنهما في جسم الرجل •

ومن حسنات تركيب جسم المرأة ان في استطاعتها احتمال الجوع اطول من الرجل الا أنها تحتاج الى كمية اكثر من الاوكسجين لتادية نفس العمل الذى يؤديه الرجل ـ اى ان الرجل ، بمعنى اخر ، يستغل من الطاقة اكثر مما تستغل المرأة •• وقد وجد أن قلب المرأة يدفع ويستقبل ٢٥ لترا من الدم في الدقيقة الواحدة ، بينما تصل هذه الكمية الى ٣٧ لترا عند الرجل •

ولعل في هذه الفوارق العديدة بين جسم الرجل وجسم المرأة تعليلا لاختلاف درجات تقدم العمر بين الرجل والمرأة في سن معينة ، واصابة النساء بامراض معينة قلما يصاب بها الرجال •

- اذا قاطعك طفلك اثناء حديثك مع صديقاتك فلا تسكتيه بطريقة قاسية امامهم ـ بل يستحسن منك قطع الحديث بصورة لبقة وتردين عليه حتى يسكت •
- لا تتكلمى او تتحادثى وانت تمضغين اللبان ولا سيما اذا كنت وسط مجموعة الاصدقاء والصديقات ـ فان هذا يعرضك لكثير من النقد •
- لو اردت ان تخفى أشياء بسيطة عن زوجك كزيارتك لاحدى جاراتك مثلا ـ فحاذرى ان تنبهى على اطفالك بعدم البوح لوالدهم ـ حتى لا تعلميهم الكذب دون ان تدرى •

الازياء والمكياج •• في المساء

اول ما يجب ان تفكرى به في المساء هو ملابسك وشعرك ، لانهما يحددان طريقة مكياجك ، فاذا كان يفضل ان ترتدى في المساء الملابس الحالمة

الهفهافة الطويلة كالشعر المعقوص الى اعلى في خصلات مرفوعة طائرة مع حذاء عال يجعلك اكثر جمالا وفتنة ، فان المكياج يجب ان يكون ذا بريق ساحر ، يضيف الى وجهك روعة وفتنة . لكريم الاساس اللون الذى يعطيك قليلا من السمرة الساحرة (ويفضل اللون البيج الغامق) •

ضعى على وجنتيك اللون الاحمر المتوهج اللامع ، حتى تكون وجنتاك وكانهما صبغا بحمرة الخجل ، وسيبدو وجهك نضرا ، لو وضعت تلك الالوان بعناية ودقة • ويفضل ان تكون نظراتك في المساء اكثر اثارة ، ولذلك اعتنى بشكل الحاجبين وتسويتهما واستعملى الظلال ذات اللون الاخضر الزيتونى ، وحاولى ان ترسميهما بدقة بواسطة الاى لينر وحددى شكل العين برسم خط فوق الاهداب مباشرة ، وحول العين ، وحاولى ايضا ان تكون الظلال على شكل جناح الطائر في الزاوية الخارجية

للعين •• ثم ضعى طبقة غزيرة من الماسكرا فوق الرموش لتعطيك اتساعا للعين وغزارة الرموش ، ثم ضعى بلمسات خفيفة وفوق خط العين بعضا من الظلال الذهبية البراقة لانها ستعطى لعينيك سحرا وجاذبية •• واخيرا لا تنسى ان تضعى قطرات من عطرك المفضل حتى تكون صورتك رائعة •• وبراقة •• وعطرة ايضا •



اقلام المكياج

- اذا لاحظت ان القلم المستعمل في مكياجك لا يتميز بالمرونة الكافية فحاولى تعريض طرفه لماء دافيء لعدة ثوان ، وبعد ذلك سوف تجدين انه أصبح من السهل استعماله •

- في حالة تأثر الحرارة الشديدة على اقلام المكياج ، بحيث تصبح لينة بصورة مبالغ فيها ، ضعى طرف القلم في ماء بارد وسوف يتماسك على الفور ، ويصلح للاستعمال بالطريقة التى ترغبين فيها ••

مكياج سهل •• رغم الحرارة والعرق

المشكلة المحيرة التى تواجه المرأة في الصيف هى كيف تحافظ على جمالها وبهائها وحيويتها •• رغم حرارة الجو ، وغزارة العرق • وتتصور الكثيرات ان المشكلة صعبة ، ولا حل لها •• بينما هى في الحقيقة سهلة جدا ، اذا ما عرفنا كيف نواجهها ونتغلب عليها •

البساطة •• للصباح

في الايام الصيفية الحارة ، تحتاج المرأة الى مكياج خفيف وبسيط ، لا تذيبه الحرارة ولا يلطخ الوجه ، بل يحميه من العرق والحرارة •

والخطوة الاولى هى تنظيف الوجه بقطعة قطن ، او بفرشاة ناعمة ، بعد دهنة بكريم منظف ، ثم اختيار كريم الاساس شفاف اللون ومرطب ، لتوضع منه طبقة رقيقة على الوجه ، وبقطعة من الاسفنج لانها تمنع تراكم الكريم على منطقة دون الاخرى • وأيضا يوزع أحمر الخدود على الوجه بواسطة الاسفنجة •

ولكى تكون العينان اكثر اتساعا ووضوحا ، يفضل تجميلهما بالظلال ، بواسطة قلم الظلال ويفضل اللونان الازرق او الاخضر ، لانهما يمنحان العين بريقا أجمل ، ولكى تبدو الرموش غزيرة واكثر طولا ينصح خبراء التجميل المرأة بان تضع طبقة من الماسكرا ثم تضع فوقها طبقة من بودرة الوجه ثم طبقة اخرى من الماسكرا •

ولتحديد الشفاه يستعمل القلم الاحمر الخاص بهذا الغرض ، والذى يمكن عن طريقه تغيير الحدود الطبيعية للشفتين في حالة وجود عيب بهما ، وتستخدم الفرشاة لرسم الشفتين باللون الاحمر الذى تفضلينه • ثم توضع طبقة رقيقة من بودرة الوجه ، يعاد بعدها طلاء الشفتين مرة اخرى • (والبودرة هنا ستثبت) الاحمر فوق الشفتين لمدة اطول •

★ سيدتي العزيزة •• كيف تكونين ضـيفة جذابة ؟••

هل اهتممت يوما بالقاء نظرة تقديرين فيها نفسك كضيفة •

واذا كنت في حفلة بمنزل ، فهل تقومين بما ينبغى نحو المضيفين او تبقى خجولة ، مترددة ، لا اثر للجاذبية في شخصيتك !

اذا كنت هكذا ، فيجب ان تغيرى من نفسك ، وهذا في مقدروك •

انظرى •• ان راس مال الضيفة اللطيفة هو قدرتها كمتحدثة بارعة ، وهذه البراعة فن يمكن تنميته ، بالتعود على التفكير الاصيل ، وباطلاق الافكار الجديدة ، ان شغفنا الجنونى بالانصات الى الراديو ، وبالنظر الى شاشة التليفزيون ، وكلاهما لا يحتاج من الجهد العقلى اكثر من ادارة المفاتيح على المحطات ، ليعد من الاستعدادات الضعيفة في هذا الشان •

ان قوة التخيل ، والافكار ، والاحاطة بالكثير من الاشياء هى من العناصر اللازمة للحديث الممتع •

والمحدثة البارعة حقا تحرص على تزويد نفسها بافاق واسعة من المعرفة لتحافظ دائما على محصولها من العناصر اللازمة لبراعة الحديث •

انك لن تستطيعى ان تكونى محدثة بارعة ، اذا اقتصرت على تقديم الفكاهات التى استمعت اليها في الليلة السابقة من الراديو أو التليفزيون او من صديقاتك •

وانما عليك ان تضيفي اليها بعض الافكار الاصيلة من تفكيرك الخاص • اقراى احدث الكتب كلما اتيحت لك الفرصة ، واطلعى دائما على الصحف والمجلات ، لكى تعرفي ما يدور في محيط السياسة والفن ، بحيث يصبح ما تعرفينه عنهما كافيا لان يجعل حديثك لطيفا معقولا •

ان براعتك في الحديث شيء عظيم . ولكن اطلاقك « سيلا » من المعلومات كالببغاء يجعلك تبدين في المجتمع ثقيلة الظل •

استوعبى الموضوعات العجيبة اللطيفة ، لكى تستعينين بها اذا فتحت المحادثة ، فعندما تستمعى الى قصة لطيفة ، احتفظى بها في ذاكرتك ، واستخدميها في الوقت المناسب ، ولا تحاولى ابدا ان ترتجلى ، ولكن انهجى سبيل الممثلة القديرة ، اى قومى بتجربة القاء القصة فيما بينك وبين نفسك قبل ان تحاولى سردها امام الجميع المدعوين ، فاذا رأيت ان القليل من المبالغة في السرد يجعلها قصة احسن ، فافعلى ، فان الاستطراد المعقول جزء لا يتجزأ من جمال السرد القصصى ، وكذلك الحال ايضا مع الايجاز •

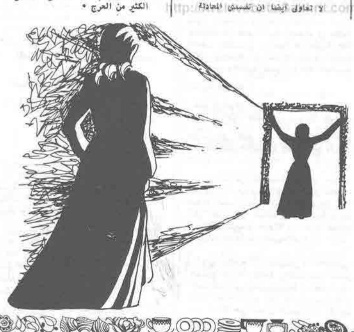
واذا كنت متحدثة بالبديهة ، ممتلئة بالموضوعات التى تريدى ان تتناوليها ، فلا تحاولى ان تنفردى بالحديث دون بقية الضيوف ، اعطهم الفرصة ، فاذا لم يكن في مقدورهم الاستفادة منها ، فكونى مستعدة بسؤال مثير :

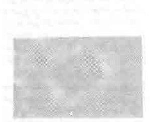
ولكن حاذرى ان تلقى اسئلة جدية حقا ، لان هناك احتمالا بان تتلقى اجابة كلها الجد ، فيتأزم الموقف •

لا تحاولى ايضا ان تفسدى المحادثة مهما يكن مبلغ امتعاضك لما يقال ، وذلك باللجاجة والجدل • واذا كان الموضوع ممتعا ولديك ما تريدين ان تدلى به عنه فلا تترددى باى حال ، ولكن لا تسرفي في الحديث عن التوافه ، كما لا تعارضى او تقاطعى بعض القصص الصغيرة التى تلقيها غيرك من السيدات •• بل اذا كان المقصود ان تكون القصة مضحكة ، فاضحكى لها •

وعندما تلتقين بصديقة قديمة في حفلة منزلية صديقة لم تشاهديهامنذ فترة طويلة ، فلا تبادرى بمحاصرتها بفيض من الاسئلة مثلا عن « هل تذكرى هذه او تلك • » ـ تاركة في الوقت نفسه ضيفة اخرى بلا حديث •• فاذا كان اغراء الحديث عن « الذكريات » اقوى من ان يقاوم ، فحاولى على الاقل ، ان تشركى الضيفة الاخرى فيه •• شارحة لها الاحداث والاماكن والاشخاص كلما ورد ذكرهم في سياق الحديث •

وبمناسبة الحديث عن الضيوف غير الاصدقاء ، لا تحاولى ان تلقى اسئلة غير شخصية او ملاحظات خاصة ، الى اشخاصلست متاكدة من شخصياتهم ، وذلك حتى تتجنبى الكثير من الحرج •





بعض البدائل المتاحة للعلاقة الجديدة بين المنتجين والمستهلكين للنفط

تقديم : عبدالله يوسف فخرو

ان المجال لا يسمح هنا لتتبع الاحداث السريعة التى الرت فى تطور الخيارات المتاحة للعلاقة الجديدة بين المنتجين والمستهلكين منذ انعقاد مؤتمر واشنطن للطاقة وحتى الآن •

المزيد من تكتل المستهلكين فى اطار منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية O. E. C. D. ووكالة الطاقة الدولية والسوق الاوروبية المشتركة وغيرها من المؤسسات العلمية العسكرية والسياسية التى تجمع بين الدول المستوردة للنفط •

ويبدو واضحا ان الغرض الاساسى لكل هذه الاشكال من التكتل هو اعداد المستهلكين للسيطرة على سياسة الطاقة العالمية والاستعداد للتعامل مع المنتجين اما على اساس التعاون او المواجهة حسب الظروف التى تختارها الدول المستهلكة ووفقا لسياساتها المشتركة •

ورغم ان هذا الاتجاه الذى تزعمته امريكا واجهته بعض الصعوبات فى بداية الامر بسبب اعتراض وتخوف بعض الدول المستهلكة كفرنسا واليابان من رد فعل المنتجين الا انه نجح فى آخر الامر عندما استطاعت وكالة الطاقة الدولية أن ترسم سياساتها الخاصة بالطاقة بصورة عامة والنفط بصورة خاصة •

اما المنتجون فقد استمرو فى المطالبة باقامة علاقة جديدة بين البلاد النامية والبلاد الصناعية على أساس التعاون • غير ان المؤسسات المشتركة بين المنتجين لم تلعب دورها الطبيعى فى تطوير التعاون بينهم للحد الذى يمكنهم من التعامل مع المستهلكين بشكل جماعى حتى فى مرحلة الحوار حول تحديد الأسس التى يجب أن تقوم عليها العلاقة الجديدة بينهم وبين المستهلكين •

كل ذلك ادى الى تقوية جانب المستهلكين رغم انهم وافقوا فى النهاية على تنظيم الحوار بينهم وبين ممثلين من البلاد النامية وخاصة النفطية منها وهو الحوار الذى بدأ فى باريس فى ديسمبر من العام الماضى • ومن اوضح الادلة على هذا الواقع هو تمثيل دول السوق الاوربية المشتركة بصوت واحد • وبذلك استطاعت الدول المستهلكة ان تضم اغلبية الاعضاء فى منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية الى عضوية هذا الحوار بالاضافة الى اشتراك منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية نفسها ووكالة الطاقة الدولية الجديدة •

هذا فى الوقت الذى واجهت الدول النامية ـ خاصة الدول النفطية ـ صعوبات كثيرة فى التوصل الى اتفاق حول اختيار الدول التى يمكن أن تمثل الاتجاهات المختلفة بين البلاد النامية •

ورغم انه من الصعب التنبؤ بما سيسفر عنه هذا الحوار من نتائج عملية فى تحديد العلاقة الجديدة بين المنتجين والمستهلكين فانه يمكن القول بان الجانب القوى المتماسك هو الذى سيكسب الجولة فى تحديد مصالح الخيارات المتاحة بين المجموعتين •

ومن الواضح ان المستهلكين قد اختاروا لانفسهم طريقة الاعداد والاستعداد لكل الاحتمالات التى يمكن أن تنشا فى اطار تحديد نوعية العلاقة بينهم وبين المنتجين سواء قامت هذه العلاقة على أساس التعاون او المواجهة بشتى انماطها •

هذا من حيث الهدف اما بخصوص الاسلوب والوسائل التى قررت الدول المستهلكة اتباعها فانها تبدو متنوعة وقابلة للتكيف حسب الاحوال ، رغم انها تلتقى فى اطار المؤسسات المشتركة التى تضم الدول المستهلكة وخاصة وكالة الطاقة الدولية التى اعطيت صلاحيات واسعة تمكنها من اتباع سياسة مشتركة واتخاذ قرارات هامة على أساس اغلبية الاصوات المرجحة •

أهم اهداف وكالة الطاقة

لقد سارعت وكالة الطاقة فى الاعلان عن الوسائل التى ستتبعها لتحقيق الاغراض التى انشئت من أجلها وهى تتلخص فى النقاط الآتية :

● تكوين وتنمية مخزون الزامى من النفط بما يكفى استهلاك ٩٠ يوما على الاقل ولمدة سنة او اكثر للدول التى ترغب فى ذلك • كما ان هذا المخزون وان كانت تملكه الدول الاعضاء فرادى فانها ملزمة بموجب اتفاقية الوكالة بالاستفادة منه لصالح مجموعة الاقطار الاعضاء • ولضمان تنفيذ هذا الالتزام عملت الوكالة منذ تاسيسها على تنظيم وادارة هذا المخزون وفقا للشروط التى تحددها الوكالة •

والغرض من هذا الاحتياطى الضخم هو التاثير والضغط على سوق النفط مما يقوى مركز المستهلكين فى اختيار نوعية العلاقة التى يرغبونها مع المنتجين •

فيمكن للوكالة مثلا ان تستفيد من هذا المخزون الضخم ـ الذى يكلف الدول الاعضاء حوالى ١٣ بليون دولار سنويا على الاقل ـ فى تنظيم سياسة شراء النفط بالاسلوب الذى يؤدى الى الضغط على بعض المصدرين لتخفيض اسعارهم وبالتالى الدخول فى منازعات مع المنتجين الآخرين حول تحديد مسئولية تدهور الاسعار ، والذى قد يؤدى الى انزلاق المنتجين فى موجة من التنافس الضار بمصالحهم •

● من أهم الوسائل التى تبنتها وكالة الطاقة فى تنفيذ سياستها تجاه المنتجين ضم شركات النفط الكبرى والمستقلة فى لجنة استشارية بغية الاستفادة من امكانياتها الفنية والادارية الهائلة وخبرتها الطويلة فى التعامل مع المنتجين •

● العمل بشتى الوسائل لتخفيف استهلاك النفط مما يساعد على تنظيم الطلب واتجاه الاسعار لصالح المستهلكين بسبب احتمال زيادة الانتاج عن مستوى الاستهلاك • وتقوم الوكالة بالتعاون مع دولها الاعضاء بتنفيذ هذه الاجراءات عن طريق الالزام والحوافز المختلفة التى تشجع على الاقلال من استهلاك النفط وتبذيره بالاضافة الى التشجيع على

استعمال مصادر الطاقة البديلة •

● تكثيف الجهود والاستثمارات في الاستكشاف والتنقيب عن النفط والغاز في مناطق جديدة خارج منطقة دول منظمة الاوبك وخاصة في بحر الشمال وسواحل الولايات المتحدة واليابان وغيرها • برغم ان تكاليف الاستكشاف في مثل هذه المناطق تعتبر عالية جدا بالمقارنة مع دول الاوبك •

وفي هذا السبيل ايضا تعتبر شركات النفط الدولية اكبر عون لوكالة الطاقة في تنفيذ سياستها الرامية الى تقوية موقف المستهلكين عن طريق الاقلال من اعتمادهم على المنتجين •

● الاسراع في تطوير بدائل للنفط وعلى الاخص الطاقة النووية واستخراج الغاز من الفحم •

● ان التعاون القائم بين المستهلكين في اطار وكالة الطاقة ومنظمة التعاون الاقتصادى والتنمي والسوق الاوروبية المشتركة يمتد الى اقتسام الاحتياطي النقدى اللازم لمعالجة مشاكل العجز في ميزان المدفوعات لدى بعض الدول الاعضاء •

الامر الذى يعزز من قوتها كجبهة واحدة تضم المستهلكين • يضاف الى ذلك ان هذه الدول تملك الاسواق والمؤسسات المالية القادرة على استجلاب اموال المنتجين بشتى الوسائل للاستثمار في اقتصادياتها وبالتالى لمعاونتها على تكوين احتياطي مشترك من النفط والاموال يستخدم عند الحاجة لصالح المستهلكين في مواجهة المنتجين •

● لقد عملت الدول المستهلكة بشتى الوسائل لتشجيع المنتجين على انفاق اموالهم التى تجمعت مؤقتا في عام ١٩٧٤ في زيادة الاستيراد ومصروفات الدفاع والمساعدات والاستثمارات طويلة المدى بغية استنزاف احتياطيها النقدى وتراكم الالتزامات المالية الكبيرة حتى لا تستطيع تخفيض انتاجها في حالة المواجهة مع المستهلكين او تدنى الاسعار بسبب سياسة وكالة الطاقة ، او لاى سبب آخر •

ان جميع الاجراءات التى تتبعها وكالة الطاقة تهدف الى تقوية موقف المستهلكين كمجموعة كما ان من شانها ان تضعف مركز المنتجين ما لم يتخذوا اجراءات مناسبة لتجميع امكانياتهم وسياستهم النفطية بما يوازى مركز المستهلكين •

بل ان هذه الحقيقة لا مفر منها سواء اكان الخيار فى التعامل مع المستهلكين عن طريق التعاون او المواجهة •

ففى المحادثات الجارية حاليا بين الدول النامية والصناعية تحتل الدول النفطية مركز الصدارة فى تعزيز مركز الدول النامية وكانها يمكن ان تفقد مع مرور الزمن ، اذا لم تعمل على تقوية موقفها التفاوضى عن طريق التعاون فيما بينها بالشكل الذى يمكنها من تجميع بعض عناصر القوة التى تساعدها على تحديد نوعية العلاقة المناسبة مع المستهلكين •

مجالات التعاون بين المنتجين

ان هذه الحقيقة التى ذكرناها فى السابق تجعلنا نتجه الى التفكير فى نوعية الاجراءات العملية التى يمكن ان تتخذها الدول المنتجة للنفط بهدف تقوية مركزها التفاوضى وحماية مصالحها المشتركة فى حالة فرض المواجهة من جانب المستهلكين • لذلك كله وبهدف اثارة الاهتمام والمناقشة البناءة فى هذا الاتجاه فاننا نطرح بعض الخطوط العريضة التى يمكن ان تكون الاطار العام لتعاون المنتجين من اجل تحديد الخيارات المتاحة لهم في التعامل مع المستهلكين •

موازنة العرض مع الطلب على النفط :

يمكن للدول المنتجة للنفط ان تتفق على امداد العالم باحتياجاته للنفط بحيث يتناسب العرض مع مستوى الاستهلاك الفعلى ، حفاظا على الثروة النفطية لامد اطول ومنعا لتدهور الاسعار عن المستويات التى يتفق عليها المنتجون •

ويمكن استخلاص اجمالى ما يستهدف انتاجه من النفط من تصورات الدول المستهلكة لما ستحتاجه •

العلم المثالى !

● سير ديزموند مكارثى الصحفى والناقد الفنى البريطانى الشهير (١٨٧٧ - ١٩٥٢) كتب يوما يفسر اسباب تدهور الاخلاق ، حتى في اكثر المجتمعات تحضرا ، قال : « مسكين هذا الانسان •• فلو انه استطاع ان يطور قلبه بنفس السرعة التى تطورت بها الاختراعات الجديدة التى ابتكرها عقله وحمها بيديه خلال القرن الاخير من الزمان ، لكنا نعيش اليوم في عالم مثالى • ولكن المأساة تكمن في ان هؤلاء المخترعين لم يهتموا يوما بتغيير معدن الناس •

وهذه الارقام تنشر دوريا من قبل مؤسسات دولية مثل منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية والبنك الدولى ، وجهات وطنية مختلفة مثل وزارات التخطيط والمصارف المركزية الخ •

وقد تود مجموعة الاوبك المحافظة على نسبة اسهامها فى الانتاج العالمى من الزيت الخام كحد اقصى لالتزامها على ان يراعى فى حساب الحجم الكلى لاحتياجات العالم الالتزام بالتقديرات الواقعية للاستهلاك الفعلى مضافا اليها احتياطى مناسب كهامش للامن القومى لكل دولة (استبعاد نسبة الطلب لاغراض تكوين مخزون استراتيجى بهدف استخدامه فى المواجهة مع المنتجين او للضغط على احد اعضاء الاوبك) •

وخلاصة القول ان كمية الانتاج التى سيعاد النظر فى توزيعها دوريا فيما بين مجموعة الاوبك ستعتمد على التبدل الذى يطرا على مرئيات استهلاك المستقبل ، والتى تتاثر بدورها بالسعر الذى ستتفق عليه دول المنطقة•

ويمكن اتباع احد نظامين فى توزيع هذا العبء :

الاول : نظام تعيين حصص الانتاج فى اطار الاوبك :

وهنا يحدد الالتزام الاقصى لانتاج كل دولة عضو وقد يكون هذا بنسبة ما انتجته فى اعوام سابقة او بحساب معادلة معقدة تقارن فيما بين الاحتياطى الموجود لدى الدول الاعضاء ومعدل انتاجها من جهة احتياجاتها من الدخل اللازم للمحافظة على مستوى معيشة سكانها •

وتدخل فى هذه المعادلة عناصر مثل :

- الطاقة الانتاجية لكل دولة •
- عدد السكان •
- ميزانية الانفاق (الخدمات والدفاع)•
- ميزانية التنمية •
- مركز الميزان التجارى •
- الالتزامات الدولية •
- نسبة الاحتياطى للنفط الى الانتاج •

وهذه المعادلة ستتيح المجال لدول حديثة العهد بالانتاج النفطى فى توسيع حصتها كما انها ستخفف العبء على الدول التى اخذت احتياطياتها النفطية فى التناقص او التى لها انتاج محدود لسبب او لآخر •

الثانى : نظام الالتزام المرن

بمعنى الاكتفاء بوضع نسبة عامة للانتاج تمثل الحد الاقصى لالتزام الاوبك كمجموعة تجاه الطلب الاجمالى للدول المستهلكة ، وتترك للسوق العالمية عملية توجيه الامدادات على اساس تكلفة التسليم •

بعض البدائل المتاحة للعلاقة الجديدة بين المنتجين والمستهلكين للنفط

وفي حالة زيادة او نقصان الطلب على نفط الاوبك يتحدد اتجاه التبدل تلقائيا بفعل العوامل التقليدية وهي نوعية النفط المطلوب، والتكلفة واصلة موانىء التفريغ ، والطاقة الانتاجية للمصدر المرتبطة بتبدل نسبة الاحتياطي للنفط فيما بين الاعضاء •

وبذلك يتحكم السوق في تقدير نصيب كل دولة عضو ضمن نصيب الاوبك من اجمالي العرض العالمي للنفط مما يقلل أسباب المواجهة بين الاوبك والدول المستهلكة •

والمهم أن يحدث تنسيق في الانتاج • فبدونه سيبقى سعر النفط عرضة لتلاعب الدول المستهلكة حيث يمكن ان تتنافس الدول المنتجة بشكل عشوائي لتموين الطلب القائم والذى يتاثر بمستوى الاسعار ، ويترتب على ذلك انه من الانسب مرحليا أن يبدأ التنسيق بتطبيق نظام الالتزام المرن ، وقد تساعد الظروف بعد ذلك على التصاعد بالتنسيق الى مستوى نظام الحصص •

فيما يحصن احتياطي مشترك للدول الاعضاء

ان التنسيق في مجال تجهيز احتياطي نقدى واحتياطي آخر للمواد الغذائية والاستراتيجية امر ضروري لاسعاف اى دولة عضو في الاوبك في حالة تعرضها لازمة طارئة نتيجة الضغط السياسي او الاقتصادى الذى يقع عليها من خارج الاوبك •

وفيما يلي بعض الافكار حول تشكيل هذه الاحتياطيات واغراضها :

● احتياطي نقدى مشترك :

غرض هذا الاحتياطي هو تامين السيولة التى ستحد من تعمد الدول المستهلكة او شركاتها مواجهة دولة عضو للضغط عليها • فاذا ارادت الشركات مقاطعة نفط دولة عضو لتخفيض اسعارها مثلا فان تلك الدولة ستتمكن من تخفيض انتاجها النفطي ، وذلك لان الاحتياطي المشترك سيؤمن لها الفرق في الواردات وقد يكون ذلك على شكل قرض تلتزم الدولة برده من عائدات انتاجها بعد العودة الى المعدلات الطبيعية •

وفي نفس الوقت تتفق الدول الاعضاء على عدم تمكين اية شريحة او دولة تشترك في المقاطعة من تعويض الكمية التي كانت تحصل عليها من الدولة الواقعة تحت الضغط •

وايجاد مثل هذا الاحتياطي سيزيد من التعاون بين الدول المصدرة للنفط حيث يمكن لعضو ما الاقتراض منه في فترة قد لا تجد مشترين لنفطه او تكون فترة مفاوضات فتقوى من ساعده •ويمكن الاحتفاظ بالاحتياطي على شكل ذهب وعملات قابلة للتحويل وموجودات سائلة اخرى (استثمارات قصيرة الاجل) بنسب يتفق عليها الاعضاء • وقد يختلف الحد الادنى لمساهمة العضو الواحد بالنسبة لحجم حاجياته •

فالدول التي لها عدد كبير من السكان ـ واحتياجات مالية عالية قد تساهم بما يكفي لسد حاجاتها من الواردات المدنية والعسكرية لمدة ٣ اشهر مثلا بينما قد تساهم الدول ذات الحاجات الصغيرة بنسبة ما تحتاجه لسنة وستبقى هذه المبالغ الموضوعة على جانب تحت ملكية الدولة العضو فتستفيد من الفوائد الناتجة عنها ، مثل أسعار الفائدة واية زيادة في قيمة الصرف الخ •

على ان تكون هذه المبالغ جاهزة للمشاركة رهن الطلب • ولا ضير في وضع ادارة هذا الاحتياطي تحت اشراف مشترك اذا بقيت الارصدة في المصارف المركزية للدول الاعضاء والافضل أن يشكل صندوق او ادارة خاصة بها في اطار منظمة الاوبك •

● احتياطي مشترك للمواد الغذائية والمواد الاستراتيجية :

ان معالجة احتياطي المواد الغذائية تكون على المدى القصير والمدى البعيد • فعلى المدى القصير يمكن من طريق تعاون الاجهزة المختصة بالدول المعنية وضع قواعد تكوين احتياطيات المواد الغذائية القابلة للتخزين مثل الحبوب بانواعها ، والاجدى أن تربط الكميات المخزونة باحتياجيات الدول الاعضاء • فقد تحتفظ الدول الكبيرة بما يكفيها ٣ اشهر مثلا بينما تحتفظ الدول الصغيرة بنسبة ما يكفيها لمدة سنة • وبذلك يمكن للدول الاعضاء المشاركة بتكاليف المحافظة على الاحتياطي •

فالدول ذات الاحتياجات الصغيرة نسبيا ستساعد الدول ذات الاحتياجات الكبيرة اما بواسطة الاحتفاظ بنسبة أعلى مما قد تحتاج اليه من الاغذية ، أو بواسطة سداد بعض تكاليف التخزين •

اما في الامد البعيد فان على الدول الاعضاء ايجاد مشاريع زراعية وحيوانية تستفيد من مشتقات النفط كمواد اولية للاسمنت والبروتينات من واردات النفط كراسمال لزيادة الانتاج الغذائي •

وكما يعمل بخصوص اواد الغذائية فلا بد أن هناك العديد من المواد الاولية غير المتوافرة لدى الدول الاعضاء في الاوبك ، والتي لا يمكن للتصنيع ان يقوم بدونها • وهذا الامر يستوجب القيام بمشروع تامين احتياطي لها ويكون ذلك بالنسبة للحاجات الخاصة لكل دولة عضو •

● تقول دراسة طبية ان مجموع الطاقة التي يستهلكها جسم الطفل الرضيع يساوى اقصى طاقة يستهلكها جسم الانسان عند تادية الاعمال الشاقة وان هذه الطاقة تبلغ عند الطفل الذى لا يتعدى عمره عاما واحدا ١٦٠ سعرا حراريا !

جاء في الدراسة التى قام بها فريق من الاطباء في مستشفى الاطفال الجامعي في « بون » أن وزن خلايا جسم الطفل الرضيع تبلغ واحدا على ٦ من الكيلو جرام اذا كان الوزن الكلى لجسمه يبلغ ٥ر٣ كيلو جرام كما ان عدد ضربات قلب الطفل الرضيع تصل الى ١٢٠ مرة في الدقيقة اى حوالى ضعف ضربات قلب الكبار وان رأس الطفل هو اسرع اجزاء جسمه نموا •



عاشق في زمن العطش

للشاعر عبد الحميد القائد

محمد جابر الأنصاري

عبد الحميد القائد شاعر ناشيء ولكن الشعر بالنسبة له مسالة حياة او موت • انه نبض وتنفس • وهكذا تشعر بمعاناته للشعر منذ مطلع ديوانه الاول الصغير ، منذ اول قصيدة فيه • عبد الحميد لا يكتب شعره كتسلية او كحلية ادبية • لا يكتبه تغزلا أو تظرفا أو اظهارا لبلاغة او بحثا عن جماليات رومانسية بعيدة • منذ الابيات الاولى يطرح قضية الشعر كما طرح شكسبير في « هاملت » قضية الحياة : « أن نكون أو لا نكون •• تلك هي المسالة » ، وعبد الحميد يصرخ بالمثل : « أن يكون هناك شعر •• شعر حقيقي •• شعر حياتي أو لا يكون •• تلك هي المسالة !•• » • ففي دنيا الشعراء هناك مذهبان • مذهب ياخذ الشعر كهواية فنية جمالية مترفة كعمر بن أبي ربيعة وابن المعتز ، ومذهب اخر مختلف يعيش الشعر ، يتنفسه ، يحيا به ويموت من أجله مثل أبي الطيب المتنبي وأبي العلاء المعري ، حيث الشعر هو حياة الشاعر ومعيار وجوده او عدمه • وعبد الحميد يطل علينا بصوته الجديد ضمن هذا التيار الحياتي :

يا نهر الكلمات المتجمد في القلب

اسكب وردا ،

ضوءا ،

عنبا حلوا احمر

●✻●

أمطر ••

لن اعلن رقص الطير البري ،

دق طبول الافريقيين •• لكي تمطر

أمطر ••

لن اتلو تعويذات الكهان ،

السحر الاسود •• كي تمطر

لكني لن اتنازل مهما صار الامر

فامطر شيئا

يوقف نزق العصر المتهاوي في اغوار القحط

او مت في جنبات القلب الارعن ،

احرق ساحات الحلم الممتدة في الفم

مت •• واحرقني حتى العظم •

هذه المناجاة الحارة الحاسمة بين خيار المطر أو الاحتراق موجهة الى « نهر الكلمات المتجمد في القلب » الى الشعر في مرحلة الكينونة داخل القلب ، وهو « نهر كلمات » منتظر منه ان يقوم بمعجزة اخصاب للارض • هذا النهر من الكلمات لا يكفي أن يشرح لحنا غزليا او معزوفة جميلة • فالمطلوب منه شيء صعب ، ان لم يكن مستحيلا ، المطلوب منه عمل حضاري معجز « يوقف نزق العصر المتهاوي في اغوار القحط » بمطر قطراته « ورد •• ضوء •• عنب حلو أحمر •• ومرايا •• واطفال •• » •

اما اذا لم يكن قادرا على هذا الانقاذ ، وعلى هذا الاخصاب للعصر المتهاوي في اعماق القحط ، فلا داعي لان يمطر مطرا غير مخصب • في هذه الحالة ليجمد في القلب وليحرق أحلام الشاعر وليحرقه هو ذاته • ان الحياة والشعر يتحدان هنا في كيان عضوي واحد • فتكون حياة حيث يكون شعر ، او لا يكونان معا : يحترق الشعر فيحترق معه الحياة •

والمطر الشعري الذي يلح على هطوله الشاعر لن يسقط هذه المرة بطريقة سحرية ، لن ياتي « برقص الطير البري ودق الطبول وتعاويذ الكهان » ، كلا •• لم تعد هذه الطريقة السحرية مجدية لمواجهة ماساة العصر وازمة الحضارة • المطلوب أن يكون المطر الشعري واقعيا •• صلبا يذيب صخور هذا العالم أمام مسيرة الانسان ، لا بالسحر ، وانما بالمعاناة الفاعلة في التاريخ •

ولكن يطول الانتظار •• انتظار المطر المخصب :

انبئني عن زمن الوصل

يا شجر الشعر العاثر

بين الحلق اليابس والصدر

انبئني عن زمن الوصل

انا عصفور مشتاق اشكو العالم للبحر

يا ايتها الكلمات المغلولة

خلف جدار الصدر المصدوع

انا من غيرك سنبلة في بيداء الكون

بئر مهجور مجروح الماء ••

وهكذا ينتفي وجود الشاعر اذا بقيت الكلمات مغلولة خلف جدار الصدر المصدوع ويبقى مجرد سنبلة مهددة بالذبول في صحراء الكون ، وبئرا مهجورة ناضبة • ولا يبقى من جدوى الا أن يصرخ الشاعر للمرة الاخيرة بنهره المتجمد داخل القلب :

فلتبدا عرس الكلمات الان

يا النهر المتجمد في القلب،

فلتبدا ••

عانقني حتى الموت

والسطر الاخير يعود ليطرح الغلق الشعري ، كما في البداية ، مسالة حياة او موت او تحديد عناق حتى الموت ••

ثم تتوالى علينا قصائد الديوان • وهي لا تبهرنا بجمالياتها الفائقة ، أو صياغتها المتفوقة ، وقد نعثر فيها على هنات في النحت الشعري هنا وهناك ، ولكنها جميعا تشدنا بذلك الاخلاص النادر في المعاناة الداخلية ، بتلك الحرارة في معايشة الشعر وهمومه ، وفي مكابدة الحياة وقضاياها • انه اخلاص وانها حرارة لا تلمسهما الا في بدء عصور الشعر الجديدة الرائعة • وهذه خاصية متى توفرت ضمنت في النهاية انتصار الشعر وانتصار الحياة :

وسيبقى العام فصلا واحدا

يغدو ربيعا وبراءة ••

ظاهرة العنف في أمريكا كما يراها كتابها

عبد المنعم سليم

في شهر ابريل منذ بضع سنوات انطلقت بضع رصاصات في امريكا سقط على اثرها الدكتور مارتن لوثر كنج قتيلا • وقبل اغتيال (كنج) اغتيل ايضا في امريكا مالكولم اكس • وقبل الاثنين ، وفي ١٩٦٣ ، اغتيل الرئيس الامريكى كيندى •

وبصرف النظر عن هذا القتل الفردى فان امريكا كانت تقود حركة قتل جماعية وذلك عن طريق حرب فيتنام ، بل ولم تذهب بعيدا •• انه في قلب امريكا نفسها يوجد ذلك الصراع الدموى بين البيض والسود •

ما الذى تدل عليه هذه الاحداث كلها ؟ هناك بحث واحد هام قام به عدد من الكتاب والفنانين ورجال التاريخ والفلسفة حول تلك المظاهر او الاحداث • والواقع انهم لم يقوموا بهذا البحث نتيجة لهذه الاحداث المجتمعة ، ولكنهم قاموا بهذا البحث نتيجة اغتيال الرئيس الامريكى السابق جون فيتزجيرالد كيندى • انما المهم انه بالرغم من ان هذا البحث يدور حول دراسة ظروف وموقف واتجاه كيندى اثناء فترة حكمه القصيرة ، وبالرغم من ان الباحث يحاول أن يصل الى تفهم مغزى اغتياله •• بالرغم من هذا فان النتيجة التى نصل اليها في نهاية البحث تلقى ضوءا هاما على ذلك المظهر العجيب الذى تتسم به امريكا سواء على مستوى الفرد الامريكى او على مستوى الدولة نفسها • ولقد نشر هذا البحث ضمن الكتاب القيم الذى نشره الكاتب الانجليزى • الفاريز بعنوان تحت الضغط •

والان الى البحث ••

الكاتب الامريكى نورمان ميللر وهو واحد من اشهر الكتاب الروائيين الامريكيين يقول •• المريع في حادث اغتيال كيندى انه عندما قرر أن يذهب الى دالاس « حيث قتل » ، سافر الى هناك في عربة مكشوفة فانه يكون بذلك قد اختار •• اختيارا وجوديا أن يخاطر بحياته • وبعد الحادث كنا نقول : انه في الواقع رائد لنا جميعا فقد كانت مسئوليتنا ان تجهز عربته وتغطيها بالزجاج الواقى ••

ولكن الواقع ان كنيدى كان يقول بينه وبين نفسه : نعم •• دالاس مدينة عنف ولكنه ليس ذلك العنف الذى اخشاه ، ولذلك فاننى سوف اذهب الى هناك •• وفي عربة مكشوفة •• وعندئذ سوف يعرف الناس ان دالاس ليست هى هذه المدينة المخيفة •

ويستمر ميللر قائلا : هكذا كان الموقف في نظر كيندى • لماذا ؟ لانه كان دائما يحاول أن يوضح لنا الحقائق عن طريق الافعال •• وبطبيعة الحال لقد خسر كيندى الرهان ، واتضحت الحقيقة امام الامريكيين وهى أن في حياتنا عنفا اشد مما كنا جميعا نتصور •

كان هذا هو راى الكاتب الروائى المعروف في ذلك الحادث ، وهنا يصح ان نسال سؤالا : لماذا تطوع ميللر بهذا الراى عن الرئيس الراحل ؟•• ما هو جوهر العلاقة بين هذا الكاتب وبين رئيس الجمهورية حتى أن حادث مصرعه يدفعه الى عمل دراسة مستفيضة عنه ؟

الواقع ان جوهر العلاقة بين ميللر وبين كيندى جوهر ثقافي •• وهذا الجوهر الثقافي اشترك فيه كل الكتاب والفنانين في امريكا •• ولذلك فقد كانوا اكثر الناس احساسا بالصدمة • لماذا ؟ •• لاسباب ثلاثة :

- كيندى نفسه والقيم التى يمثلها •

- ما فعله من أجل الفرد ومن أجل الفن ثم ذلك المركز الذى اعطاه للفنانين ورجال الفكر •

- الجريمة نفسها وما تظهره من قوة خفية في الحياة الامريكية •

والنقطة الثالثة هى التى تهمنا ولكن لكى نصل اليها لابد أن نتحدث عن النقطتين الاوليتين •

نورمان بودريتز ، وهو ناقد ادبى ومحرر مجلة ـ كوتيندى ـ يقول : لقد كان اسلوب كيندى في الحياة اسلوبا رائعا بحق ، فلقد كان ظريفا ، ذكيا ، وفي الحياة الامريكية كان كيندى يقوم بدور الانسان المثالى الذى يجب أن يحتذى به الجميع •

وفي نفس النقطة يتحدث موراى كمبتون وهو محرر مجلة الجمهورية الجديدة فيقول : لقد اصيب كيندى في الحرب العالمية الثانية واستطاع ان يتغلب على اصابته ببطولة تدل على شجاعة نادرة •

وشجاعة كيندى يتحدث عنها الشاعر المعروف روبرت لوويل فيقول : لقد كان كيندى يمثل جانبا من امريكا وهو الجانب الذى كان الفنان ينظر اليه باعتباره المثل الاعلى •• وهو البطولة •• ولقد كان كيندى بمثابة الشهيد في ذلك اليوم •

والواقع انه بعد ثمانى سنوات من حكم ايزنهاور كانت امريكا تتطلع الى : بطل ، وقد كان كيندى هذا البطل ، وهذه البطولة هى التى اضفت عليه تلك الجاذبية التى لا يستطيع احد ان ينكرها •

ولكن هذه البطولة لم تكن اهم خصائص كيندى فلقد كان له دور اخر في الثقافة الامريكية وهو دور ايجابى لم يقم به اى رئيس سابق للولايات المتحدة ، وفي ذلك يقول شليسنجر :

اهم مميزات كيندى انه كان يستمتع بعالم الافكار • انه لم يكن يعتبر مثقفا بالمعنى المعروف ولكنه كان يحب مصاحبة المثقفين ، وكان يحب ان يتناقش معهم في الفكر والتاريخ والمسرح والفنون عموما •• والاهم من ذلك انه ساعد على ان يجعل دور المثقف في الحياة الامريكية دورا مقبولا ، ومعترفا به •• فقد

كان متعاطفا مع فرويد وماركس وايشتين وعندما يكون رئيس الجمهورية قارئا على هذا المستوى فان نظرة لجمهور الى المثقفين سوف تتغير ، وفي نفس الوقت تتغير نظرة المثقفين الى السياسة .. واهمية ذلك واضحة اذ ان الفراغ في الولايات المتحدة بين الاثنين (المثقفون والسياسيون)واسعة الى حد كبير لدرجة انه كان من الصعب جدا التنبؤ بامكانية العبور بين الاثنين وخصوصا بعد فترة النوم الطويل الذى اصيبت به الحياة الامريكية خلال حكم ايزنهاور وفي وجود مكارثي .

وهكذا عندما جاء كيندى فانه حاول ان يغير كل ذلك . وهنا يقول ارندت وهو فيلسوف سياسى وواحد من كبار المفكرين الامريكيين :

حتى هؤلاء الذين كانوا يقومون بالدور السياسى في بلدنا .. لم يكونوا على وعى كامل بما يفعلون بينما كان لدى كيندى ذلك الوعى الكامل بما يفعل .. وفي الواقع يمكن ان نقول ان كيندى استطاع ان يصبغ الفترة التى حكم فيها بما يمكن ان تسميه نوعا من الكرامة والفخفخة الثقافية ، وهو الشىء الذى لم يكن موجودا من قبل حتى خلال حكم روزفلت ، وانا في ذلك لا اريد ان اعطى احساسا بان ذلك كان ناتجا عن مثالية ثقافية او تفكير عقلى بحت ، ولكن ذلك كان ناتجا عن رجل ذى عقلية عملية جدا .. اى انه كان قادرا على الربط بين احترام الثقافة مع حياة عملية بحتة .

والسؤال الان كيف استطاع كيندى ان يقوم بعملية التوفيق بين السياسة وبين اهتمامه بالفنون والاداب ؟

هنا لابد ان نستمع الى كلام رجل كان دوره خلال حكم كيندى هو دور المستشار الخاص للفنون . انه اوجست هيكشر .

يقول هيكشر : لقد استطاع كيندى بحركة بسيطة جدا ان يقلب اوضاع المثقفين في امريكا ، وهذه الحركة تتلخص في انه في يناير سنة ١٩٦١ ، وفي الحفل الذى اقامه

بمناسبة انتخابه رئيسا للجمهورية .. وجه الدعوى الى مائة وخمسين من المثقفين والباحثين والفنانين لحضور هذا الحفل ، وهذه الدعوى في حد ذاتها كانت تاييدا بان المثقفين لم يعودوا بمعزل او لم يعودوا على هامش الحياة الوطنية .

وبعد هذا العشاء اصبح ضروريا للرئيس ان يقوم بعمل شىء يؤكد به هذا الاتجاه ، خاصة وان مسز كيندى اشاعت هى الاخرى

في البيت الابيض روحا جديدة وذلك عن طريق دعوات العشاء للموسيقيين والفنانين والشعراء والادباء وما فعله كيندى انه انشا مكتبا ، على سبيل التجربة ، في البيت الابيض ، وكانت مهمة هذا المكتب هى البحث عن الوسائل التى تثمر علاقة قوية بين الحكومة وبين الفنون ، وكان من اهم هذه الوسائل انشاء نوع من الثقة بين الحكومة والمثقفين ، مثل تخفيف الضرائب عنهم .

ولقد كانت تعرض على هذا المكتب حالات كثيرة كان كنيدى يبدى فيها رايا .

كلام هيكشر يقف منه بودوريتز موقفا اخر . انه يرى ان ما فعله كيندى كان مجرد جعل المثقفين يحسون بان لهم ارتباطا قويا بالسلطة اى بالحكومة . ولكنه يشك في ان هذا الاحساس قد حقق لهم فائدة ما .

والناقد الادبى فيليب راف يحدد موقفه من ذلك بطريقة اكثر قوة ووحدة فيقول : كيندى ـ في الواقع ـ لم تكن لديه اى فكرة عما يحدث في عالم الثقافة وكل دور كنيدى لم يزد عن دور اجتماعى وعلى مستوى عال جدا . فلم يكن كيندى مثقفا بقدر ما هو رجل اجتماع من الطراز الاول ولا يجب ان ننسى في هذا الاجتماع انه خريج بوسطن وهارفارد . انه كان يعرف حقا كثيرا من المثقفين وكان يعرف الى حد كبير درجة كل منهم وقيمته . وكل ما فعله من اجلهم لم يكن له في الواقع اى نتائج مباشرة .. فلم يحدث ـ مثلا ـ ان تحول المثقفون من حالة عدم الانتماء السياسى الى حالة انتماء سياسى . هناك بعض الناس يظنون انه اذا ما دعى رئيس الجمهورية بعضهم الى العشاء فان النموذج الاجتماعى للحياة الامريكية قد تغير ، ولكن الواقع ان هذا النموذج لم يتغير على الاطلاق .

هناك بعض الاراء الاخرى التى لا تخرج في جوهرها عن هذا الذى قاله بودوريتز وفيليب راف والتى نخرج بعدها بنتيجة منطقية وهامة جدا وهى ان كنيدى ـ الى حد ما ـ قد استخدم المثقفين كواجهة زجاجية ليضيف عنصر الثقافة الى حكمه .

ويؤيد الشاعر روبرت لوويل ذلك بان يذكر الواقعة : عندما زار مالرو « وزير الثقافة الفرنسى » امريكا اقام كنيدى حفل عشاء له ، وبطبيعة الحال كان المثقفون هم اهم المدعوين ، ولقد علق كنيدى على ذلك اثناء الحفل قائلا

وهو يضحك « لقد اصبح البيت الابيض بمثابة مقهى للمثقفين . » وفي تلك الليلة شربنا كثيرا وتحدثنا كثيرا ، وفي الصباح نسمع ان الاسطول السابع قد ارسل الى مكان ما في اسيا واظن ان مثل هذا الموقف يدل دلالة واضحة على ما للمثقفين من اهمية ؟

ولكن مهما قيل من هذه الحفلات ، ومهما اختلف الراى بالنسبة لموقف كيندى من الثقافة وهل كان يستخدمها كواجهة زجاجية ام لا .. مهما قيل فهناك اجماع على ان هذه الحفلات كانت لها نتيجتين هامتين :

الاولى : انها غيرت نظرة المجتمع الى المثقفين .

الثانية : انها ساعدت كيندى على تفهم الاحداث التى كانت تحدث في امريكا وراء التعقيدات السياسية .

فارنديت مثلا يقرر انه بعد كيندى اصبح لاساتذة الجامعة كيان ، وقبل ذلك لم يكن لهم اى كيان .

وبودهيرتز يقول :

ان كل القوى العقلية في امريكا اصبحت

انه هناك !..

● دع تراتيلك وغناءك .. من ذا الذى تتعبد له في تلك الزاوية المظلمة من معبد نوافذه كلها مغلقة .. افتح عينيك وانظر لترى الله ليس امامك ها هنا .

انه هناك .. حيث الفلاح يحرث الارض القاسية وعلى طول الطريق حيث يجهد قاطع الحجارة في تسويتها .. انه معهما ، بثيابهما المغبرة ، تحت اشعة الشمس ووابل المطر . انزع معطفك واهبط مثلهما ايضا الى حيث يعملان .

(طاغور)

ظاهرة العنف

تعمل لتدعيم الحرب الباردة •• ليس فقط البحوث المباشرة مثل الذرة وغيرها ، ولكن كل جامعة اصبحت بحوثها موجهة لخدمة سياسة الدولة الخارجية •

واغلب الاساتذة اصبحوا يمثلون الدولة في مؤتمرات وفي اجتماعات وزارة الخارجية وعموما خف دورهم النقدى وتحولوا الى القيام بدور ايجابي •

والواقع ان كيندى بدا يحس بعد ذلك بان هذا الدور ليس سليما مائة في المائة بالنسبة للمثقفين اذ ان الثقافة يجب ان تكون لذاتها •• وان نوعا من الفساد بدا يظهر في اوساط المثقفين من احتضان الدولة لهم •

وفي هذا المجال يعبر الناقد الادبي لايونيل تريلينج : ان اعطاء المثقفين هذه الاهمية يمكن ان يترتب عليه نوع من الاستقرار الطبقى لهؤلاء المثقفين مما ينتج عنه ضعف قدرتهم على الخلق وعدم قيامهم بالدور النقدى المفروض عليهم •

على انه مهما كان الامر فالثابت ان كيندى قد استخدم الخبراء من المثقفين والاساتذة ليعملوا معه مثل شلسينجر وجالبريت وانه قد القى بثقله الشخصي ومركزه كرئيس جمهورية في تشجيع الفنون والاداب • ماذا كانت نتيجة ذلك في المجتمع الامريكى ؟

هوفستادتر : مؤرخ التاريخ المعاصر يقول : ان تخصيص الفنان على هذا الوجه بمعنى ان اصبح له دور رسمي ينتج عنه ان يتحول المثقف الى محترف ، وهذا الاحتراف يترتب عليه نوع من التشويه ، لان دور المثقف هو ان يكون مجرد مثقف لا ان يحترف الثقافة ،

وصحيح ان اى بلد تحتاج الى المثقف كخبير ، ولهذا نتيجتان :

● ان الخبير المحترف اصلا سوف يقاوم هذا المثقف لانه سيشعر انه دخيل عليه وهذا بالطبع ينعكس على طبقة المثقفين ككل حتى هؤلاء الذين لم يدخلوا بعد ميدان الاحتراف ، اى يحدث بينهما نوع من الانشقاق او الانقسام

● والنتيجة الثانية ان هذا الاحتراف ينمى في المثقفين الاحساس بان ثقافتهم يجب ان تؤدى دورا فعليا ماديا ـ اى وظيفيا ـ في الحياة وينتج عن ذلك عدم قيامهم بدورهم الحقيقى وهو الدور النقدى والفكرى العام •

والناقد الادبي ارفنج هاو يناقش نفس النقطة ويقول : لو اننا قلنا منذ خمسة وعشرين سنة او ثلاثين سنة ان مشكلة المثقف هي عدم انتمائه للمجتمع ، فان هذه المشكلة اليوم غير قائمة اذ ان المثقف اليوم اصبح مرتبطا ـ وبشدة ـ بالمجتمع ونتيجة ذلك ان المثقف اصبح ملتزما بان يؤدى بعض الاعمال ، وبالتالى اخذ بريق الدولار يشده مما صرفه في نهاية الامر عن العمل الاصلى اى الثقافة التى وهبها حياته •• ولذلك فانني اعتقد ان الحياة الامريكية المعاصرة تعتبر خطيرة جدا على المثقف • انها تمتصه وتستغرقه •

وفي نفس الموضوع يتحدث ارندت : ان اغراء الحياة الامريكية يعتبر اغراء شديدا بالنسبة للمثقف ، ومن الصعب جدا على المثقف ـ الان ـ ان ينسحب منها •• ذلك لان هذه الحياة تمده بالمال الوفير •• اننى شخصيا اعتقد ان الفقر والغنى كل منهما يعتبر خطرا على المثقفين واعتقد ان ما يحتاجون اليه فعلا هو نوع من الضمان فقط •

من الواضح ـ اذن ـ ان كل المثقفين مجمعين على ان احتضان كيندى للمثقفين لم يكن في صالحهم تماما •• ولكن كيندى كما يقول نورمان ميلر كان سياسيا ماهرا جدا ، ولم يكن يهمه صالح المثقفين بقدر ما كان يهمه الانتفاع بهم •

ان علاقته بالثقافة والمثقفين لم تكن مثالية بمعنى انها لم تكن بعيدة عن الواقع كما انها لم تكن موقفا مسرحيا لاجتذاب الانظار ، وفي ذلك يقول شليسنجر •

لقد كان كيندى رجل عقل ، ولا اعنى هنا انه كان يعتنق الفلسفة المنطقية ، فلا اظن انه كان لديه ذلك الايمان الكلاسيكى بان المجتمع منطقى وله نظام ذاتى سليم • ولكنه كان رجلا يؤمن بالعقل اذا استعملت كلمة عقل استعمال الفيلسوف وليم جيمس لها •• وانتم تذكرون تفرقة جيمس لنوعين من الناس النوع الاول هم التوحيديون او الموحدية وهم الذين راوا ان للعالم هارمونية مطلقة وكل جزء فيه يكمل الجزء الاخر • والنوع الثانى هم هؤلاء الذين رأوا العالم لا كوحدة بل كمجموعة من المتناقضات ممكن ان يوفق بينها وان نصل الى حالة هارمونى •• المهم هنا ان هذه الفئة الثانية ترى ان العالم اساسه التنافر ، ولقد كان كيندى الى حد كبير من هؤلاء أى من النوع الثانى •

لقد كان كنيدى ـ لو استعملنا مصطلحات جيمس مرة اخرى ـ رجلا تقدميا يؤمن بالعقل في الطريقة التى يصل بها الى نتائجه في السياسة العامة ، الا انه لم يكن يفترض في بادىء الامر ان المنطق هو اساس الوجود •

ويتدخل « هاو » هنا فيقول :

ان خطورة هذا الموقف انه ابعد ما يكون عن فهم القوى الاجتماعية في امريكا •• فلو نظر المثقفون الى واشنطن أى لو اتحدوا مع الحكومة فانهم سوف يتصورون انه من الممكن حل كل المشاكل عن طريق السلطات العليا اى عن طريق طريق القوانين ينفصلون بذلك عن باقي الشعب •• وتعمى عيونهم عن القوة الحقيقية للشعب وتكون نتيجة ذلك ان الاقليات « مثل الزنوج » ومهضومى الحقوق يفقدون الخيط الوحيد الذى كان ممكنا ان يعبر عنهم وبالتالى تتحول هذه الاقليات الى قوة قابلة للانفجار •

ويتكلم « كمبتون » في نفس النقطة :

اننى فعلا اشعر ان كنيدى يقدر زيادة عن اللزوم كل ما هو اوروبى ، بمعنى انه يقدر الثقافة والادب والفن في اوروبا بينما ان تاريخ الولايات المتحدة كله خلق باناس ليست لهم اى صلة بهذا التراث الاوروبى ، واقرب مثل الينا تلك المجموعة من الصبيان الزنوج الذين ذهبوا الى احد المطاعم ليتناولوا الطعام في مطعم ليس مفروضا ان يدخله الزنوج ، وكان من نتيجة هذه المظاهرة السلمية البسيطة جدا ان هؤلاء الصبيان غيروا وجه الديمقراطية الامريكية •• اذ انهم اكدوا ان مظاهرة بسيطة كهذه المظاهرة اقوى وافعل من المناقشات التى دارت بين اصحاب العقول حول الموائد لمدة دامت عشر سنوات وتبعت هذه المظاهرة البسيطة مظاهرات اخرى من نفس النوع ، وكان من نتيجتها ان بدات مشكلة الزنوج فعلا تشكل مشكلة يجب ان تحل • كل هذا اثبت لى ان كيندى لم يكن فاهما ان العقل ليس أساس التفكير في امريكا بل ان الافكار في امريكا تنتج من مصادر لا يمكن توقعها •• وعلى ذلك ، وطبقا للتفكير العقلى ذهب كيندى الى دالاس ، ولكن طبقا للقوى الاخرى ـ الغير مفهومة في امريكا ـ اطلق الرصاص عليه • وهكذا فانه يجب علينا ان نواجه الحقيقة وهى ان القتل في امريكا حركة ديمقراطية •

ما معنى ذلك ؟ كيف يكون القتل في امريكا حركة ديمقراطية او مظهرا من مظاهر الديموقراطية •

ان كمبتون يمضى في شرح نظريته فيقول : ان العنف وقبول العنف نفسه طريقة يعبر بها الفرد عن شكواه من المجتمع • فالرجل الامريكى يشعر ان من حقه ان يوجه النقد لاى فكرة وان من حقه ان يكون اى فكرة او اى راى في أى موضوع •• وان من حقه ان يحلها بطريقته الخاصة حتى ولو كانت هذه الطريقة هى الاغتيال •

ومعنى ذلك ان من حق اى امريكى ان يتخذ الاسلوب الذى يراه في التفكير حتى ولو كان ذلك الاسلوب مشوبا بالحمق والجنون •

ومعنى ذلك ايضا انه في بلد بحجم امريكا •• ذلك الحجم الذى يجعل الانسان يحس

بضالته ووحدته •• نتوقع في بلد كهذا ان يقوم اي شخص باي عمل شنيع فاضح لكي يقتنع نفسه بانه موجود ، فاذا اضفنا الى ذلك ـ السيكلوجية الامريكية + مساحة امريكا ـ •• اذا اضفنا الى ذلك تاريخ امريكا وتراثها السياسي المبني على العنف فان النتيجة التي نتوصل اليها هي ان امريكا بوتقة للعنف •

ولدينا في هذا المجال ما قاله القاص الزنجي الامريكي رالف اليسون : في امريكا تراث من العنف ناتج من :

اولا : ان الامريكيين استطاعوا قهر الطبيعة بمعنى انهم فتحوا مناطق لم تكن آهلة بالسكان •

وثانيا : الحركة السريعة وكثرة التنقل والسفر ، وكذلك تطاحن فئة ضد فئة •• والحرب الاهلية التي تبعتها حرب مدنية وهي الحرب بين الافراد داخل المجتمع نفسه •

ويذهب ـ جوزيف فرانك ـ وهو ناقد ادبي الى ان العنف في امريكا اقرب الى العقل الامريكي •• اقرب زمنيا من الحرب الاهلية ، فالحرب ضد الهنود لم تنته الا من حوالى مائة سنة ، والطفل الامريكي تربى على افلام رعاة البقر •• وهذا الطفل عندما يكبر ويرى العنف •• يراه واقعا ماديا بالصورة التي حدثت في دالاس فانه يصعق تماما لان اغلبنا وان كان يعرف هذا العنف •• وان كان تربى على وجوده •• الا انه يقتنع نفسه بان هذا العنف لا يوجد الا في الروايات •

وبودهوريتز يوافق على نفس الرأى الاخير اى انه لا يوجد اى امريكي مثقف يوافق على ان العنف عنصر اساسي في الحياة الامريكية الا نورمان ميللر • وليس معنى ذلك ان ميللر معجب بالعنف ولكنه واع بالكبت الكبير الموجود في امريكا والذي لابد ان ينتج عنه : العنف ، وميللر لا يعني العنف الاجتماعي فحسبه بل يعني العنف باعتباره ظاهرة سيكلوجية للفرد في امريكا •

هذا الوعي بان المجتمع الامريكي بحضارته مجرد قشرة من التمدن تحتها براكين ثائرة •• الانسان المثقف اذا كان لديه هذا الوعي تواجهه مسئولية تجاه نفسه وتجاه الحقيقة ويواجهه سؤال : كيف يحل هذا التناقض ؟ كيف تعيش مع نفسك بدون ان تصبح عنيفا ؟ •• هل تستمر في كبت العنف ام تعترف به وتظهره على السطح !؟

عليك الآن ان تختار •

هذا الاختيار هو ما رآه نورمان ميللر في تصرف كنيدي ، فالرئيس كنيدي لم يعترف بالكبت ، ولكنه رفض العنف او على الاقل اختار ان يواجهه ، فذهب الى دالاس في عربة مكشوفة ، وكان يأمل ان يقهر العنف ببطولته •• لانه كان دائما يحاول ـ كما يقول ميللر ـ ان يوضح الحقائق عن طريق الافعال •

ولكن كنيدي خسر الرهان واثبت ان العنف المدفون في امريكا اشد مما كان متصورا •

وانه وان كان ميللر يعترف في كل كتاباته بالعنف الا ان الاعتراف بوجود العنف لم يكن سهلا على بقية المثقفين ، ولعل احسن من عبر عن ذلك هو ـ كمبتون ـ عندما يقول :

انني استطيع ان اقول انني لم اكن مسئولا عن مكارثي وتصرفاته ولكن كيف استطيع ان انكر مسئوليتي انا في قتل كنيدي باعتباري مواطنا امريكيا عاديا ، انني انا شخصيا مسئول عن هذا القتل لان ازوالد « قاتل كينيدي » نتيجة مجتمعه وانا مسئول شخصيا عن هذا المجتمع باعتباري فرد منه ، فلنبدأ اولا بان نتحمل مسئوليتنا •• بان نحاول ان نواجه انفسنا •• ونعترف بان هناك قوى غير مفهومة •• قوى قد تكون غيبية •• قوى لا يجب ان نهرب من امامها •

هذه القوى هي التي تتحكم في امريكا اليوم •

منتهى الغبـاء

● تقدم جنرال من احدى مدن اميركا الجنوبية ـ وهذه الرتب العسكرية تمنح هناك بسخاء ـ الى مسابقة اقامها التليفزيون •

ساله المذيع : في اي موضوع يا حضرة الجنرال تريدني ان اسألك ؟

قال الجنرال : في التاريخ •

المذيع : من هو الجنرال الذي ربح معركة « اوسترلتز » ؟

فتاتا الجنرال قليلا ثم قال ا •• اعرف ••• اعرفه •• جيدا •• انه •• واراد المذيع ان ينقذ الموقف فقال :

ـ لاساعدك يا سيدي : انه الجنرال الذي خسر معركة « واترلو » •

وقال الجنرال : اعرفه •• انه صديقي •• اسمه على لساني •

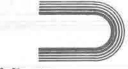
المذيع : وانه القائد الذي قذف بجنوده الى روسيا فشردهم الجوع والبرد •

وتلعثم الجنرال ، فما كان من المذيع الا ان اشار الى تمثال لنابليون موضوع فوق « ثلاجة » في ركن القاعة وقال هامسا :

ـ انه هناك ••

والتفت الجنرال ثم ابتسم قائلا :

ـ انه جنرال اليكتريك •



مسابقة الدوحة

المسابقة تتكون من قسمين :

القسم الاول من ثلاثة أسئلة : سؤال عن شخص • وسؤال عن مكان • وسؤال عن شيء •

القسم الثاني : عبارة عن ١٠ اسئلة متنوعة •

وعلى من يريد الاشتراك في هذه المسابقة ان يصل الى الاجابة الصحيحة عن هذه الاسئلة ، معتمدا على التعريف الموجود في كل فقرة ، مع المعلومات المعطاة من حروف الاسم المطلوب ، بعد تغيير ترتيبها ويرفق الكوبون الخاص بالمسابقة مع ورقة الاجابة •

اما نتائج مسابقة العدد الماضي ، فسوف تعلن في العدد القادم •

الجوائز :

الاولى : ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور •

الثانية : ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور •

الثالثة : ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور •

١٢ جائزة اخرى : قيمة كل منها اشتراك لمدة عام في المجلة •

نتيجة « حل مسابقة » عدد يونيو ١٩٧٦

★ فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور القارىء : جهرود حسن ـ الرياض العالى زنقة ٤ رقم ٩ الدار البيضاء ـ المغرب •

● من ؟
● أين ؟
● ما ؟

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
		*				

اولا : مـن ؟

من كبار فلاسفة العرب واطبائهم . أطلق عليه لقب « الشيخ الرئيس » • ولد في بخارى عام ٩٨٠م ، وتعمق في فلسفة ارسطو وكانت له انجازات علمية متنوعة وفريدة • كتب العديد من المؤلفات أشهرها كتاب « القانون » في علـوم الطب و « الشـفاء » في الفلسفة . ظلت أعمـاله تدرس في جامعات أوروبا على مدى القرون • اسمه مكون من كلمتين ، مجمـوع حروفها سبعة :

الحروف ٧ ، ٤ ، ٣ ، ١ ، ٦

تجدها في الفم •

الحروف ٢ ، ٦ ، ٤

عملة انجليزية •

الحروف ٧ ، ٢ ، ٥ ، ٣

ثانيا : أين ؟

عاصمة أوروبية ، وأكبر مدن هذه الدولة • تقع بجانب قناة تصل بحر فنر ببحر البلطيق ، وهى مشيدة على عدة جزر متقاربة ، ولهذا تكثر فيها الطرق المائية • ولعل هذا هو السبب في التسـمية التى اطلقت على هـذه العاصمة الاوروبية « بندقية الشمال » اسمها مكون من كلمة واحدة وعـدد حروفها ثمانية :

الحروف ١ ، ٧ ، ٢ ، ٨ ، ٤

من الاحياء المائية •

الحروف ٨ ، ٦ ، ٣

نهاية الحياة •

الحروف ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧

بمعنى أوضح •

الحروف ٥ ، ١ ، ٤

بمعنى قنوط •

★ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور القارئة : ليلى المحجوب ٣ نهج خزنة الماء ـ زنقة معتر ـ تونس ٠

★ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة ستة شهور القارىء : هاشم الاسير ص ب ٦١٩ الزرقاء ـ الاردن

الفائزون باشتراك مجانى لمدة سنة في مجلة « الدوحة »

★ البوعشيها مصباح صيعان ـ شارع الافغانى رقم ٤ طرابلس ـ ليبيا

★ ايمان نهاد شريف ـ ٣٤ شارع محمد خلف شقة ٦ الدقي ـ القاهرة

★ سيد المختار عبد الله ص٠ب ٦٠٩ انواكشوط ـ موريتانيا ٠

★ عباد عبد الرحمن بن علي المعهد الاسلامي ـ البياضة (الوادى) الجزائر

★ بابكر يس بواسطة عوض حمد النيل المخالج فابريكة ٦ العصاحيصا ـ السودان ٠

★ وداعه أحمد محمد N. S. I., Kanpur 17, U. P. - INDIA

★ أسامة عبد الواحد الامبابى ص٠ ب ٥٨٠ الشارقة ٠

★ محمد السيسى منزل رقم ٣٠٥٦/ ٩ فريق البنعلي ـ المحرق ـ البحرين ٠

★ فراس أحمد عوض ص٠ب ٤٦٣ ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية ٠

★ عبد الرازق مصطفى دعسان ـ جبل التاج ص٠ب ١٢٠٢٧ عمان ـ الاردن ٠

★ سمير عواد عطية ـ شارع عمر شاهين قسم الاشارة ـ الزقازيق ـ جمهورية مصر العربية ٠

★ أبو الحسن عبد النبى أبو راس ـ كلية الهندسة جامعة الخرطوم ـ السودان ٠

حل مسابقة عدد يونيو ١٩٧٦

اولا : من ؟٠٠ واين ؟٠٠ وما ؟

من : البيروني

اين : سانت لورنس

ما : جوز الهند

ثانيا : ١٠ ب٠ ج٠

١ ـ افرست
٢ ـ اقليلس
٣ ـ البا
٤ ـ ١٨٩٦
٥ ـ الامازون
٦ ـ الاميبا
٧ ـ اندرسون
٨ ـ اكتيوم
٩ ـ الايدروجين
١٠ ـ باخ

****



٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١

بمعنى أراضى منبسطة ٠

الحروف ٨ ، ٤ ، ٥

مدينة مقدسة ٠

ثالثا : ما ؟

أحد الحيوانات البسيطة التركيب ، يتكون من ملايين الخلايا الحية ، وله هيكل من مادة قرنية أو حجرية ، ويتخذ أشكالا بديعة ٠ يتغذى بأن يمتص الماء بواسطة ثقوب دقيقة توجد فوق سطحه ، ليستخلص منها المواد الغذائية والاوكسجين ، ثم يطرد الماء من فتحات كبيرة ٠ اسمه مكون من كلمة وحدها مجموع حروفها خمسة :

الحروف ٥ ، ٣ ، ٤

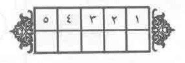
فوق العين ٠

الحروف ٤ ، ١ ، ٣ ، ٢

بمعنى بارى ٠

الحروف ٥ ، ٤ ، ١ ، ٢

هو تشابه الكلمتين في اللفظ مع اختلاف المعنى ٠

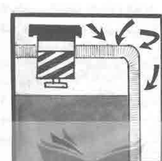


٥	٤	٣	٢	١



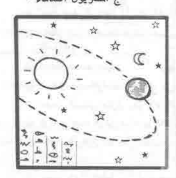
١ ـ آلة لتنظيم الحرارة في جهاز التسخين أو التبريد ، تضمن حفظ الحرارة عند معدل ثابت • تعتمد في تركيبها على ظاهرة تمدد المعادن بالحرارة • توجد في جهاز التكييف ، وفي مبرد السيارة ، وكثير من الاجهزة الصناعية • واسمها :

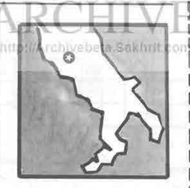
أ ـ ترمومتر •
ب ـ ترو ستات •
ج ـ بارومتر •



٢ ـ تقاس الايام والسنين بحركة الارض ، وتقاس الشهور بحركة القمر • وقد استغرق الناس من قبلنا وقتا طويلا حتى تعلموا كيف يقيسون الزمن بتلك الدقة التى نقيسه بها الان • وهذا المقياس هو ما يعرف الان باسم التقويم ، وكان أول من حسب طول السنة على انه ٣٦٥ يوما هم : أ ـ الاشوريون •

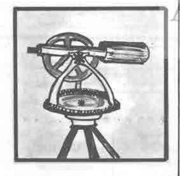
ب ـ الهنود القدماء
ج المصريون القدماء •





٦ ـ تقع مدينة روما عاصمة ايطاليا على نهر يمتد في ايطاليا الوسطى ، يحمل رواسب غزيرة جعلت مصبه يمتد من العصر الرومانى حتى الان ، مسافة تبلغ ميلين داخل البحر • واسم هذا النهر :

أ ـ التيبر •
ب ـ البو •
ج ـ الرون •



٧ ـ نوع من التلسكوب الصغير يثبت فوق حامل ، حتى يمكن قراءة الاتجاه الذى يشير اليه من البوصلة ، وكذلك قراءة زاوية الميل • وهو يستخدم في مسح الاراضى • واسم هذا الجهاز :

أ ـ سمسوجراف •
ب ـ ميروسكوب •
ج ـ تيودوليت •

كوبون العدد

الدوحة

٣ ـ في عام ١٨٧٦ اخترع الكسندر جراهام بل التليفون الذى يعتمد على تحويل الصوت الى اهتزازات ، يتم تحويلها بعد ذلك الى تغيرات في قوة التيار الكهربائى . وكان جراهام بل الذى عاش حتى عام ١٩٢٢ من أصل :

أ ـ استرالى .
ب ـ اسكتلندى .
ج ـ أمريكى .



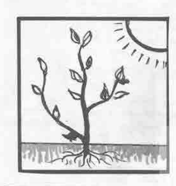
٤ ـ أول محاولة لايجاد المسرح في العالم العربى ظهرت في بيروت عام ١٨٤٨ بفضل مارون نقاش ، وقد انتقل هذا الفن من سوريا الى مصر لاول مرة ، عندما قدمت احدى الفرق السورية مسرحيات كان قد عربها مارون نقاش ، الذى بدأ حياته :

أ ـ تاجر متجول .
ب ـ خطاط .
ج ـ عامل طلاء مبانى .



٥ ـ توجد بالنبات مادة خضراء تمتص اشعة الشمس ، وتستخلص منها الطاقة . بهذه العملية يحصل النبات على المواد التى يحتاجها . وهناك بعض انواع من الطفيليات كالفطر لا تعتمد على هذه العملية التى تسمى :

أ ـ الضغط الازموزى .
ب ـ التمثيل الكلوروفيلى .
ج ـ الانتشار الغشائى .





٨ ـ بدأت الثورة الفرنسية بالهجوم على سجن الباستيل الذى يقع في قلب باريس ، ثم توالت الاحداث فأعلنت الجمهورية في فرنسا وأعدم الملك لويس السادس عشر . وكان سقوط الباستيل في عام :

أ ـ ١٧٨٩ .
ب ـ ١٧٩٢ .
ج ـ ١٧٩٨ .

٩ ـ هو من أعظم الروائيين الانجليز ، بعض قصصه محزنة للغاية ولكن تتخللها دائما حوادث مضحكة . وله الكثير من الاعمال المشهورة مثل « دافيد كوبر فيلد » و « قصة مدينتين » .. واسمه :

أ ـ أوسكار وايلد .
ب ـ تشارلز ديكنز .
ج ـ برناردشو .

١٠ ـ جامايكا هى احدى جزر الهند الغربية ، ومناخ هذه الجزيرة يكاد أن يكون استوائيا ، يزرع بها الاناناس والموز وجوز الهند وقصب السكر والبرتقال والليمون . تم اكتشافها عام ١٩٤٤ على يد :

أ ـ ماجلان .
ب ـ ماركوبولو .
ج ـ كولومبس .

سمعت

●● ان الكاتب الانجليزى العملاق « صموئيل جونسون » ـ وكان معتدا بنفسه لدرجة الغرور المبالغ فيه ـ حين بلغ الستين من عمره •• سافر الى باريس ليقضى فيها عطلة قصيرة لكنه ما ان وصلها حتى دهمته « انفلونزا » حادة ، ألزمته الفراش • وعندئذ جاءه احد الاصدقاء ـ وكان يصغره بعشر سنوات ـ ليطمئن على صحته •

قال له هذا الصديق يريد ان يسرى عنه :

ـ انى ارثى لحالك • يبدو ان العمر قد تقدم بك ، ولم تعد قادرا على تحمل برد باريس ••

وهنا استشاط الكاتب الإنجليزى الكبير غضبا • كانت « الحقيقة » الكامنة في عبارة صديقه « جارحة » لغروره • وما هى الا ثوان ، حتى نهض بعدها جونسون من فراشه ، وقرر أن يتحدى بالغرور ، رأى صديقه •

قال له وهو يشير عبر زجاج النافذة الى الشارع :

ـ انظر •• ان السماء تمطر بغزارة كما ترى • وانني على استعداد لان ادخل معك في سباق في الجرى تحت هذا السيل المنهمر من المطر ، لكى اثبت لك اننى اكثر شبابا منك •

وبالفعل •• دخل صديقه معه في السباق • وبالطبع لم يفز « جونسون » في هذه المباراة • والذى حدث انه في اليوم التالى نقل الى المستشفى مصابا بالتهاب رئوى حاد • لا لشىء الا انه انكر الحقيقة ، واصر على ان يرضى غروره !•

خالد مدنى محمد طه
الخرطوم ـ السودان
ص•ب : ١٩٣١

رأيت

●● رايت هذه المسابقة على شاشة التليفزيون • كانت مقدمة البرنامج توجه حديثها الى المرأة • قالت ان البساطة هى اجمل شىء يمكن ان تتحلى به المرأة • البساطة في الحديث •• والبساطة في الملبس • ان التكلف في الحديث يجعل من المرأة عبئا على سامعيها مهما كانت جميلة • وان المبالغة في الملبس ، والزينة ، ووضع كميات الماكياج الهائلة ، واستعراض أساور الذهب ، والحلى وكل انواع المبهرات الزائدة عن الحد •• كل هذا يخفى صورة المرأة الحقيقية ، ولا يبقى منها الا هذا الشكل المستعار المبالغ فيه • وهكذا تضيع شخصية المرأة وراء كثير من التفاصيل •

كانت مقدمة البرنامج تقول هذا الكلام وكانها تريد ان تصفع كل امرأة سولت لها نفسها أن تتكلف في الحديث ، او أن تبالغ في ملابسها ، وزينتها • لكن •• من المؤسف حقا ان مقدمة البرنامج نفسها كانت تبدو في كامل الصورة التى ارادت أن « تنفر » المرأة منها • فهى تتحدث بتكلف ثقيل كان العالم كله لا يسمع « الان » سوى صوتها ! وكانت « الباروكة » على راسها اطنانا من الشعر الملفوف ، والمرتفع ، والمنسدل على نصفى وجهها كانها ممثلة اغراء ، وليست مقدمة برنامج • وكانت اصابعها بين الحين والحين تتحرك ، فيلتمع من حولها فصوص الخواتم التى ـ ربما ـ تعمدت أن تظهرها امام عدسات الكاميرا كنوع من التعبير عن الملكية !••

واخيرا •• لا اظن ان احدى المشاهدات ، قد اقتنعت ـ بعد ذلك ـ بكل هذه النصائح •• الوجيهة حقا !!••

جبارة عبد الله
السودان ـ الخرطوم
جنوب ـ ص•ب : ٣١

قرأت

●● هذه الرسالة واحدة من مجموعة رسائل كتبها الى ابنته « أنديرا » من السجن الزعيم الهندى الراحل « نهرو » • وهى بتاريخ : يناير ١٩٣١ • تقول الرسالة :

ماذا اكتب لك يا عزيزتى ومن اين ابدا؟ اننى لا اكاد افكر في الماضى حتى يتزاحم في رأسى عديد هائل من الصور • ولا املك نفسى من المقارنة بين هذه الاحداث الغابرة ، وبين ما يحدث اليوم ، محاولا أن اجد منها عبرة ترشدنى • واظن انى كتبت اليك مرة اقول ان دراسة التاريخ يجب أن تعلمنا كيف أن العالم تطور ببطء ولكن بلا توقف •

ومع ذلك فانه يحدث احيانا ان ننظر الى فترات معينة من التاريخ ، فلا نكاد نصدق أن هذا المثل الاعلى قد تقدم فيها كثيرا ، او اننا قد قطعنا شوطا في الحضارة بعيدا • فنحن اليوم في اشد الحاجة الى التعاون • ومع ذلك فقد نرى دولة تهاجم دولة اخرى ، وتضطهدها في أنانية • او انسانا يستغل انسانا اخر • مما يجعلنا نشك في ان عالمنا ماض حقا الى الامام •

ما اروع ان نرى الرجال والنساء والاولاد والبنات يضحون باسمين من أجل الوطن غير عابئين باى شدة او عذاب انت الان تجلسين في « اناند بادان » وامك في سجن « ملكا » وانا في سجن نانين • وكثيرا ما يفتقد كل منا صاحبه وبشدة •• اليس كذلك ؟ ولكن فكرى في اليوم الذى سنلتقى فيه من جديد •• اننى اترقب هذا اليوم وان تفكيرى فيه ليضىء قلبى وينعشه •

عبد الكريم على بن عامر
وحدة الشغيلة • حى اول مايو
معصرة بن عامر ـ كريتر ـ عدن
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية